اللغة العربية

مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للّغة العربية

العدد الثالث والعشرون- السداسي الثاني - 2009

اللغة العربية

مجلة نصف سنوية مُحكمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية

العربية

العدد الثالث والعشرون

اللُّغةُ العربيّةُ

مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للّغة العربية.

هيئة التحرير

مجلة اللغة العربية

دورية تعنى بقضايا اللغة العربية وترقيتها

يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية.

المجلة منبر حر، وليس كل ما ينشر فيها معبرّا بالضرورة عن موقف المجلس.

قواعد النشر

- ✓ التقيد بالمعايير العلمية والأكاديمية المتعارف عليها: كالتوثيق..
- ✓ أن تكون الأعمال أصيلة لم يسبق نشرها من قبل.
- ✓ ترسل النصوص مرفقة بقرص مسجل باسم رئيس المجلس أو رئيس التحرير على العنوان المذكور أدناه.
- ✓ أن توضع الهوامش والمراجع في آخر المقالة.
- ✓ المقالات التي ترد إلى المجلة لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.

التحرير والمراسلة

المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرنكلين روزفلت الجزائر
ص.ب . 575 ديدوش مراد - الجزائر
الهاتف: 24/25 07 23 21 (00213)
الناسوخ:07 07 23 21 (00213)
الترقيم الدولي الموحّد للمجلاّت (ر.د.م.م)
: 1112 _ 3575
الإيداع القانوني:02 7/20

كلمة رئيس التحرير

أ.د. مختار نويوات

قررت إدارة المجلس الأعلى للغة العربية، وهي السباقة إلى مثل هذه المشاريع الطموحة، قررت أن تشفع المجلة الأولى (مجلة اللغة العربية) بدورية ثانية خاصة بالترجمة في أوسع معانيها واختارت للإشراف علي إنجازها ثلة من الباحثين الجامعيين الذين عرفوا بكفاءتهم وتميزهم وامتيازهم في هذا الميدان الخطير. ونشرف بتهنئة إدارة المجلس الأعلى للغة العربية بهذا المولود الجديد سائلين الله أن يبارك لها فيه وأن يعين على مهامها السامية المضنية الهيئة المسئولة عن رعايته.

سمعت فيما سمعت من النشرات المتلفزة، جزء من الكلمة القيمة التي أعلن فيها سيادة رئيس المجلس الأعلى دواعي أنشاء المجلة الجديدة، وذكر بدور الترجمة في تطور الحضارات البشرية وبأن الأرض بما رحبت صارت منزلا واحدا يؤوي أسرة واحدة هي

البشرية، فمن كان من الأمم خارج المنزل صعب أن يعد من البشر؛ أو كما قال.

نعم! الترجمة والأخذ والعطاء أساس التقدم والتطور. ولا يظنن أحد أن الإغريق ابتدءوا العلوم ابتداء رغم عبقريتهم. بل كانت حضارتهم حلقة في سلسلة التطور الحضاري البشري. أخذوا عن المصريين والبابليين والأشوريين وعن الفينيقيين بخاصة. أخذوا عنهم بوساطة الاحتكاك. وعن الهنود في القرن الخامس قبل الميلاد لاسيما في الحروب التي خاضها الإسكندر المقدوني ضد إيران وما وراءها شرقا إلى حدود باكستان. وكانت أفغانستان أرهقت جيوشه فضجت، فاضطر إلى الرجوع إلى إيران. وهو الذي أسس الإسكندرية (مدينة الإسكندر)، وكانت غرة في جبين الدهر بفلاسفتها كأفلوطين صاحب (التساعيات) التي كان لها الأثر الأكبر في الفلسفتين العربية والمسيحية، وفيلون الإسكندري وأقليدس الذي ندرس نظرياته إلى اليوم.

وجاء الإسلام وفتحت الممالك ودون عمر بن الخطاب الدواوين فاضطر العرب البداة إلى تسييرها بلغة أجنبية وبكتاب فرس لا يعرفون إلا القليل من العربية. فلما دخلت سنة87هـ. عرب عبد الملك بن مروان الدواوين

بقرار سياسي لا رجعة فيه، وعمل اللغويون على تحسين مستوى هؤلاء الكتاب في اللغة العربية فاستقام ا\لمر وعربت الدواوين.

ولما أديل من بني أمية وبني مروان واحتكت الأديان والثقافات وتصارعت الفرق وجد المنظرون أنفسهم في أمس الحاجة إلى المنطق اليوناني فنشأت حركة الترجمة مع المتكلمين لا سيما المعتزلة. وأخذ الخلفاء العباسيون على كاهلهم هذه المهمة وتبعهم في ذاك الوزراء أمثال البرامكة. والأمراء وأعيان الدولة، فنقلت فلسفة الإغريق ورياضياتهم وعلم الفلك وحكمة الهند وحسابهم وسياسة الفرس.

وجد النقلة صعوبات في نقل بعض التصورات والمصطلحات رغم ثراء العربية التي يضرب بها المثل، ورغم مرونة الصرف العربي عانوا ما نعاني اليوم في نقل العلوم الغربية والتكنولوجيا وكأنني أسمعهم يرددون مثلنا العامي (تحرث وإلا تتكسر) "والخطاب للمحراث رمز اللغة "

لم يتحرجوا من تطويع لغتهم والتجديد فيها (المصدر الصناعي كالأنسانية وإدخال أداة التعريف على الضمير كالأنا والأنانية، وعلى الجملة كاللاأدرية..)

وأرانا اليوم نقفو أثرهم عن جهل بلغتنا، وهو الأكثر، وعن علم بها، وهو القليل

ازدهرت الحضارة العربية الإسلامية في معظم الميادين وتمثل العلماء ما نقلوا وما نقل أليهم وطوروا العلوم التي لم يكن لهم عهد بها لولا الترجمة : وهم مخترعو علم التحليل الرياضي ومطورو ما ورثوا عن غيرهم في الطب والكيمياء وعلم الفلك وكثيرا ما نجد في الفرنسية والإنجليزية وغيرهما من اللغات ألفاظا عربية لا نهتدي إلى أصلها إلا بالمعاجم الغربية لشدة تحريفها في اللسان الأعجمي. ولا أذكر مثالا لذلك ألا كلمة vega التي تدور حولها الشمس فيما يقول علماء الفلك وأوردت هذه المعاجم أن اللفظ عربي أصله "النسر الواقع".

وما نقص أدبنا إلا ما لم نقدره حق قدره ولم نترجمه كالأدب المسرحي اليوناني، فأضعنا بذلك الشيء الكثير ولم نعرف بواكيره إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين والحقيقة أنه لم يزل غريبا في العالم العربي رغم بعض المحاولات الجادة.

ومن الآثار الحسنة للترجمة أنها "غربلت" العربية ونقلتها من البداوة إلى الحضارة ومن طغيان اللغات عليها بكثرة

اختلافها في الصيغ والدلالات إلى لغة موحدة دقيقة. ولا أدل على ذلك من مقابلة "المخصص" لابن سيده بكتاب "القانون في الطب" لابن سينا. تقابل بينهما فيما يتعلق بجسم الإنسان فلا تكاد تجد في الأول لفظا واحدا غير مختلف في دلالته أو صيغته، بينما يدهشك الثاني بدقة مصطلحاته ووفرتها ووضوحها. ذلك أن ابن سيده لغوي يهمه لسان العرب بجميع مظاهره وابن سينا عالم أخذ عما ترجم من بقراط وجالينوس وغيرهما واجتهد ونمى مواهبه فبلغ من العلم شأوا بعيدا. والعلم يفرض الدقة والوضوح. وقديما قيل "كان علم الطب ناقصا فأكمله الرازي وكان غامضا فأوضحه ابن سينا".

بهرت الحضارة العربية الإسلامية الغرب، وكان آنذاك يغط في نومه، وبشهادة الغربيين أنفسهم وأدرك الفاتيكان بعد الاستيلاء على الثروة العلمية في الحروب الصليبية وبعد ما عرفوا من ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس فندبوا من اليهود ومن علمائهم وفلاسفتهم نقل العلوم إلى" اللاتينية. وأسسوا لذلك هيئات علمية تكفلت بالترجمة وكانت العربية آنذاك لغة عالمية مثلها مثل الانجليزية اليوم بل كان محظورا على الأطباء امتهان الطب إن لم يعرفوا العربية، لأن مرجعهم كان محصورا في

كتابي "الشفاء" و"القانون في الطب" لابن سينا وكان الطبيب الايطالي يفخر بانتمائه إلى ابن سينا.

دامت حركة الترجمة من العربية خمسة قرون، ثم انطلقت النهضة الغربية الثانية في القرن السادس عشر ومازالت الترجمة من العربية ومن غيرها إلى اليوم وهي عندهم ضرورة حيوية كالتنفس والغذاء والراحة للجسم فلا تجد كتابا يصدر في العالم مهما كانت لغته إلا بادروا بترجمته لأنهم عرفوا – كما عرفنا في زمن غابر – أن الترجمة تثري الفكر وتفتح آفاقا جديدة وأن الإنسان إنسان بقوة فكره وبقدرته على التحكم في الطبيعة وهيمنته على العالم ولولا إدراكهم لقيمة الترجمة لما نقلوا إلى لغاتهم "مثلثات" قطرب وجميع المتون التي نظمت في العربية على صعوبة ترجمتها.

الترجمة أساس الحضارات بل هي الحياة لأنها تعرفك نفسك وما يجري في الكون وما حلقات التطور البشري وما ماضي الكون الترجمة الواعية تهبك الحياة الحقيقية والعيش الكريم لأنها رافد أساس من روافد المعرفة والتقدم ولأنها تحفظك من أن تكون عالة على غيرك: يبدعون ويقهرونك

باختراعاتهم ويستعبدونك حتى بخيل إليك وإليهم أنك ما خلقت إلا لتكون عبدا لهم.

الغاية نبيلة والطريق طويل شاق يتطلب الوعي وتضافر الجهود في مشارق الأرض ومغاربها والتضحية والاعتماد على النفس والطموح الذي لا يعرف حدا ولا يقبل التواكل. وقد سبق أن نقل العلوم العربية الإسلامية إلى الغرب كلفهم خمسة قرون من الجهود "لكننا بخير والحمد لله "كما قال طه حسين في أحدى جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة. تداركنا الكثير الكثير مما فاتنا ولئن صدق الحدس ولم يخطئ الظن فإننا عما قريب محققون ما نصبو إليه "إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا " "أما الذين في قلوبهم مرض"، ولا ألقي الكلام على عواهنه فيرونه مستحيلا .

وأخيرا أكرر التهنئة بالمولود الجديد داعيا لمن تعهد برعايته أن يثبت الله خطاه إنه سميع مجيب.

النحو العربي
بين التيسير والتعسير

أ.د.عبد الجليل مرتاض
(جامعة تلمسان)

1- التيسير مؤصّلاً لسانيًا في العربية

إن الموروث اللساني العربي القديم الّذي وصلنا قبل تأسيس ما سُمّي "نحوًا" أو "علم العربية" لاحقًا موروث لساني، كان يتم بالجبلّة والطبيعة التلقائية في تعامله وسلوكه، وكان التواصل اللغوي بين العرب قاطبة قائمًا على الملكة اللغوية والسماع الصوتي، يُورِّثُهُمَا الخلف عن السلف، دونما حاجة إلى وسائط تعليمية أخرى، لم تكن الكتابة ولا القراءة شائعة بينهما، مما سمح للسليقة اللغوية الدوام والنصوع.

واستدلّ اللغويون المتقدمون بعدة وقائع لسانية وحوارات ميدانية مبكّرة، أشارت كلها إلى التلقائية اللسانية

الطبيعية التي كانت راسخة في التواصلات اللغوية بجميع أنساقها وتراكيبها ونصوصها بين المتكلمين العرب ومن تعرَّب بلسانهم من أفراد أُلْحِقُوا بهم.

ولتوضيح الفقرة السابقة أكثر يَجْمُل بنا أن نقول: إن العرب، وهم في جاهليتهم وصدر إسلامهم، لم يكونوا يعرفون هذه المصطلحات الصناعية من نحو وصرف وإعراب ورفع ونصب وهمز، وتحقيق وتخفيف، وفتح وإمالة،... ولعل أقدم رواية أو حوار نعثر عليه في هذا الباب، ذلك "الحوار الّذي دار بين الأصمعي وأعرابي، ولكن عالمًا جليلاً كابن فارس، يكاد يجزم عكس ذلك، تماشيا مع نظريته التوقيفية، زاعمًا أنّ العرب عرفوا هذه المصطلحات اللغوية قبل مجيء الإسلام، وتقعيد علوم اللسان العربي لاحقا، إذ قال الأصمعي للأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ قال: إنّي إذًا رجُلُ سَوْءٍ، ثم سأله: أفتجرّ فلسطين؟ قال: إنّي إذًا لرجل قويّ"[1]، وسَمعَ أعرابيّ إمامًا يقرأ: "ولا تَنْكِحُوا[2] المشركين حتّى يؤمنوا"، قال ساخرًا أو على سبيل التعجب: "ولا إنْ آمنوا أيضًا لن

نَنْكِحهُم، فقيل له: إنّه يلحن، وليس هكذا يُقْرأ، فقال: أخِّروه، قبّحه الله! لا تجعلوه إمامًا، فإنه يُحلّ ما حرّم الله"[3].

وسُمع بعض فصحاء العرب يُنشد (رجز):

نحن بني عَلْقَمَةَ الأخيارَا

فقيل له: "لم نصبت بني؟ فقال: "ما نصبته!"، وذلك أنه لم يعرف من النصب إلا إسناد الشيء"[4]، وحكى أحد العلماء عن أعرابي فصيح "أنه سُئل أن ينشد قصيدة على الدال، فقال: "وما الدّال؟"، ولما طُلب من أبي حَيَّة النُّمَيْريّ (كان يروي عن الفرزدق) أن يُنشد قصيدة على الكاف، فقال[5]:

كفى بالنأي من أسماء كاف	وليس لِسُقمهمَا، إذْ طال، شَافِ

ومما قاله: "فأما من حُكِيَ عنه من الأعراب الّذين لم يعرفوا الهمز والجرّ والكاف والدال، فإننا لم نزعم أن العرب كلّها -مدرًا ووبرًا- قد عرفوا الكتابة كلها، والحروف أجمعها،... والّذي نقوله

في الحروف، هو قولنا في الإعراب والعروض، والدليل على صحة هذا... أنّا نستقرئ قصيدة الحطيئة التي أولها:

شاقتك أظعان لِلَيْلَى دونَ نَاظِرَةٍ بَوَاكِرُ

فنجد قوافيها كلها عند الترنّم والإعراب تجيء مرفوعة، ولولا عِلمُ الحطيئة بذلك لأَشبه أن يختلف إعرابها، لأن تَساويها في حركة واحدة اتفاقًا من غير قَصْد لا يكاد يكون؛ فإن قال قائل: فقد تواترت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية، وأن الخليل أول من تكلم في العروض، قيل له: نحن لا ننكر ذلك، بل نقول: إنّ هذين العِلمين قد كانا قديمًا، وأتتْ عليهما الأيام، وقلاّ في أيدي الناس، ثم جدّدهما هذان الإمامان"(6).

ومما استدل به على معرفة الناس بالعروض علمًا ونظمًا أن المشركين لما نعتوا القرآن بأنه شعر، أنكر عليهم ذلك الوليد بن المغيرة(7) قائلا: "لقد عرضت ما يقرؤه محمد على أقراء الشعر هزجه

ورجزه، فلم أره يشبه شيئًا من ذلك"[8]، متسائلا: أيقول الوليد هذا، وهو لا يعرف بحور الشعر؟ ومما دعم به حجته في السياق نفسه، ما ألمح إليه بأن الصحابة كتبوا المصحف على الّذي يعلّله النحويون في ذوات الواو، والياء، والهمز، والمدّ، والقصر،... حيث رسموا ذوات الياء ياءً، وذوات الواو واوًا، ولم يصوّروا الهمزة المتطرفة إذا ما كان قبلها ساكنًا.

وفي اعتقادنا أن فَقْلَغِيَّنَا أحمد بن فارس لو استشهد بتراكيب نثرية لكانت حجته أقوى من احتجاجه بالقافية، التي هي مطلب موسيقي بقدر ماهي ضرورة نحوية، ولربما أقوى الشاعر غير مبال كإقواء النابغة الذبياني[9]:

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رائِحٌ أو مُغْتَدي ... عَجلاَنَ ذَا زَادٍ وغَيْرَ مُزَوَّدِ
زَعَمَ البَوَارِحُ أنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا ... وبِذَاكَ خَبّرَنَا الغُرَابُ الأَسْوَدُ

إن عربي ما قبل الإسلام وما بعده بفترة طويلة في مَضْرب وقصيرة في مضربٍ

آخر، لا في قواعدها المستنبطة فيما بعد من الخارج، لأن اللغة كنظام أو جهاز لساني شيء، وبنيانها شيء آخر، والسليقي في لغة طبيعيّةٍ بطبيعته غير المتواصل بها بالتدرب والتعلّم.

ولذلك نشأ ما نشأ لاحقًا من صراع حادّ بين متكلمين دَمِثين سليقيين، وبين نحاة متشددين، حتى قال عمار الكلبي[10]:

ماذا لقينا من المُسْتعربِين ومِنْ | قيَاسِ نَحْوهم هذا الّذِي ابتَدعُوا
إن قُلتَ قَافِيَةً بِكْرًا يَكون بها | بَيْتٌ خِلاَفَ الّذِي قَاسُوه أو ذَرَعُوا
قَالُوا: لَحنْتَ!، وهذَا لَيْسَ مُنْتَصِبًا | وذَاكَ خَفض، وهَذا لَيسَ يَرْتَفِعُ
وحَرَّضُوا بينَ عبدِ الله مِن حَمَقٍ | وبَيْنَ زَيْدٍ فَطَالَ الضرْبُ والوَجَعُ
كَمْ بينَ قَوْمٍ قد احتَالُوا لِمَنطِقِهِمْ | وبينَ قَومٍ علَى إعرابِهِم طُبِعُوا

ونجد هذه المشادات المشهورة مبثوثة في كتب التراجم والآداب والطبقات

القديمة، وربما انتقلت عدواها ما بين نحاة ومتكلمين إلى ما بين نحاة ونحاة من باب الصراع المنهجي، من ذلك هجاء يحي بن المبارك اليزيدي (202هـ) العلامة الكسائي (189هـ)[11]:

كُنَّا نَقِيسُ النحو فِيمَا مَضَى عَلَى لِسَانِ العَرَبِ الأُوَّلِ
حتى أتى قَوم يقِيسونَه عَلى لُغَى أَشْيَاخِ قَطْرُبُّلِ
فجَاءنا قوم يَقِيسُونَه علَى لْسَانِ النَّبَط الأَرْذَلِ
فَكلُّهُمْ يَعمَلُ فِي نقْضِ مَا بِهِ يُصَابُ الحقّ لا يَأْتَلِي
إنَّ الكِسَائِيّ وأصْحَابه يَرْقَوْنَ فِي النحو إلَى الأَسْفَلِ

وقال أحد أصحاب الأصمعي[12]:

أفسَد النَّحو الكِسَائيُّ وثَنَّى ابنُ غَزَالَهْ
وأَرَى الأحمَر فاعْلِفُوا التَّيْسَ

تَيْـا النُّخَـالَـهْ

لكن أين هذه الأبيات الشعرية المتقدمة من أبيات شعرية متأخرة تشيد بعلم النحو وصاحبه؟[13]:

أَحْبِبِ النحو من العلم فقدْ ... يُدْركُ المرءُ به أعْلَى الشَّرَفْ
إنَّما النحويُّ في مجلسه ... كشِهَابٍ ثَاقبٍ بين السَّدَفْ
يَخْرُج القرآن من فِيه كما ... تَخْرُجُ الدُّرّة من بين الصَّدفْ

ولعل ما أقدّره مناسبًا للإشارة إليه في هذا المقام، أن اللسانيين العرب المتقدّمين من نحاة ولغويين وقراء ربما احتاروا أو تردّدوا أو أفصحوا عن اختيارهم تارة بسليقتهم التي صارت فيهم طبعا وملكة لسانيّين ثابتين، ومرة بمراعاة القواعد التعليمية ذات الاتجاه المعياري الصارم القائم على نهج أكثر شيوعًا وتداولاً فيما جاء من كلام العرب،

الأمر الّذي جعل جبابرة اللغة العربية وفحولها يتبادون أحيانًا في مواقفهم اللسانية، ولو كرها منهم، فهذا الفراء يقول عن نفسه: "إتِّباع المصحف، إذا وجدت له وجهًا من كلام العرب وقراءة القراء أحبُّ إليَّ من خلافه"[14]، وهذا أبو عمر وبن العلاء الّذي قال فيه يونس بن حبيب: "لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد لكان ينبغي لقول أبي عمرٍو أن يؤخذ كلّه، ولكن ليس من أحد إلا وأنت آخذ من قوله وتارك"[15]، كان يقرأ: "إنّ هذين لساحران"، وقرأ: "فأَصَدَّقَ وأَكُونَ" بزيادة واوٍ في الفعل المضارع الناقص (أكون)، وفي المصحف بدون واو، بينما قال ابن فارس: لست أجترئ على ذلك في الأولى (إن هذين لساحران)، ولست أستحب ذلك في الثانية (فأصدّق وأكون)[16]، وأما عيسى بن عمر (149هـ) فكان يقرأ: "هؤلاء بناتي هُنَّ أطهرَ لَكم" بنصب "أطهر"، وهذا مخالف لما أجمع عليه النحويون، ولِمَا قرأ به القرَأَةُ، ولربما اتفق عالمان في الإعراب،واختلفا في التأويل، من ذلك أن

عيسى وأبا عمرو كانا يقرآن: "يا جبالُ أَوِّبِي معه والطيرَ"، بالنصب، ولكنّهما لا يتفقان في تأويل النصب، فعيسى ينصب على تقدير النداء، وأبو عمرو نصبها على إضمار "وسخّرنا الطير" بدليل ما جاء على إثر هذا "ولسليمانَ الرِيحَ"[17]، ولربّما حكّموا لهجات العرب فيما يختلفون فيه إعرابًا، ولذلك كان ثعلب (291هـ) رائعًا فطنًا حين أشار إلى أن العرب "تخرج الإعراب على اللفظ دون المعاني، ولا يفسد الإعراب المعنى"[18]، لأنّ الإعراب إذا كان "يفسد المعنى فليس من كلام العرب"[19]، مشيدا بالفراء (207هـ) الّذي كان يقول: "كل مسألة وافق إعرابها معناها، ومعناها إعرابها فهو الصحيح"[20].

ومما لا جدال فيه، أن نقل حال العربية من صورتها الطبيعية إلى قولبتها صناعيًّا، لم يكن إلا من أجل تيسيرها، ووضعها في متناول الشعوب التي أقبلت على الإسلام، كانت اللبنات الأولى لقواعد النحو العربي بسيطة، هدفها التلقين السمعي البصري وأحسب أن قول

أبي الأسود الدؤلي (69 هـ) لكاتبه الفَطِنِ اللَّقِنِ: "إذا رأيتني قد فتحتُ فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف،..."[21]، وهذه الخطوة في تقديرنا خطوة علمية عظيمة في تاريخ الدراسات النحوية العربية، لأنها "لم تقتصر فقط على إعراب أواخر الكلم من المصحف، بل تعدّته إلى الوعي التامّ بمعنى الفتح والضم والكسر، بدليل أنّ من جاؤوا بعده -إلى عهدنا هذا- يقولون في إعراب الفاعل مثلاً بأنه مرفوع "بالضمة" ولا يقولون: مضموم "بالرفعة"، ويقولون في المفعول وكلّ شيء نُصب بأنه منصوب "بالفتحة) أو مبني على "الفتح"، ولا يقولون: مفتوح "بالنصبة"، أو مبني "على النصب"، والشيء نفسه بالنسبة للكسر"[22].

ولما جاء سيبويه بعد أبي الأسود بزهاء قرن أقرّ أن مجاري أواخر الكلم العربية ثمانية مجار "على النصب، والجرّ، والرفع، والجزم، والفتح، والضم، والكسر، والوقف، وهذه المجاري الثمانية

يجمعهنّ في اللفظ أربعة أضرب: فالنصب والفتح في اللّفظ ضرب واحد، والجر والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضم، والجزم والوقف"[23].

وفرّق سيبويه بين هذه المجاري الثمانية، ليميز بين ماهو مبني على حالة واحدة حيث لا يؤثّر فيه العامل، وبين ماهو معرب خاضع لتأثير العامل، وبذلك خصّ لها الرفع، والجر،والنصب، والجزم، ويُطلق المعرب على الأسماء والأفعال المتمكنة (غير المبنية)، بينما خُصَّ الفتح، والكسر، والضم، والوقف لكل ماهو غير متمكن (مبنيّ) من أسماء، وأفعال، وحروف.

وأنت ترى أن هذه المصطلحات لا تبرح تسود قواعدنا العربية برمتها، وإعراب أحدى أبيات البحتري يَقِفُك على هذا:

ولَن تَسْتَبِينَ الدّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ … إذَا أنْتَ لَمْ تُدْلَلْ علَيْهَا بحَاسِدِ

و : بحسب ما قبلها

لن : حرف نفي ونصب.

تستبين : فعل مضارع منصوب بأن، والفاعل ضمير مستتر (أَنْتَ).

الدهر : مفعول فيه منصوب.

موضع : مفعول به منصوب، وهو مضاف.

نعمة : مضاف إليه مجرور.

إذا : ظرف يتضمن معنى الشرط.

أنت : نائب فاعل لفعل محذوف يفسّره ما بعده (تُذْلل).

لم : حرف جزم ونفي وقلب.

تدلل : فعل مضارع مجهول مجزوم ونائب الفاعل ضمير مستتر.

عليها : جارّ ومجرور متعلق بالفعل تُدلَل.

بـ : حرف جر.

حاسد : اسم مجرور متعلق بالفعل تُدلَل.

أما جواب الشرط فمحذوف يدلّ عليه ما قبله، أي إذا أنت لم تُدْلَل على وضع نعمة بحاسد، فلن تَسْتَبِينها ما حَيِيت دَهْرَك.

وأما الأربعةُ أضرُبٍ الثانية فنحو:

- أينَ وكيفَ ← كلاهما مبني على الفتح.

- هؤلاء، حذارِ، تراكِ ← كل هذا مبني على الكسر.

- أما بعدُ ← بعد: مبني على الضمّ.

- كمْ، إذْ، منْ ← كل هذا مبني على الوقف (السكون).

وهذا ما أشار إليه سيبويه: "والوقف قولهم: اضْربْ في الأمر،... وكذلك كل بناء من الفعل كان معناه: افْعَلْ" (24).

ومما لا يخامرنا فيه أدنى شكّ، أن الصرح اللّساني المانع الشامل الّذي أسسه العلامة الشابّ سيبويه قد سُبق بصروح نحوية لكنها دونه بكثير من حيث رسمها وبلورتها والهيمنة عليها، وكان ذلك

بالنسبة لأية ظاهرة تطفو طُفوًّا جديداً في مسرح البحث العلمي أمرا طبيعيًا، أضف إلى ذلك، أن الهدف الجوهري الّذي بسببه وُضع هذا العلم يتمركز في تلقين العربية لغير العرب، لأن الصدر الأول من أصحاب رسول الله كانوا يعربون طبعا، حتى خالطهم العجم، ففسدت ألسنهتم، وتغيرت لغاتهم"[25]، ولذلك لما رأى عمر بن عبد العزيز قومًا من الفرس ينظرون في النحو، قال لهم: "لئن أصلحتموه لأنتم أول من أفسده"[26]، وبالمثل قال رجل لبعض العلماء: "أسألك عن شيء من الغريب، فقال (العالم): هو كلام القوم، وإنما أنت وأمثالك فيه غرباء"[27].

وعلى الرغم من أن أول كتاب نحوي (لساني عام) يصلنا هو كتاب سيبويه،فإننا لا نتصوّر أن ما تقدّمه من كُتيّبات نحوية كانت بمثل هذه الضخامة، علما بأن كتاب سيبويه ليس معقّدا ولا صعبا في حد ذاته، بل الأمر في تقديرنا يرجع، فيما يرجع، إلى:

1- العربية الانتقالية التي انتقلت من دلالات قديمة إلى دلالات جديدة.

2- اللغة العلمية الوظيفية التي تساوي بعضها بعضًا.

3- ألوف المصطلحات اللّسانية التي لا قبل للعربية بها من قبل.

4- ترويض اللغة العربية وجعلها لغة حضارية وعلمية، بنقلها من الخطاب والإرسال الشفهيين إلى التلقّي الكتابي.

5- الاختلاف بين اللّغتين: الشفهية والخطية.

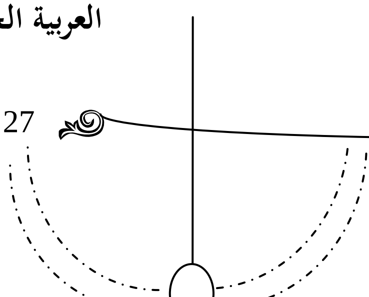
6- أسلوب النحاة المتميّز بتبليغ لغة بطريقة تعليمية من اللغة ذاتها، لأنه شتان ما بين تبليغك نصا أدبيا أو فلسفيا أو رياضيا،... وبين تلقينك قواعد نحوية من جنس اللغة (لغة واصفة أو تقعيدية Métalangue).

7- تطور اللغة العلمية العربية أو تغيّرها من جهة، وبُعْدُنا نحن عن تلك اللغة العلمية العربية القديمة من جهة أخرى.

8- أمور أخرى كثيرة، أبرزها ضعفنا وضحالة معارفنا العميقة في اللّسانيات العربية القديمة التي كانت قائمة على الشمول والترابط، ونحن صرنا لا نستوعبها، إن قُدّر لنا ذلك، إلا بالتجزّؤ عنصرا عنصرًا، أي لم نَعُدْ من القدماء، ولا صِرْنا من المحدثين، مما أفرز هوّة سحيقة بيننا، وبين تلك العلوم التي تحتاج منا إلمامًا مناسبًا بقضاياها الجوهرية البسيطة، التي كلما تناءينا عنها أكثر فأكثر بمستوياتنا الهابطة، إلاّ وبدت لنا خطأ ومغالطَةً أنها تحتاج إلى تيسير وتذليل وتبسيط.

إن مصطلح "تيسير"، لا وجود له، فيما أعلم، في اللسانيات الغربية وطرائقها التعليمية، إلاّ من باب المستويات المرحلية للتعليم، لأنه من الضلالة بمكان، أن نفكّر في تيسير ما هو مُيَسّر أصلاً، فالأمر يتعلق بمراحل لغوية أدبرت، ومراحل لغوية أقبلت:

العربية الحديثة.



العربية الوسيطة.

العربية القديمة.

أكثر مما يتعلق بصعوبة نَحْوٍ أَقْبَل، وسهولة نَحْوٍ ولّى وأدبر.

ومن أشهر الكتب النحوية التي أُلّفت قبل كتاب سيبويه كتابان اسم أحدهما "الجامع" واسم آخرهما "الإكمال" أو "المكمل" ينسبان لعيسى بن عمر الثقفي لقول الخليل فيهما:

بطل النحو جميعًا كله   غير مَا أحدث عيسى بن عمرْ

ذاك إكمال، وهذا جامع | فَهمَا للناس شمس وقمَرْ
وهما بابان صارا حكمة | وأَرَاحا من قياس ونظَرْ

وتذهب بعض الروايات إلى أن عيسى كمَّل وبوّب وهذَّب ما صنعه أبو الأسود[28]، وهذه الرواية لا ينبغي أن يُلْتَفَتَ إليها بإمعان، لأن الفترة التي تفصل بين الرجلين فترة طويلة،فأبو الأسود على رأس الطبقة الأولى مع تلميذه عبد الرحمان بن هرمز، على حين أن عيسى يتموقع في المرتبة الرابعة بعد نحويين كثيرين ليسوا بأقل من عشرة أبرزهم جميعا عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، الموصوف من يونس بن حبيب بأنه هو والبحر سواء، وهو الغاية بالنسبة لعصره[29].

وتزعم رواية أخرى أن عيسى بن عمر ألّف نَيّفًا وسبعين مصنّفًا في النحو، لم يظهر منها سوى الكتابين المشار إليهما آنفًا في شعر منسوب للخليل، في الوقت الّذي قال فيه ابن النديم "وقد فقد

الناس هذين الكتابين مذ المدة الطويلة، ولم يقع إلى أحد علمناه، ولا خبّر أحد أنه رآهما"[30].

وهذان الكتابان المشبوهان اللّذان لم يرهما أحد من العالمين ما عدا نظم الخليل، الّذي قد يكون اختُلق عليه أوْحَيَا إلى بعض الأخباريّين أن يدّعي ادعاء غريبًا إشارتُه أن الشابّ العلامة سيبويه أخذ كتاب عيسى المسمّى بالجامع (فبسطه، وحشّى عليه من كلام الخليل وغيره، فلما كمُل نسبه إليه"[31]، وهذه الرواية المجهول تدَاوُلها في أوساط العلماء، الّذين عاصروا سيبويه، وورثوا ودرسوا كتابه الّذي طار طائره في الشرق والغرب تُقوّي "الكتاب" أصالةً عن سيبويه، ثمّ كيف يكون لعيسى هذا الكمّ الضخم من الكتب، ولا يشار إلا إلى كتابين لم يرهما أحد من تلامذة ومقرّبي عيسى ما عدا الخليل؟

وعلاوة على هذه المصنفات النحوية التي نقرأ عنها ونسمع بها، ولا نتمكّن من رؤيتها والوقوف على طرائقها التعليمية، أهي ميسّرة أم معسّرة، فهناك قصيدة نحوية

منسوبة للخليل، ذكرت بعض المصادر التي عاش أصحابها قبل 130هـ بعضا من أبياتها كالبيتين.

فانسق وصِلْ بالواو قولك كله وبلا وثم وأوْ، فليست تَصعُب
الفاء ناسقة كذلك عندنا وسبيلها رحْبُ المذاهب مُشْعب

والذين وردا في المقدمة النحوية المنسوبة لخلف الأحمر، وتمكن بعض المحقّقين مؤخرًا من العثور على هذه القصيدة وتحقيقها، ويبقى السؤال مخيمًا حول نسبتها، كأنه مما جاء في "المقدمة في النحو" المنسوبة لخلف الأحمر، (180هـ) ما يدل على وجود هذه المنظومة في النحو، "وقد ذكرها الخليل بن أحمد في قصيدته النحوية"، والإشكالية نفسها تحوم حول كتاب "الجمل"، والمنسوب للخليل[32].

وإذا كان المقام غير مقام تأكيد نسبة كتاب "الجمل في النحو" للخليل أو

نَفْيِهِ، فإنه كتاب مُيسّر أكثر مما هو معسَّر، إذا ما قيس بما وصلنا من مصنفات نحوية قديمة ووسيطة وحتى حديثة، وعنوانه أعمّ من متنه، لأن مؤلفه لا يقصد بمصطلح "الجمل" المفهوم السائد، بل يعني بذلك وجوه النّصب الّتي عدّدها في واحد وخمسين وجهًا، ووجوه الرفع التي حصرها في عشرين وجهًا، وتفسير وجوه الخفض التي أحصاها في ثمانية وجوه، وتفسير إعراب جمل الجزم التي بيّنها في عشرة وجوه، وجمل ما أسماه الألفات كألف الوصل، والقطع، والاستفهام، والتثنية،... التي ذكرها في ثلاثة وعشرين وجهًا، وجُمل ما أسماه اللامات كلام الأمر، والخبر، والجحود، والاستغاثة، والتأكيد، والقسم،... التي نَمْذَجها في واحد وثلاثين وجهًا،... وهكذا سائر ما أسماه جمل الهاءات، والتاءات، والواوات، و"ما"، والفاءات، والنونات، والباءات، والياءات،...

وإلقاء نظرة فاحصة لهذا الكتاب القديم المجهول مؤلفه أو المنسوب إلى

تحليل، يقفنا على طريقة تعليمية إبداعية فريدة، فهو في مواضيع النصب الأكثر ورودًا في اللغة العربية، يذكر أشكال النصب كلها، ثم ينبري إلى التطبيق المركّز بأبيات شعرية وآيات قرآنية لا يترك لك معها تساؤلات، أو إلباسات فيما يقدّم لك من مادة نحوية عامة شيقة، تجعلك تقبل عليها بنهم وشوق كبيرين، ولا تكاد تقترب من نهاية الوقوف على قواعده وهضم ما تضمنه من أحكام لسانية إلا ووجدت نفسك، وقد كدت تُلمّ بعلم اللسان العربي كله.

وإذا كانت طريقته تقوم على التأويل، فإن المسألة لا تعود إلى القاعدة النحوية من حيث الوظيفة بل إلى طريقة الاستعمال وما قصده من وراء ذلك المرسل أو صاحب الخطاب، وهذا ما ينقص طريقتنا التعليمية العربية، مع الأسف، في تدريس قواعد اللسان العربي، فالقاعدة النحوية توقعات افتراضية لانهائية، والأهم من ذلك دلالة الاستعمال التي تنبئ عنه بنيته العميقة.

إن الخلاصة المؤلمة التي تخرج بها بعد وقوفك على كتاب "الجمل" تجعلك مقتنعا بأن ما تعلمناه من قواعد تحوَّل في كتبنا النحوية الحديثة وما تقدّمها من منظومات وطلاسم، كأنما هي غريبة عن العربية، أو أن العربية شيء وقواعدها شيء آخر، غير أن الوقائع اللغوية لا تقبل هذا الانفصام، لأنه لا يمكن أن يتصوّر لغة بدون قواعد أو أنظمة.

إن كتاب "الجمل" كتاب ميسّر يقدم لك مادته النحوية في شكل متكامل بالشكل الّذي كانت عليه اللغة العربية لغة سليقية، خذ لك أي وجه من وجوه النصب أو الرفع أو الخفض مثلا، فإنه يقفك على هذه الحقيقة المنهجية، بحيث تقبل على تعلّم قاعدة نحوية معينة، وإذا أنت تتفقه في العربية نفسها، وخاصة الأساليب وتنوع التراكيب.

ومما يؤلمك أكثر أن جلّ مصطلحات ما في هذا الكتاب لم يعد موظفًا، منه ما بدّل بغيره، ومنه ما أهمل، ولم يعد مستعملاً، مع أن كل مصطلح من مصطلحات هذا

الكتاب متداخل في دلالته اللغوية الأصلية من دلالته الصناعية الفرعية، خذ لك أي مصطلح يَقِفْكَ على هذه الحقيقة:

- الجزم بالدعاء ← يا ربّ اغفر لنا.

- الجزم بالوقف أو الإسكان ← ركبت فرسْ، رأيت زَيْدْ.

لأن العرب لا تلزم ما تتلفظ به حركة، فالإعراب حادث، وأصل الكلام السكون(33).

- الجزم بالمجازاة ← إن تَزُرنِي أزرك، وإن تكرّمني أُكرِّمك.

- الخفض بالجواب ← مررت برجلٍ عجوزٍ أمُّه، ومررت برجلٍ طالقٍ امرأتُه.

وقال في هذا: "خفضْت "عجوزا"، وليس من نعت الرجل، إلا أنه لمّا كان من نعت الأم خفضته على القرب والجوار، وكذلك تقول: مررت بامرأة شيخٍ أبوها، خفضت "شيخًا" وهو من نعت الأب، إلا أنه لما جاور "امرأةً" خفضْتَ، ورفعَ "أباها" على الابتداء، فإذا قلت: مررت برجل طامثٍ

المرأةُ، لم يجُز، لأن "رجلاً" نكرة و"المرأة" معرفة، فاختلف الحرفان، ويجوز: بالرجل الطامث المرأة، إنه استوى اللفظان بالألف واللام، ونقول: رأيت رجلاً عجوزًا أمّه، ومررت برجل ذنوبٍ فرسُه، فإذا كان الجوار اسمًا في هذا النوع لم يجز الجوار، ولم تَخفِض، تقول: مررت برجل زَيْدٌ أبوه، ومررت برجل حديدٌ بابه، رفعت "زيدًا" و"حديدًا" على الابتداء والخبر، ولم تخفض لأنه اسم، وليس بنعت"[34].

ومن أبواب النصب الّتي قد نقف عليها أحيانًا في كتب نحوية لاحقة وحديثة ما أسماه صاحب "الجمل" النصب من قَطْع، ولكننا نعربها إعرابًا ملحقًا بالحال:

- هذا الرجل، واقفًا.
- ها أنا ذا غلامًا.
- "هذا صِرَاطُ رَبّكَ، مُستَقِيمًا".
- فتِلك بُيُوتهم، خَاويةً".
- وهذَا بَعْلِي، شَيْخًا".

كل هذه المنصوبات على القطع، وقد يحدث النصب على قطع الألف واللام.

- "وهُزِّي إليكِ بجِذْعِ النَّخْلَة تَسَّاقَطْ علَيْكِ رُطبًا جَنِيًّا".

بإسقاط الألف واللام أو أداة التعريف (الـ) من "الرطب" فنُصبت، كقول جرير:

هذا ابن عمّي في دمشقَ خليفةً لو شئتَ ساقَكُمْ إليَّ قَطِينَا

حيث نصب "خليفة" على القطع من المعرفة من الألف واللام، ولو شئنا ورفعنا "خليفة" على المعنى (البنية التحتية) لجاز، "هذا ابن عمي هذا خليفةٌ"، وعلى هذه القاعدة قرأ من قرأ قوله تعالى: "وإنّ هذه أُمَّتُكُمُ، أمَّةٌ وَاحدة"[35].

ومنذ زمن طويل مرّ بي عند ابن فارس جملتان[36]:

1- هذا غلامًا أحسنُ منه رجلاً ← يريدون الحال في شخص واحد.

2- هذا غلام أحسن منه رجل ← يراد بهما شخصان.

لكن صاحب "الجمل"، وهو يتحدث عن النصب من الحال يقول لنا: "أنتَ جَالسًا أحسنُ منك قائمًا، أي في حال جلوسه أحسن منه في قيامه"[37]، بحيث لا يترك للمتعلم شيئًا من الغموض والاحتيار، ثم يأتي بشواهد:

لعَمْرُكَ إنِّي وارِدًا لأَعْشَى وإنِّي صَادِرًا
بعد سَبْعةٍ لبَصِيرُ

أي في حال ورودي الماء، وأنا ظمآن، أعشى (ضعيف البصر)، وفي حال صدروي منه، وأنا ريّان، أكثر الناس بصرًا، وكقوله تعالى: (وَقَالُوا: كَيْفَ نُكَلِّمُ من كَانَ فِي المَهْدِ، صَبِيًّا)، فالصّبيّ نُصب على الحال، وليس خبر كان، لأن الفعل وقع فيه، ومثل ما مضى النصب بإضمار كان:

- هذا تمرًا أطيبُ منه يُسرًا.

أي: إذا كان تمرا أطيبُ منه إذا كان يُسراً (نوع من ثمر النخل).

وإن أردت العكس ألغيت إضمار كان ورفعت:

- هذا تمرٌ أطيبُ منه العَسَلُ.

وفي قواعدنا النحوية الملقّنة حديثًا نجد مصطلحي التمييز:

1- ملفوظًا كالوزن والكيل والمساحة والعدد: اشتريْت رطلا سُكّرًا، وصاعًا شعيرًا، وعشرين كتابًا،... إلخ.

2- ملحوظًا، قوله تعالى: (وفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا) و(أنَا أَكثَرُ مِنْكَ مَالاً ونَفَرًا)،... إلخ.

في حين أن صاحب "الجمل" يسمّى التمييز الملفوظ "النصب من التمييز"، فالأول كقوله تعالى: (إنَّ هَذا أخي لَهُ تسعٌ وتِسْعُونَ نَعْجَةً)، فنصبت "نعجة" على التفسير، والثاني كقوله عزّ وجلّ: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ من ذَلكَ، مَثُوبَةً عنْدَ الله)، حيث نصبتْ "مثوبة" على التمييز،... وهكذا سائر الباب، والأهم أن نعرف أن الملفوظ حل محل التفسير، والملحوظ حل محلَ محلَّ التمييز، والمصطلحان الأوّلان أفضل وأدلّ وأصلح، لأنهما ينبئان من علاقة المصطلح صنعةً بمدلوله الأصلي لغة، يساعداننا على

فهم ما نتلقاه من خطاب يستعمل هذا الأسلوب النحوي غير المستقل عن المعنى الدلالي.

ومما هو مؤلم أنّ ثمة مائات المصلحات اللسانية العربية القديمة، وهي أشرف وأدلّ وأصلح، زالت من قواعدنا التي نتعلمها ونعلّمها منذ مدة طويلة، ومما نتمنّاه أن نُبْعث هذه المصطلحات لتأخذ مكانها الطبيعي في كتبنا المدرسية والجامعية، وفي طرائقنا التعليمية، لأنها تساعد متعلمي العربية على فهمها بصورة أكثر وضوحًا، نظرًا لعلاقتها دلاليا ووظيفيًا بالبنية الداخلية للّغة العربية وسُنَنِ استعمال العرب.

إن إعراب التميز الملفوظ تفسيرًا أولى من إعرابه تمييزًا ملفوظًا، لأن مايسمى بالتمييز الملحوظ أيضًا ملفوظ:

ألَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا ... وأَنْدَى العالمين بُطُونَ رَاحِ؟

ومَيَّةُ أَحَسْنُ ... وسَالِفَةً، وأَحْسَنُهُمْ قَذَالاَ

الـثَّقْـلَـيْــنِ خَــدًّا

ألـسنـا نَـلْفظُ "بـطونَ" و"خدًّا" و"قـَذَالاً" مـثـلمـا نـلفظ "قـامـةً" فـي قـولـه:

فلَو كُنتَ فِي جُبٍّ ثمانينَ قامَةً وَرُقِّيـتَ أَسـبَابَ السَّمـاءِ بِسُلَّـمِ؟

وإذًا، فأي مصطلح أنسب وأقرب؟ ثم إنّ التفسير معناه لغة التفصيل والبيان، لأنه الفَسْر،ومعناه البيان، مأخوذ "من فسر الطبيب للماء، إذا نظر إليه، ويقال لذلك التّفسرة أيضًا"[38].

وتأمل ما أسماه الرجل "النصب بالترائي":

- أبصرت، أو رأيت محمدًا قائمًا.

وكذلك النصب بـ"التحثيث":

- الخروجَ الخروجَ، الصلاةَ الصلاةَ،...

وتأمّل جيّدًا معظم سائر المصطلحات تَجِدْها أجدر بالاستعمال ممّا تعوّدنا استعماله واللهج به حديثا، وحتى قديمًا، لنلتفتَ مرة أخرى إلى ما أسماه "الرفع

بالحكاية" كقوله: "كل شيء من القول فيه الحكاية فارفعْ نحو قولك: قلتُ عبد الله صالح، وقلت: الثوب ثوبُك قال الله جلّ ذِكره: "سَيَقُولُونَ ثَلاثةٌ رابُعُهُم كلْبُهُمْ،وقال: "ولاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ، وقُولُوا حِطَّةٌ"[39]، فإذا أوقعت عليه الفعل فانصبْ، نحو قولك: قلتُ خيراً، قُلتُ شرًّا، نَصَبتَ لأنه فعل واقع، والحروف التي يُحكى بها أربعة، سمعت، وقرأت، ووجدت، وكتبت. قال ذو الرمة:

سمعتُ: النّاسُ ... فقلتُ لِصيْدحَ:
ينتجعون بحرًا ... انتَجِعي بِلاَلا

رفع "الناسُ" على الحكاية، وقال آخر:

وجَدْنَا فِي كتاب ... أَحقُّ الخيلِ
بَنِي تَمِيم ... بالركضِ المُعَارُ

رفع "أحقُّ" على الحكاية، ولولا ذلك لكان نصبًا، كما تقول: وجدت مالاً.. وكلما استفهمت فارفع بالحكاية ما لم تجئ بالتاء، فإذا جئت بالتاء فانصِب، فإنه بمنزلة: تظن، وترى، أمّا الرّفع

فمثل قولك: أقلْت عبد الله خارج؟ فيم قلتَ الناسُ خارجُون؟ بكم قلت الثوبانِ؟، فإذا جَاءت التاء فانصب، نحو قولك، أتقول زيدًا عالمًا؟ أتقول الناسَ خَارجينَ؟..." (40).

وهذا الباب من قواعد اللغة العربية وسواه من أبواب أخرى يعد مستعملاً نادرًا، وإذا ما استعمل، فإن مستعمليه لا يعلمون ما يصنعون، وخاصة النصب بالحكاية على معنى "تظنّ":

أما الرحيلُ فدون بَعْدِ غَدٍ فَمَتَى تقُول الدَّارَ تَجْمَعُنَا؟

بل ربما العالم به لم يعد يجرؤ على استعماله نزولاً عند لغة العامة، مع أن الكتاب والشعراء والأدباء هم من يجب الالتفات إلى مثل هذه القواعد العربية الأصيلة السهلة لإحيائها وترسيمها، ولكن أين هؤلاء؟ معظم من غدا ينتمي إلى حقل الكتابة الأدبية عندنا لا يكلّف نفسه عناء الرجوع إلى الموروث اللساني العربي،

ويجتزئ بلغة هي اقرب إلى لغة العوام منها إلى لغة الخواص.

ومثل ما مضى ما أسماه "الرفع بالتحقق" كقولك: "لا إله إلاّ الله"، حيث رُفع لفظ الجلالة "الله" على التحقيق، وسُمّي الرفع هنا تحقيقًا، لأنه لا يجوز للمتكلم أن يسكت دون تمام كلامه، وهذا مثل قولك: "لا غلامَ إلا زيدٌ"، وانظر إلى هذا المُصنِّف كيف يُقرّب لك القواعد المستعمل، في الباب ذاته، في قول تعالى: (فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ، فَنَفَعهَ إِيمَانُهَا، إلاّ قومَ يُونُسَ، لَمَا آمَنُوا) تقريباً دلاليا، لا تشعر معه بضيق ولا ملل: "معناه: فهلاَّ كانت قرية آمنها فنفعها إيمانها، إلا قومَ يُونسَ، أي: "وقومَ يونسَ"، لأن "إلاّ" بمعنى: لكنّ قوم يونس، لأن "إلا تحقيق، ومثله قوله جلّ ذكره: (طَهَ، ما أنزلنا علَيْكَ القُرآنَ لِتَشْقَى، إلاّ تَذكِرَةً لِمن يَخْشَى)، نصب "تَذكِرَةً" على معنى: لكنّ تذكرةً إذ كان من حروف التحقيق، ومن قرأ "تَذْكِرَة" بالرفع أراد: إلاّ أنْ تكون تَذْكِرةٌ عن الفرّاء"[41].

هذه هي القواعد النحوية الوظيفية التي نريدها ونتوق إليها، ونتمنّى الاقتداء بها، وتبليغها إلى متعلمي اللغة العربية من العرب، ولن يكون ذلك إلا بمراجعة برامجنا، و"رَسْكَلة"مدرسي القواعد العربية، وتصنيف وثائق مدرسية وجامعية في قواعد العربية لا تكون غريبة عن العربية ولا قواعد افتراضية موازية لها.

إن جلّ ما ورد في هذا المصنف ينحو إلى التيسير أكثر مما ينحو إلى التعسير، لا من حيث المصطلحات اللسانية العربية المستعملة التي لا تتعارض في مدلولها الصناعي مع مدلولها اللغوي تعارضًا كبيرا، وذلك مجاراةً للنقل الدلالي الّذي يحافظ فيه على الدالّ الصوتي نفسه، على أن يُضفى عليه مدلول جديد، لنجد أنفسنا أمام ما يسمّى بالمشترك اللّفظي، وهذا ما يمثل الواقع اللغوي، لأن المعاني غير متناهية لكنها لا تستغني دومًا عن ألفاظ تصحبها.

وأما ما ورد في كتاب سيبويه من قضايا نحوية جامعة مانعة، فإني لا أريد ركوب البحر، أو النفوذ من أقطار السماوات والأرض لأتحدّث عنه، وكل ما يمكن قوله، إن نسبة من مصطلحاته تتشابه مع مصطلحات "الجمل في النحو"، لكن طريقة تقديم المادة النحوية طريقة مباشرة، بلغة علمية مختلفة وفريدة مباشرة، وقد يظهر لك أن لغة التبليغ في كتاب سيبويه لغة معقّدة وعويصة، وهذا غير وارد، فلغته أسهل لغة تعليمية، لكن إسهاب سيبويه في الشرح والبسط والإلمام بكل ما يتصل بالظاهرة اللسانية العربية هو الّذي يجعلنا نحس بشيء من هذا، فضلاً عن تباعد الهوة الزمنية بيننا وبينه، دون أن نهمل الفضاء العلمي التاريخي الّذي يختلف كل الاختلاف عن جونا الآني.

ثم إننا لا نتجاهل فتوة اللغة العلمية التي وظّفها سيبويه خطيًا، ومحاولة الرجل إفهام العربي والأعجمي، والأمي العامي والمتعلم الأكاديمي، لأنه مزج بين المستويات دون أن يعمل على الفصل بينها، ومن ثمّ اختص كتابه

بالعلماء وذوي الاختصاص العالي دون العامة أو أولي المبادئ العامة السطحية في علوم اللسان العربي، فهو يخاطب كل الشرائح والمستويات بلغة متشابهة وواحدة، مرجعه الوحيد لغة العرب المتداولة سماعًا أو المتناقلة رواية عن أساتذة فطاحل ثقاة كالخليل، والأخفش الأكبر، وأبي عمرو، ويونس بن حبيب، وأبي زيد الأنصاري،...

وإذا أردت أن تحلّل لغته التعليمية، فإنك تقف على لغة ذات نسق يكاد يكون متشابهًا طوال كتابه الضخم، وهي لغة لا ينِمّ صدورها إلا عن رجل واحد، لا اختلال في التراكيب، ولا اختلاف في المصطلحات، ولا تباين في المنهج، ولا تضارب في طريقة التبليغ للمادة النحوية على تنوعها وكثرتها وتشعبها وسهولتها أو صعوبتها، والخطاب مسند عادة إلى المتلقي الحاضر لا الغائب، كأنه كان يقدم مادته وهو يشعر بوجوده أمام متعلّم يسمعه ويسجّل عنه، وإنما ظهر أسلوبه بهذا المظهر جَرْيًا على التبليغ الشفهي التي يقتضي حضور كل من

المتكلم والمستمع في زمان واحد، ومكان واحد.

وهذه عينة قطرة ماء من بحر للدلالة على ما أشرنا إليه: "ومِمَا أُجريَ هذا المُجرى أسماء العدد:

- تقول فيما كان لأدنى العِدّة بالإضافة إلى ما يُبنى لجمع أدنى العدد، إلى أدنى العقود، وتُدخل في المضاف إليه الألف واللام، لأنه يكون الأوّل به معرفةً.

- وذلك قولك: ثلاثة أبوابٍ، وأربعة أنفسٍ، وأربعة أثوابٍ.

- وكذلك تقول: فيما بينك وبين العشرة.

- وإذا أدْخلت الألف واللام قُلت: خَمسةُ الأثواب، وستَّةُ الأجمَالِ، فلا يكون هذا أبدًا إلا غير منوّن يلزمه أمر واحد، لما ذكرتُ لكَ.

- فإذا زدت على العشرة شيئًا من أسماء أدنى العدد، فإنه يُجعل مع الأوّل أسسا واحدا استخفافًا، ويكون في موضع اسمٍ منوَّنٍ.

- وذلك قولك/ أحد عشر درهمًا واثنا عشر درهمًا، وإحدى عشرة جاريةً، فعلى هذا يُجرى من الواحد إلى التسعة"(42).

ويستمر سيبويه في طريقته التقليدية هذه، من بداية الكتاب إلى نهايته، فهو يوجه الخطاب للمفرد المخاطب وكأنه حاضر معه، إذا كان بإمكانه أن يوجه الخطاب التعليمي إلى الغائب، ولكنه أبى إلا أن يكون خطابه خطابًا مباشرًا، بل حتى في أمثلته التنظيرية الافتراضية يفضل ضمير المخاطب(أنت): "وزعم الخليل رحمه الله أنه بمنزلة قولك: أنت الرجل علمًا ودينًا، وأنت الرجل فهمًا وأدبًا، أي أنت الرجل في هذه الحال، وعَمِل في ما قبله وما بعده"(43).

ويمكن القول، إن لغة سيبويه العلمية لغة ميسّرة أكثر مما هي معسّرة، لكن التعسير نابع من عمق الطرح العلمي للمادة اللسانية التي يستقصيها، استقصاء لا يترك معه للدارس أن يطمع في المزيد عليه، وكثيرا ما قاده الاستقصاء البعيد إلى التمثيل على الوقائع

اللغوية المألوفة بين العرب، بأمثلة ينسجها لفظيًا، لكنه يتجاوز أحيانًا هذا الواقع، ثم ينبّهك بأن هذا التركيب تمثيل لا يُتكلم به أو لم يُستعمل في الكلام، وهل أورد شومسكي إلا هذا، وهو يورد جملة أصبحت بين اللسانيين المحدثين أشهر من نار على علم، "الأحلام الخضراء تنام بعنف"؟.

وإذا كنا نشعر بشيء ما من ثقل اللغة المستعملة في الكتاب، فإن الأمر لا يرجع إلى أصل الدلالة للكلمات المستعملة، بل إلى تحوّلاتها الداخلية، خذ لك أي سطر – ما عدا الشواهد- فإنك لا تكاد تظفر بدلالة لغوية واحدة، بل تقف على كلمات، وقد لبست ثوبًا معنويًا جديدًا كلّ الجدّة، لا قبل له في ثوبها الّذي لطال كُسِيَتْهُ قبل استعمالها المتجدّد.

وإذا كان لابدّ من الإشادة بالرجل، لأنه أول عالم لغوي متعرب سجل هذا الصرح اللساني العظيم، فإنه مما ساعده عوامل تبرز لنا في النقاط:

1- اللغة، وإن كانت حتى عهده، تغلب عليها الشفهية، فإنها مثلما تلفظ صوتيًا ترسم خطيًا، ولن يكون لها في هذه الحالة إلا بعد زمني لا يساوي إلا نفسه.

2- أثبتت العربية لرواتها والباحثين الضليعين فيها أنها لغة كيّسة طيعة.

3- المصطلحات اللسانية العربية أصيلة، لا وجود لآثار المصطلحات الأجنبية فيها.

4- الترابط الحميمي بين الكلمة، وهي لغوي صرف، وبين الكلمة نفسها، وهي مصطلح صناعي.

5- الأرضية اللسانية العلمية البصرية التي سبقت ظهور "الكتاب"، والتي لا تقل عن مائة سنة أو خمس طبقات ضمّت أكثر من عشرين عالما لسانيًا.

6- العقلية الفذة الفريدة التي تميز بها هذا العلامة الجليل عن كثير ممن عاصره من العلماء الأخيار، حتى إن بعض أساتذته تحول إلى تلميذ يَنْهل نَهَلاً نَهِمًا من كتابه المعجز.

هذه العوامل ونحوها عَمِلَت عملها على أن يكون النحو العربي ميسرًا أكثر منه معسّرًا، وأبين ما يكون مُيسّرًا إذا ما فُرِز كلّ مقصد من مقاصده، وفُصِل كل مستوى من مستوياته، فكتاب سيبويه لا يحتاج إلى تيسير، لأنه ميسّر في ذاته، بل إلى التعامل مع لغته العلمية لعصره، ومقابلتها بالعربية التاريخية، ومدى ما شهدته من تغيرات دلالية بالنسبة لعلم اللسان العربي.

وفي اعتقادي، أنّ تَلقِّي أي نص، أيًّا كان جنسه ومجاله، لن يكون خارج لغته، ومن ثمّ، فإن الشروح المتتالية التي لا نعلم عددها لهذا الكتاب لم تزده إلا تعسيرًا، حتى وإن كانت النوايا صادقة لتيسيره، وأحسب أن تيسير النحو العربي الوارد جامعًا مانعًا في كتاب سيبويه لن يكون ميسَّرًا تيسيرًا مطلقًا، وفي متناول الجميع، بمجرد إعادة صياغة قواعده بلغة أو لغات أخرى، بل بتلخيص علومه، وتهذيب شواهده، لا جمله وتراكيبه، وتجنيس مواده، وبيان ما يلزم كل متعلم مرحليًا، بالتركيز على كل ما هو وظيفي، وتطبيقي،

وخاصة على ما ينحو منحى واحدًا لا مناحي شتَّى.

مراجع البحث:

- البلاغة في أئمة اللغة:

الفيروزأبادي- المطبعة العصرية ط:2001/1- بيروت.

- بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب:

عبد الجليل مرتاض- ط:1988/1- دار الأشرف بيروت.

- الجمل في النحو المنسوب للخليل:

تحقيق: د.فخر الدين قباوة- ط:1985/1- مؤسسة الرسالة دمشق.

- العربية بين الطبع والتطبيع:

عبد الجليل مرتاض- ديوان المطبوعات الجامعية- 1993.

- الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية:

عبد الجليل مرتاض- دار هومة (الجزائر)- ط:2008/1.

- نور القبس الرزباني: تحقيق:

رودولف زلهايم- دار النشر فرانتسن شتاينز بقيسز بادن- 1964.

- نور القبس:

المرزوباني- تحقيق: رودلف زلهايم- دار النشر فرانتس شتاينر بقيسبادن- 1964.

الهوامش والإحالات :

1)- العربية بين الطبع والتطبيع، ص: 7.
2)- أي بفتح التاء.
3)- بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب، ص: 10.
4)- الصاحبي في فقه اللّغة، ص: 35 ابن فارس.
5)- نفسه، ص: 35.
6)- نفسه، ص: 37-38.
7)- أول من خلع نعليه لدخول الكعبة.
8)- المرجع السابق، ص: 38
9)- أن يختلف إعراب القوافي، فتكون قافية مرفوعةً، وأخرى مخفوضةً أو منصوبةً، هو في شعر الأعراب كثير، ولا يجوز لمولّد (راجع طبقات فحول الشعراء، 71/1 لابن سلاّم).
10)- الخصائص، 1/ص: 239-240.
11)- نور القبس، ص: 287-288.
12)- نفسه، ص: 288 والقائل أبو نصر أحمد بن حاتم.
13)- البلغة في تاريخ أئمة اللغة، ص: 124 الفيروز أبادي والقائل علي بن حسن الضرير النحوي الأصبهاني المعروف بجامع العلوم (توفي بعد سنة 535هـ).
14)- الصاحبي في فقه اللغة، ص: 39.
15)- طبقات النحويين واللغويين، ص: 35 أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي.
16)- الصاحبي في فقه اللغة، ص: 39.
17)- راجع طبقات النحويين واللغويين، ص: 41.
18)- نفسه، ص: 131.
19)- نفسه، ص: 131.
20)- نفسه، ص: 131.
21)- الفهرست، ص: 60 ابن النديم.

22)- بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب، ص: 130.
23)- الكتاب، 1/ص:13 سيبويه.
24)- الكتاب، 1/ص: 17.
25)- الفاضل، ص: 4 المبرد.
26)- نفسه، ص: 5.
27)- نفسه، ص: 5.
28)- البلغة في تاريخ أئمة اللغة، ص: 136.
29)- انظر طبقات النحويين واللغويين، ص: 31.
30)- الفهرست، ص: 47.
31)- البلغة في تاريخ أئمة اللغة، ص: 133.
32)- أثرنا هذه القضايا بشيء من التفصيل في كتابنا "الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية" الصادر أخيرًا.
33)- انظر الجمل في النحو، ص: 205 المنسوب للخليل.
34)- نفسه، ص: 173-174.
35)- الجمل في النحو، ص: 38-39.
36)- راجع الصاحبي في فقه اللغة، ص: 191.
37)- الجمل في النحو، ص: 40.
38)- الصاحبي في فقه اللغة، ص: 193.
39)- حطّة: أيْ حُطّ عنا أوزارنا، ويقال: هي كلمة أُمر بها بنو إسرائيل، لو قالوها لحُطَّت أوْزَارُهُم.
40)- الجمل في النحو، ص: 150-151.
41)- الجمل في النحو، ص: 155-156.
42)- الكتاب، 1/ص: 206 سيبويه
43)- نفسه، ص: 384.

أصول النظر النحوي في كتاب سيبويه

أ/فريدة بن فضة
جامعة تيزي وزو

يعتبر كتاب سيبويه أنموذجا لكل كتاب نحوي يسعى إلى اكتشاف نظام العربية بأدوات نظرية، ويزعم أنه يقدم معادلا موضوعيا لذلك النظام المغيب، وبقدر ما يستغرق صاحبه في تفسير كل الجزئيات والتفاصيل ويحيط بها ويقيد أوابدها وشواردها، ويقدم الأدلة على صحة اكتشافه للوضع القانوني الذي يحكم النص الموصوف من بين النصوص يكون أقرب الأنظار غوصا في المادة وإخبارا عن باطنها، وما ذلك إلاّ لأنّ الواصف يمازج الموصوف فيصير كأنّه يصف جزءا منه يعرضه على حسه ونفسه، ويقيس على قناعته فيسهل عنده، وكأنّه يستدل على صحة تفسيره بأثر في نفسه تركه الموصوف. فسيبويه فيما يبدو ينطلق من اللغة على أساس أنّها استعمال وما يحمل هذا الاستعمال من قواعد تتحكم فيه، ولعل القواعد التي يشتقها في شكل

نظام أصل وفرع هو الذي سيوضح المنهج الذي أراده سيبويه من تأليفه للكتاب على نظام خاص.

1- مكانة الكتاب قديما: لكتاب سيبويه مكانة عظيمة في الدرس اللغوي عند العرب، فهو أوّل كتاب وصل إلينا استطاع فيه صاحبه أن يقدم وصفا شاملا دقيقا للغة العربية في نحو ألفي صفحة تنتظم ثمانية وخمسين وخمسمائة باب (558) وعشرين وأربعمائة شَاهِد قرآني (420) وسبعة وأربعين وتسعمائة (947) بيت كامل من الشعر وستا وثلاثمائة (306) عبارة وستة وتسعين ومائتي (296) رأي لأئمة النحاة السابقين عليه وعددا لا يحصى من الأمثلة التي صاغها سيبويه قياسا على ما هو مستعمل من لغة العرب. ويعدّ الكتاب مجمعا للتراث النحوي في مرحلة زمنية تقع بين سنة تسع وستين وسنة ثمانين ومئة للهجرة (69 هـ-180 هـ) أي بين وفاة أبي الأسود الدؤلي ووفاة سيبويه ففي هذا الكتاب من تراث الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) ويونس بن حبيب (ت182هـ) وعيسى بن عمر الثقفي (ت 149 هـ) وأبي عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) وابن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117 هـ) إلى

جانب ما استنبطه سيبويه[1] ويتجلى ذلك في طريقة عرض مسائله، وتصنيف أبوابه، ونظم كلامه، فثمة أثر ظاهر ووسم خفي من نفس صاحبه وما تنطوي عليه من خبيء مقاصده ودفين نظراته ومستور فكره.

تحدث العلماء عن استغناء الكتاب في علمه عن غيره من الكتب، فهذا المبرد (ت285 هـ) يقول: «لم يُعمل كتابٌ في علم من العلوم مثل سيبويه، وذلك أن الكتب المصنفة في العلوم الأخرى مضطرة إلى غيرها وكتاب سيبويه لا يحتاج من فهمه إلى غيره»[2] بل احتاج غيره إليه، فقد كان بمنزلة خزانة للكتب احتواها بالقوة في ضميره وتمخض عنها الزمن بالفعل من بعد وفاته. وهذا وقد اعتبره العلماء - أيضا- كتاب نظر وتفسير «والمراد بالنظر والتفسير الارتقاء من حفظ النص إلى فقهه والانتقال من إيراد النص إلى الكلام فيه»[3]، قال أبو حيان النحوي (ت 745 هـ): «فالكتاب هو المرقاة إلى فهم الكتاب إذ هو المُطْلِعُ على علم الإعراب، والمبدي من معالمه ما درس والمُنْطِقُ من لسانه ما خرس»[4] ولقد تحدث ابن جنى (ت 392 هـ) عن انتظام النحاة في سلك الكتاب من بعده، لأنّه جمع مادة ضخمة

وابتكر وضعا نظريا جديدا في جمع المادة وتصنيفها[5]، قال ابن جني: «حَطَب بكتابه -وهو ألف ورقة- علمًا مبتكرًا ووضعا متجاوزا لما يُسْمَعُ ويُرى قلّما تُسْنَدُ إليه حكايةٌ أو تُوصَل به روايةٌ إلاّ الشاذُ الفذ الذي لا حَفَلَ به ولا قَدَرَ، فلولا تحفُّظ من يَلِيه ولُزُومه طريقة ما يعنيه لكَثُرَت الحكاياتُ عنه ونيطتْ أسبابها به، لكن أخلد كلّ إنسان إلى عصمته وادَّرَع جلبَاب ثِقتِه وحَمَى جانبه من صدقه وأمانته وما أريدَ من صونِ هذا العلم الشريف له به...»[6].

لقد كان الكتاب نصًا نحويًا متميّزًا تحكمه قوانين النظم والصياغة حتى استحق أن يكون متنا مقدّما يأتمُّ به من جاء بعده من النحويين. ولقد بذل سيبويه جهدا لا يقدره إلاّ من تعرض بالنظرة الفاحصة لكتابه، إذ قدم النحو موفور العناصر كامل التحليلات لا يكاد يعوزه إلاّ استخلاص الضوابط واستنباط الأصول، قدم النحو في أفكار رئيسة وأبواب شاملة، يستحضرها ويضع المعالم لها ويتعرف حاجتها من الأمثلة الحية، «مبرزا الصلة العضوية بين النظريات النحوية والاستعمالات اللغوية، فيجمعها ويصنفها،

ثم يعرضها جملة أو آحادا وينظر فيها تصعيدا وتصويبا، يحلل التراكيب، ويؤول الألفاظ، ويقدّر المضمر ويستخلص المقصود والمعنى المراد، وفي خلال ذلك يوازن ويقيس ويذكر، ويعد ويستقي الذوق»[7].

يعتبر الكتاب نبعا ثرا يرده البلاغي فيجد فيه تقسيم الكلام إلى «مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب»[8]، كما تجد فيه الحديث عن الإيجاز والحذف[9] أو «تجد في باب اللفظ للمعاني»[10] الإشارة إلى الترادف اللفظي وما للمعاني من صلة بالألفاظ اختلافا واتفاقا، وقد وجد الجرجاني (ت 474 هـ) مادة ضخمة كان لها دور ملموس في كثير من آرائه، إذ احتذى حذو سيبويه حتى في الأمثلة نفسها. ويرده الشاعر والناقد والأديبُ ليعرف ما يحتمل الشعر من ضرورات كصرف ما لا ينصرف، أو إشباع الحركة ليستقيم الوزن، أو فك المدغم أو تضعيف الحرف إلى غير ذلك[11]. كما يرده اللغوي ليتعرف على عدة الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وشديدها ورخوها وأحوال كل منها.

كما يرده القارئ ليجد فيه أصول أحكام التجويد والقراءة، كما يقدم

للنحوي أضخم مادة علمية في علم النحو، حتى إنّه لم تتح للمتأخرين فرصة الزيادة فيها إلاّ فيما ليس له خطر، هذه المادة قدمها سيبويه بصورة تختلف عمّا هو مألوف لدينا من حيث الترتيب والتبويب والمصطلحات.

2- أصول النظر النحوي عند سيبويه:

2-1- فكرة الباب: تقتضي طبيعة الاستدلال على القضايا النظرية الانتقال من عموم المشكلات النظرية المفترضة إلى خصوص الوقائع النحوية واللغوية، وذلك لبيان طبيعة العلاقة التي تشد تلك القضايا العامة بهذه الوقائع الخاصة. «وهناك سلسلة من المبادئ والقواعد المستخرجة من التأمل في الوصف النحوي يمكن اعتبارها أدوات ومواطن تطبيقية لتحقيق المناسبة بين القضايا النظرية والظواهر وهذه المبادئ أصول وجوامع كلية لها مهمّة تقييد القواعد وضبطها وتنظيم عملها»(12) وتتنوع هذه المبادئ والقواعد في كل الأبواب النحوية، ويمكن تحويل كلام المصنّف وتقسيمه بحسبها، ذلك أنّ ترتيب **أبواب الكتاب** خاضع لاعتبارات منهجية ومعرفية، ففيه الانتقال من البسيط إلى المركب، والباب اللاحق يبنى

على السابق وتقاس مسائله عليه في سلوكها و صفاتها... وذلك بحسب تداعي المعاني الذي أثر على منهجه « إذ تجد ضمن أبواب المفعول والمفعول المطلق والتوكيد والمصادر والاستفهام موزعا مسائله في أماكن شتى تبعا للمناسبات التي تستدعيها، فهو إن فكر في صناعة الأبواب لمسائل النحو إلاّ أنّه لم يستطع ضم مسائل كل باب بعضها ببعض لِيُكَوِّن منها سلاسل متصلة الحلقات متتابعة الاختصاص»[13] . هذا النظام في التبويب جعل سيبويه يضطر إلى وضع المسائل النحوية في صورة أبواب شاملة تندرج تحتها أبواب صغرى ومسائل متعلقة برأس الباب ويعتبر باب الإضمار مثالا على ذلك: (هذا باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي)[14].

ثم يأخذ في التفصيل بعد الإجمال مكونا الأبواب التالية:

(هذا باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف)[15].

(هذا باب إضمار الفعل المتروك إظهاره استغناء عنه)[16].

ثم قسم هذا الباب على أبواب صغرى على النحو الآتي:

(هذا باب ما جرى منه على الأمر والتحذير)[17].

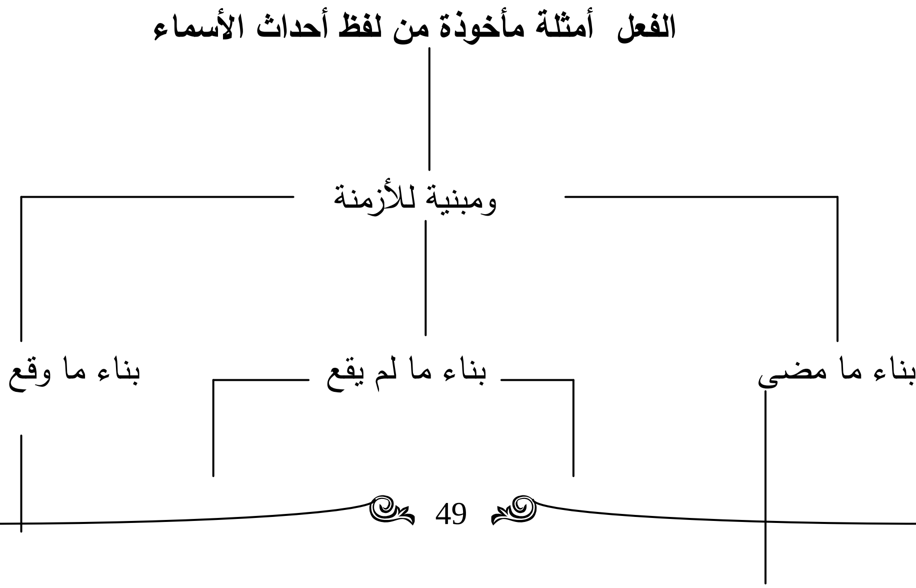
(هذا باب ما يكون معطوفا في هذا الباب على الفاعل المضمر في النية، ويكون معطوفا على المفعول، وما يكون صفة المرفوع المضمر في النية ويكون على المفعول)[18].

(هذا باب ما يحذف منه الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل)[19].

(هذا باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره في غير الأمر والنهي)[20].

وتعتبر الأبواب الأولى من الكتاب مواضع جمل وأصول، وعليها تبنى التفريعات اللاحقة، وهناك عدة أبواب صدّر بها سيبويه كتابًا مجملاً غير مفصل، ومنها الإجمال في أمثلة الأفعال وترك البيان إلى قابل: « فهذه الأمثلة التي أخذت من لفظ أحداث الأسماء ولها أبنية كثيرة ستبين إن شاء الله»[21]، حيث يتبع في هذا المثال مراحل متتالية تحاكي مراحل تولّد الفعل المتتالية: «وأمّا الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبينت لما

مضى، لما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع. فأمّا بناء ما مضى فذهب وجمع ومَكُثَ وحَمُد، وأمّا بناء ما لم يقع فإنّه قولك آمِرًا: اذهب، واقتل، واضرب، ومخبرا: يقتل ويذهب ويضرب، وكذلك بناء ما لم ينقطع و هو كائن إذا أخبرت... والأحداث نحو الضرب والقتل والحمد...»[22]. ولعلّ هذا المخطط يشرح طريقة عرض سيبويه لمسائل تفريعية تتعلق بالباب الرئيس نحو:



	الأمر	الإخبار	لإخبار للحال
ذهب- سمع	اذهب	يذهب	يذهب

ويمكن تفسير منهج الإجمال هاهنا أنّ الأبواب الأولى من الكتاب بمثابة مداخل النحو الكبرى، وإشارة إلى المفردات الأولى في علم الكلم من العربية، أو هي مخارج للظواهر ولطريقة توالدها لا استقصاء عددها وأفرادها وآحادها[23]. وعلى هذا كانت فكرة الباب عند سيبويه عبارة عن بنية مجردة ومشتملة على قواعد الباب وأصوله، أمّا التفريعات بعد تقديم الباب العام فهي ملحقات وأبواب متحدرة من الباب الأصلي. «والباب لا يخص مستوى من مستويات اللّغة ولا جانبا من جوانبها بل ينطبق على اللفظ والمعنى إفرادا وتركيبا وما هو أعلى من هذه المراتب، فالباب هو مجموعة من العناصر تنتمي إلى فئة أو صنف وتجمعها بنية واحدة»[24]. ففكرة الباب عند سيبويه غير محددة «في صورة المفهوم أو المعاني المشتركة أو النمط النحوي...بل هو (الباب) المجموعة التي تنضوي تحتها سلسلة المفاهيم النحوية/ الصرفية/ الدلالية، وتشملها قاعدة مشتركة مطردة... إن الباب يعني به الأمر الرياضي البحت كونه نموذجا

منطقيا يستعمل لرصد مجموعة من العمليات التي تملك فيما بينها علائق معينة وهو إبداع عقلي مصطنع يفترض ملاءمته لمقاربة اللّغة عن طريق التجريد البحت الذي هو آلية أساس تمكن اللّغة من أن يكون لها معنى عقلاني والخروج بالقواعد التي تنتظم تلك المجموعات التي تسمح بتوليد مجموعة لا متناهية، تملك عددا لا متناهيا من المتواليات النحوية التي تتحدد في اللّغات الطبيعية المشكلة للعلائق الواردة بين الأصول وبين العناصر المشتقة وهذا في الحقيقة مفهوم توليدي بحت»[25]. كما أنّ قواعد الباب اشتقت من لغة الاستعمال اليومي للمتكلم العربي المثالي، وهكذا يتخذ مفهوم الباب في الكتاب القاعدة الكلية التي تندرج تحتها الأجزاء والقضايا والأمثلة، ويُبنى الباب على الأمثلة والشواهد التي تحيل إلى النسق أو القاعدة، ويعزى هذا التفريع إلى إحساس صاحب الكتاب بضرورة الدقة في التصنيف، فاقتضى منه بناء كتابه على نظم مخصوص، أو نظام نظري يتكون من جمهرة من الأبواب يضم بعضها ببعض.

إن منهج سيبويه في إيراد المسائل تحت الأبواب يعتمد على أسلوب التغليب،

إذ يحشد في الباب ما يتصل به من قضايا وشواهد وأمثلة وضرائر، وتظل بعض مسائل هذا الباب منتشرة في أبواب أخرى يصلها بها روابط أخرى. ومعنى ذلك أن لكل باب من أبواب الكتاب جاذبية تستقطب المواد إنّها جاذبية تداعي المعاني.

2-2- نظام الأصل والفرع: يعتبر نظام الأصل والفرع معيارا من معايير الترتيب في الكتاب كما «يستمد ترتيب المقولات قيمته من معيار الأصول والفروع باعتباره كلية من الكليات التي تحكم بنية العربية تشدّ مفرداتها وتراكيبها وألفاظها ودلالاتها في نسق متماسك، وهذا المعيار نظام يسري في جسم العربية فيغترف كل ظواهرها حتى إنّه لمن منطلق الأشياء أن يحتفل النحو به ويخصّص له حيزا في وصفه وتفسيره للسان العرب»[26]، فلقد أشار اللغويون بعد سيبويه إلى العرب قيام نظام الأصل والفرع في عقولها، فهذا ابن جنى يقول « واعلم أنّ العرب تؤثر من التجانس والتشابه وحمل الفرع على الأصل ما إذا تأملته عرفت منه قوة عنايتها بهذا الشأن»[27] مثلما نسب إليها قبل، قيام العلل في عقولها «إن

العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها»[28]، فالأصول مراجع يرجع إليها ولا تراجع عنها لأنها أوائل، وليس تحت الأصل ما يرجع إليه على خلاف الفروع التي تظل مشدودة إلى مرجعه الأول، وهذا سمت العرب في كلامها تأنس به ولا تنبو عنه.

يصدر سيبويه في صناعة النحو العربي عن معرفة واعية للموضوع وتصور سابق للمنهج وهناك مجموعة من القواعد المتناثرة في الكتاب تكشف عن أسلوب في النظر النحوي عنده، متخذا من الأمثلة ضوابط وكليات، ويمكن ترتيب تلك القواعد على النحو الآتي:

- منها قواعد تخصّ مبحث علم الكلم، فممّا يتصّل بالتعريف والتنكير قوله: «النكرة أخف عليهم من المعرفة، وهي أشدُّ تمكنا لأن النكرة أول... لأنّ الأشياء إنّما تكون نكرة ثمّ تعرف»[29] وهذه القاعدة تثبت أصالة وأولية النكرة، وفرعية المعرفة.

وممّا يتعلق بالتذكير والتأنيث أنّ المذكر أخفّ عليهم من المؤنث لأن المذكر

أوّل وهو أشدُّ تمكنا وإنّما يخرج التأنيث من التذكير... وأنّ الأشياء أصلها التذكير ثم تختص بعد...فالتذكير أوّل...وهو أشدُّ تمكنا عندهم[30] وهذا دليل على أن المذكر أصل والمؤنث فرع.

- ومن قواعد ترتيب العامل والمعمول، فالأصل في الجملة الاسمية أن يتقدم الاسم فيها إذا عمل والمبتدأ يعمل فيما بعده كعمل الفعل فيما يكون بعده، ومنه أن تأخير الخبر على الابتداء أقوى لأنه عامل فيه[31]، وأن الحد أن يكون الفعل مبتدأ إذا عمل، وكلما أردت الإلغاء (إلغاء العمل) فالتأخير أقوى.

- ومن قواعد الإسناد والتركيب أن الفعل لا بدّ له من الاسم، وإلاّ لم يكن كلاما والكلام هو القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد ما دل على المعنى يحسن السكوت عليه[32] وحد تركيب الجملة عند سيبويه هو المسند والمسند إليه، ولا يمكن استغناء أحدهما عن الآخر، «وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا»[33] وهذا الباب يفصح، بصفة خاصة عن التصور العام للأبنية الدلالية وأقسام عناصرها عند سيبويه وذلك بتجاوز ظاهر الأمور وواقع الاستعمال

بحثا عن اندراجها في نظام متكامل رغم اختلاف معطياتها متماسك رغم تنوع مكوناته، ويرجع ما هو في واقعة الاستعمالات الفردية في مقامات متباينة وأغراض مختلفة إلى نمط موحد يفي بكل كلام مهما كانت دواعيه وغاياته، ومهما كان مجال تصرف المتكلم فيه، ويعتبر باب الإسناد هذا من المفاهيم الجوهرية المؤسسة للنظرية النحوية العربية.

- ومن قواعد الإظهار والإضمار، أن الإظهار هو الأول والأقوي، أي أنه أصل وأن الإضمار فرع.

- ومن قواعد وضع اللفظ في الأصل أنّ ما جاء على ثلاثة أحرف... أكثر الكلام في كل شيء من الأسماء والأفعال وغيرها، مَزيدًا فيه وغير مزيد فيه، وذلك لأنه أوّل...ثم ما كان على الأربعة أحرف بعده، ثم بنات الخمسة، وهي أقصى الغاية في الكثرة[34].

- ومن قواعد الحذف والاستعمال أنّهم يحذفون ما يكثر استعماله في الكلام وهم مما يحذفون الأكثر في كلامهم[35].

- ومن قواعد الحذف مع الخروج عن الأصل، أنهم مما يحذفون الكَلِمَ وإن كان أصله في الكلام غير ذلك[36].

- ومن قواعد الحذف بدليل أن العرب تحذف تخفيفا واكتفاء بعلم المخاطب ما يعني [37].

- ومن قواعد الحذف لطول الكلام أنه إذا طال الكلام كان الحذف أجمل وكأنه يصير من شيء [38].

- ومن قواعد الحذف والاستغناء أن أول الكلام أبدا الابتداء، إلاّ أن تدعه استغناء بإقبال المخاطب عليك... ومنه أنهم يستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطا [39].

وهناك جملة من قواعد الأصل والفرع تتوزع على مجموعة من المفاهيم منها: الحمل، والإجراء، والرد إلى الأصل، ولزوم الأصل، والخروج على الأصل، وطرد الباب.

- فمن قواعد الإجراء على الأصل أن الشيء يجري على الأصل إن لم تأت علة تخرجه عن أصله، وأن الأسماء لا تجري مجرى المصادر، لأنه يقبح أن يجري غير المصدر كالمصدر.

- ومن قواعد الحمل أنّه لا تحمل صفة الاثنين على الواحد، لأن الأصل المطابقة بين الصفة والموصوف، ومن الحمل على

الوجه البعيد أنّه قد يوجه الشيء على الشيء البعيد إذا لم يوجد غيره [40].

- ومن قواعد الرّد إلى الأصل أنّ الإضافة تردّ الأشياء إلى أصولها إذا أضفت إلى مضمر رددته إلى الأصل، وأن الألف واللام ترد الأشياء إلى أصولها، ومنه أن التسمية تردّ الأشياء إلى أصولها وهناك أقيسة جرى فيها الخليل وأبو الخطاب الأخفش على منهاج لمح الأصل، خلافا ليونس، وهو ما يقوي اعتبار الاستعمال ممّا يردّ الأشياء إلى أصولها أو ينبه عليها [41].

- ومن قواعد لزوم الأصل أنّه ليس كل شيء في كلامهم يغيّر عن الأصل، لأنّه ليس بالقياس عندهم، فكرهوا ترك الأصل [42].

- ومن قواعد الخروج على الأصل أنّ من كلامهم أن يجعلوا الشيء موضعًا على غير حاله في سائر الكلام، وأنّه قد يشذ الشيء في كلامهم عن نظائره ويستخفون الشيء في موضع ولا يستخفونه في غيره [43].

- ومن قواعد القياس وطرد الباب أنّه لا ينبغي لك أن تكسر الباب وهو مطرد وأنت تجد له نظائر ومنه أنّه لا ينبغي لك أن تقيس على الشاذ المنكر في القياس [44].

- ومن قواعد الشبه والنظير أنّ من كلامهم أن يشبهوا الشيء بالشيء وإن لم يكن مثله، ومنها أنّ العرب ممّا يبنون الأشياء إذا تقاربت على بناء واحد، ومن كلامهم أن يدخلوا في تلك الأشياء غير ذلك[45].

- ومن قواعد القلّة والكثرة، أنّ الكثرة أصل محكم، ويتخرّج عليه، وأن الشيء إذا كثر في كلامهم كان له نحو ليس لغيره ممّا هو مثله، وأنّ الشواذ في كلامهم كثيرة، وأنّ الأقل نوادر تحفظ عن العرب ولا يقاس عليها ولكن الأكثر يقاس عليه[46].

- ومن قواعد السّماع أنّه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام، وأنّ القراءة لا تخالف لأن القراءة السّنة[47].

- ومن قواعد المعنى ما يتصل بمذاهب العرب في الكلام، «ومن كلامهم أن يجعلوا الشيء في موضع على غير حاله في سائر الكلام»[48].

فهذه جملة من القواعد التي تعتبر عناوين الأبواب، ولم يؤت بها في هذا المقام بشكل إحصائي، وإنّما جيء بها للاستدلال على طريقة النظر النحوي عند سيبويه في تجريد الأحكام من المسائل

«وعلى صدور النحو عن مرتفق مكين ونظام محكم يصنف المفردات والظواهر إلى أصول ثابتة، متناولة قبلا بالوضع، وفروع متحدّرة منها ومتنامية تتولّد عنها ظواهر جديدة وتتوسّع، وتمتد إلى آفاق الاستعمال المختلفة التي تتنوع فيها مذاهب القول، ولكنّها تظل وفيّة لأوضاع الواضع ملتزمة بأقيسة غير تاركة أصله ولا ناسخة شرعه»[49]، وذلك لأن الأصول- على حد تعبير الحاج صالح- هي بمنزلة المسلمات، والمعطيات عامة التي ينطلق منها الباحث فيحوّلها بعدد من العمليات بضوابط هي المثل هي نفسها أصول من هذه الحيثية[50] والقواعد التي سردناها سابقا -في الحقيقة- تتمثل في قواعد الاستعمال « فالاستعمال له هو أيضا قوانينه وهي غير القوانين التي يخضع لها الوضع والقياس وهي التي تنبني عليه أحوال التبليغ وقد قلنا بأن مستوى التبليغ والإفادة غير مستوى الوضع المصطلح عليه، لأنّ هذا الأخير وإن كان هو الرابط الذي يرتبط به المتكلم بالمخاطب، إلاّ أنّه قد تصيبه عوارض الاستعمال وهي عوامل جدّ طبيعية ولها قوانينها الخاصة بها وبالتالي قد تخضع لقياس آخر إذا كثرت واطردت»[51].

ولقد سعى سيبويه إلى تحليل وتفسير التراكيب اللغوية بتقدير أصولها وبيان فروعها، فإذا كان الإظهار أصلا فإنّ الإضمار وهو ضد الإظهار فرع. فسيبويه عندما يقنن قاعدة نحوية معينة في صورة أصل، كتقنين أن الجملة في العربية تتركب من مسند ومسند إليه متبادلين موقعيا لا ينسى أن يصف الوجوه الممكنة لتمثّل القاعدة، مدركا قضايا الاستعمال اللغوي من حذف وتقديم وتأخير وغيرها من القضايا السياقية التي تتعلق بالمتكلم المنجز الفعلي للحدث اللغوي.

2-3- اللّغة المنطوقة (spoken language): تنطلق التداولية من اللّغة كونها استعمالا حيا، أي لغة منطوقة فعلا، ونقصد باللّغة المنطوقة: « لغة التخاطب اليومي التي نستخدمها في مجالات الحياة المختلفة، كما في عمليات البيع والشراء وفي الندوات الثقافية والعلمية وفي الحوار الذي يدور بين الأهل والأصدقاء [...] وهي اللّغة التي نستعملها في أحاديث الصدق والكذب وفي إخفاء أفكارنا عن الآخرين...»[52] وبتعبير أدق إن اللّغة المنطوقة هي الكلام، ولقد كان متصور اللّغة في مرحلة التنظير عند سيبويه

مرتبطا الارتباط الشديد بالكلام، لأنّ اللّغة لا تدرك هويتها إلا انطلاقا من كل الإنجازات التي تمثل الكلام العربي « وتَدَخُلُ النحوي في هذا المنجز بالتنظير يعني محاولة نقل اللّغة من مفهوم الكلام إلى مفهوم اللسان بما هو جملة من القواعد والأحكام والمعايير»[53] ويمكن تمثيل ذلك كما يلي:

لغة ـ ـ ـ ـ ـ ◄ كلام ـ ـ ـ ـ ـ ◄ لسان

(langage) (parole) (langue)

والملاحظ، ونحن نتصفح الكتاب يكثر سيبويه استعمال مصطلح الكلام ويدل هذا الأخير عنده على:

- الخطاب المنجز في إطار لغة (لهجة) إنجازا جماعيا وما يدلّ على ذلك قوله: «وسمعنا من العرب من يقول ممن يوثق به: (اجتمعت أهل اليمامة) لأنّه يقول في كلامه (اجتمعت اليمامة) يعني أهل اليمامة»[54].

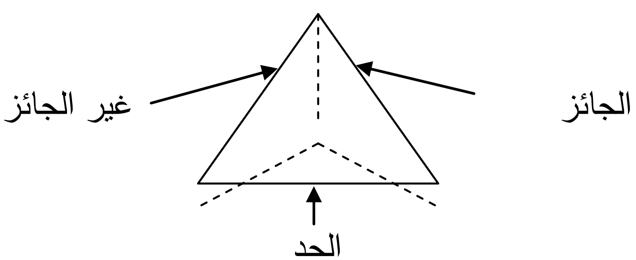
- وما ينجز إنجازًا جماعيا باتفاق لغات العرب ولذلك فإنّه قد يضاف لفظ الكلام إلى العرب أو ما يدل عليهم كقول صاحب الكتاب: «لم يجئ مثل حضرموت في كلام العرب»[55].

- الاستعمال النموذجي: وهو استعمال مستقى من الاتفاق اللغوي ومن القاسم المشترك بين جميع اللغات، وعادة ما يضاف إلى عبارة كلام في هذا السياق عبارة **حدّ** أو **وجه** فيقال **وجه الكلام** أو **حدّ الكلام**، يقول سيبويه: مستعملا هذه العبارة « ألا ترى أن حدّ الكلام أن تؤخر الفعل فتقول: أيهم رأيت»[(56)]. ولقد اقتصرنا في أشهر هذه الاستعمالات على ما كان من الكلام متعلقا باللّغة ورغم شهرة هذه المعاني وتواترها في الكتاب فإنها لم تكن الوحيدة، وإنّما الجامع بينهما هو الالتزام بمبادئ العادة اللغوية التزاما عرفيا سواء أكانت تلك العادة راجعة إلى جماعة لغوية صغرى أم إلى جماعة لغوية كبرى...[(57)] وبهذا شكلت اللّغة المنطوقة في الكتاب حيزا كبيرا، والدليل على ذلك العبارات التي استخدمها سيبويه للإشارة إلى أن الظاهرة اللغوية التي يدرسها تتصل باللّغة المنطوقة، ومن بين تلك العبارات -إضافة إلى التي ذكرناها سابقا- نجد: تقول، تخاطبني، تحدث، وأنت تحدثه ويضاف إلى ذلك أن سيبويه رأى أن هناك بعض التراكيب التي تدور بين شخصين أو أكثر على نحو ما نجده في لغة المحادثة،

والتي هي عملية الاتصال اللغوي بين المتكلم والمخاطب أو بين جماعة لغوية.

ولقد ذهب اهتمام اللغويين في العصر الحديث إلى تحليل اللّغة المستعملة في المحادثة اليومية بهدف الكشف عن الظواهر النحوية والأسلوبية الخاصة بها مع ربطها بالسياق الاجتماعي، أو المناسبة الخاصة بالمحادثة، وقد ثبت أنّ لسيبويه السبق إلى تحليل التراكيب اللغوية بالاعتماد على السياق الخارجي، فهو لا يُجيز أن تقول: **هذا أنت** ويجيز **هذا هو** معتمدا على بعد خارجي محض، فيقول: «ولا يكون لك أن تضمر هذا لأنّك لست تشير للمخاطب إلى نفسه، ولا تحتاج إلى ذلك وإنّما تشير له إلى غيره»(58). ومن المعلوم -أيضا- أنّ قواعد النحو العربي إنما استنبطت من خلال الاستقراء الموسع والتتبع الدقيق لتصرفات العرب في كلامها، فما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب والنحو هو انتحاء سمت العرب في كلامهم، فكانت القاعدة في النحو العربي تحتكم إلى أسس عميقة انبنت عليها وتمثلت في ركنين أساسيين لكل ركن منهما ما يقابله وهما: القياس والإجماع، وبحسب قرب الشكل المنجز من هذا النموذج

المزدوج أو بعده يكون الحكم عليه إمّا بالأصلية أو بالجوار أو بالمنع، وكل هذه أحكام تدل من حيث العدد والتدرج على المرونة في التعامل مع الظاهرة اللغوية، فليس في أصل القاعدة وجهان أحدهما صائب والثاني مخطئ كما يعتقد، بل فيها ثلاثة أحكام يكون فيها الجائز بابا وسيطا بين الصواب المطلق والخطأ المطلق[59]، وهكذا قامت القاعدة في النحو العربي انطلاقا ممّا هو مستعمل من لغة العرب، فكانت أحكام القاعدة في الكتاب على شكل ثلاثية هرمية متوزعة بين الحد الذي يرتبط بالقياس المطرد، والجائز الذي لا يطرد فيه قياس وغير الجائز الذي لا يجد له مكانا داخل القياس. وكان سيبويه « حذرًا في إصدار الحكم الأخير على الكلام وإنّما كان يبحث له عن علل ولعلّ ذلك راجع إلى قرب زمن التقعيد من زمن الإنجاز»[60] ويمكن تمثيل مخطط القاعدة عند سيبويه على النحو الآتي:



إضافة إلى هذا فقد كان لسيبويه إشارات إلى اللهجات وتباينها في الاستعمال اللغوي، وكان حريصا على توجيه كل استعمال وإبداء الرأي فيه، وكانت اللهجتان التميمية والحجازية أكثر حظوة في هذا الشكل المنجز أو المستعمل، واهتمام سيبويه باللهجات وتسجيل استعمالاتها يدفعنا إلى القول بأنّ سيبويه في معظم مادته كان معنيا باللّغة المنطوقة، ومدركا لما يطرأ على الكلام من اختلافات بسبب البيئة أو الحالة الاجتماعية أو الثقافية وهذه نظرة لافتة للانتباه في عرف علم اللّغة الحديث[61]، وهكذا كان عمل سيبويه في كتابه **دائرًا حول الكلام الحي**، الشيء الذي يجعل النحو الذي بناه يقرب ممّا يصطلح عليه (Lucien TESNIERE) بالنحو الحركي أو الوظيفي، وهو نحو يهدف إلى تنظيم الجملة الحية، إلى جانب هذا فإنّ التداولية تدرس اللّغة من خلال الاستعمال الفعلي الحي لها.

فسيبويه -فيما يبدو- نظر إلى الظاهرة اللغوية في خطين: ثابت يمثل القاعدة (المعيار)، ومتحول أو معدول يمثل الوجوه التي تتجلى من خلال الاستعمال الفعلي للغة وكأن هذا الأخير

هو الذي سيؤسس للنحو أو لقواعد التركيب، أي انطلاقا من الاستعمال نصل إلى النحو باعتباره نظاما ثم التداول لنعود في آخر المطاف إلى الاستعمال، ويمكن توضيح ذلك كما يلي:

استعمال ← نحو (قواعد) ← تداول ← استعمال

فسيبويه في منهجه لم يكن معياريا صرفا، ولا وصفيا صرفا، ولكن كان حصيفا ذكيا أدرك أنّ الوصف والمعيار لا ينفصلان، فاللغة لها وصفان:

- وصف اجتماعي يمثله الاستعمال الحقيقي لها بعدوله عن مستويات اللّغة من صوتية وصرفية ومعجمية وتركيبية ودلالية.

- ووصف رياضي تمثله المعايير المجرّدة والقواعد الثابتة التي بين أجزاء الكلم بنية وتركيبا.

الهوامش:

(1) - محمد خير الحلواني، **أصول النحو العربي،** (د ط). حلب: 1979، مطبعة الشرق بحلوح، ص17.
(2)- عبد القادر بن عمر البغدادي، **خزانة الأدب ولبّ لسان العرب،** (طبعة بولاق). بيروت: (د ت)، دار صادر، ج1 ص179.
(3)- عبد الرحمن بودرع، **الأساس المعرفي للغويات العربية،** ط1. المغرب: 2000، منشورات نادي الكتاب لكلية الآداب بتطوان ص75.
(4)- أبو حيان محمد بن يونس النحوي، **البحر المحيط**، ط2. د ب: 1983، دار الفكر، ج1، ص3.
(5)- عبد الرحمن بودرع، **الأساس المعرفي للغويات العربية،** ص75.
(6)- ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**، تح: علي النجار، ط2. مصر: 1986، الهيئة المصرية العامة للكتاب ج 3، ص312.
(7) - عوض حمد القوزي، **المصطلح النحوي،** ط1. الجزائر: 1983، ديوان المطبوعات الجامعية، ص123.
(8) - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تح: عبد السلام محمد هارون، ط:1. بيروت: د ت، دار الجيل، ج1، ص25.

(9) - المصدر نفسه، ج1، ص211.
(10)- المصدر نفسه، ج1، ص24.
(11)- عوض حمد القوزي، **المصطلح النحوي**، ص124.
(12)- عبد الرحمن بودرع، **الأساس المعرفي للغويات العربية**، ص23.
(13)- عوض حمد القوزي، **المصطلح النحوي...**، ص126.
(14)- سيبويه، **الكتاب**، ج 1، ص257.
(15)- المصدر نفسه، ج 1، ص258.
(16)- المصدر نفسه، ج 1، ص273
(17)- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(18)-المصدر نفسه، ج 1، ص277.
(19)- المصدر نفسه، ج 1، ص208.
(20)- المصدر نفسه، ج 1، ص209.
(21)- المصدر نفسه، ج 1، ص12.
(22)- المصدر نفسه، ج 1، الصفحة نفسها.
(23)- عبد الرحمن بودرع، **الأساس المعرفي للغويات العربية**، ص87.
(24)-عبد الرحمن الحاج صالح، **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، الجزائر: 2007، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، ج 1، ص318.
(25)- صالح بلعيد، **الخليل بن أحمد عبقري العرب**، كراسات مركز البحث العلمي والتقني

لتطوير اللّغة العربية الجزائر: 2006، العدد: 1، ص49-50-51.

(26) -عبد الرحمن بودرع، **الأساس المعرفي للغويات العربية**، ص111-112.

(27) - ابن جنى، **الخصائص**، ج1، ص112.

(28)- الزجاجي، **الإيضاح في علل النحو**، تح: مازن المبارك، ط3. بيروت: 1986، دار النفائس، ص66.

(29)- سيبويه، **الكتاب**، ج1، ص22، 241-242.

(30)- المصدر نفسه، ج 1، ص22، 131، ج 3، ص241-242.

(31)- المصدر نفسه، ج 1، ص56، 119-120، 126، ج 2، ص87، 124.

(32)-عبد القادر المهيري، **نظرات في التراث اللغوي** ط1. بيروت- لبنان: 1993، دار الغرب الإسلامي، ص34.

(33)- سيبويه، **الكتاب**، ج 1، ص23.

(34)-المصدر نفسه، ج 4، ص229-230.

(35)-المصدر نفسه، ج 2 ، ص 294-295، 369، ج3، ص 504-505.

(36)- المصدر نفسه، ج 1، ص24.

(37)- المصدر نفسه، ج 2، ص344، 346.

(38)-المصدر نفسه، ج 2، ص38.

(39)- المصدر نفسه، ج 1، ص23-24-25.

(40)-المصدر نفسه، ج 2، ص150، 373.

(41)- المصدر نفسه، ج 2، ص 182، 184- 185.

(42)- المصدر نفسه، ج 2، ص213.

(43)- المصدر نفسه، ج 1، ص51، 210.

(44)- المصدر نفسه، ج 2، ص 376، 402.

(45) – المصدر نفسه، ج 1، ص 182، ج 2، ص377، ج 4، ص12.

(46)– المصدر نفسه ، ج 2، ص115، 196، ج4، ص8.

(47)- المصدر نفسه، ج 1، ص26، 148.

(48)- المصدر نفسه، ج 1، ص51.

(49)- عبد الرحمن بودرع، **الأساس المعرفي للغويات العربية**، ص122.

(50)- عبد الرحمن الحاج صالح، **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، ص322.

(51)- عبد الرحمن حاج الصالح، **"ظواهر اللسان والتبليغ في منظور اللسانيات"**، العدد: 4، مجلة في علم اللسان البشري (تصدرها جامعة الجزائر): 1973م/1974م ص38.

(52)- محمود سليمان ياقوت، **التراكيب غير الصحيحة نحويا في (الكتاب) لسيبويه- دراسة لغوية**، الإسكندرية: 2002 دار المعرفة الجامعية، ص406.

(53)- توفيق قريرة، **المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب**، ط1. تونس: 2003، دار محمد علي للنشر، ص244.

(54)- سيبويه، **الكتاب**، ج 1، ص53.

(55)- المصدر نفسه، ج 3، ص259 وينظر: ج1، ص53.

(56)- المصدر نفسه، ج 1، ص126.

(57)- توفيق قريرة، **المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب...**، ص216.

(58)- سيبويه، **الكتاب**، ج1، ص141.

(59)-توفيق قريرة، **المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب**، ص243.

(60)-المرجع نفسه، ص244.

(61)-كمال بشر، **صفحات من كتاب اللّغة**، القاهرة:2004، دار غريب للطباعة والنشر، ص101.

توحيد مناهج اللغة العربية
في الأقطار العربية : "العوائق والحلول"

عبد الله أبو هيف (سورية)

مناهج اللغة العربية أصيلة ومتطورة في الموروثات اللغوية والثقافية، ومتعمقة في نظمها وقواعدها، وملتزمة برؤاها العلمية، وقوانينها اللغوية واللسانية بنى ووظائف، وممثلة لعناصر التمثيل الثقافي في مكونات الأعراف والطقوس والتقاليد والأديان والمعتقدات والأفكار، لتمتين الأسس الوطنية والقومية، وتجليات وعي التاريخ والذات العامة في مستوياته المختلفة، مما تفّعل عمليات المنهجية علمياً ومعرفياً من الصوتيات، والتشكيليات الصوتية، والنحويات، والمعجميات، والدلالات، إلى المنهجيات الحديثة العديدة كالتداوليات، والتركيبيات، والمعياريات

... الخ.

ما تزال العناية القصوى بتوحيد مناهج اللغة العربية في الأقطار العربية منشودة لمواجهة الفتن الداخلية والاستهدافات الأجنبية الخارجية خلاصاً من رؤى العوائق وتجلياً لرؤى الحلول لترسيخ اللغة العربية في الوجود الوطني والقومي بعامة والقضايا الثقافية والاجتماعية بخاصة.

1 - مناهج اللغة العربية :

يرتهن مفهوم المنهج بالبحث والنظرية والتطبيق إزاء القواعد اللغوية وطرائق الكشف عن طبيعتها وحقائقها ومنتوجاتها من جهة، ونظم تحليل المقدمات والمحتويات والنتائج نظرياً وعلمياً ومعرفياً ومعيارياً واستنتاجياً من طرائق الأطر النظرية والتحليلية والتطبيقية من جهة أخرى. وتقوم مناهج البحث اللغوي على النظم التالية :

- الصوتية : (اللفظ والجهر والصوت والجرس والحس و النطق ....الخ)
- التشكيلية الصوتية : (التنويع بين الصحيح والتعليل، التوظيف والتفريق، السياق والموقع، النبر و التنغيم ....الخ).
- الصرفية : (الصيغ والاشتقاق والإضافة والملحق والتصريف و الممنوع من الصرف) .
- النحوية : (المعرب، المبنى، المنسوخ، الضمائر، الأفعال، الأسماء، قواعد الاستصحاب، الترادف، الاقتراض، الإضافة، التيسير ....الخ).
- المعجمية: (الإيضاح، الشرح، الفروق، مواقع الكلمات والضمائر، التفسير، الحوسبة ..الخ).
- الدلالية: (المعنى، العلامة، الإشارة، السياق، الترادف، الاشتراك، الاشتمال، التضاد، التباين، الحقيقة والمجاز، الافتراض ...الخ).
- التداولية: (الفاعلية والتفعيل والتوظيف الظاهر والكامن).
- التركيبية: (الاشتقاق والتشكيل والتصنيف والأسلوبية).

- المعيارية : (التفريع والتصنيف والتعقيد والتركين القاعدي) .
- العلائقية : (اللفظ والملفوظية) .
- التحويلية : (المكونات والقواعد والبلاغة والإبلاغ) .
- التوليدية : (البنى و التفسير) .

لا فروق بين المناهج اللغوية الأصيلة وتطويراتها الحديثة، بل هي شديدة التواصل بين المكونات اللغوية، ومعطياتها التقنية نظرياً وتطبيقياً ضمن خصائص اللغة العربية وقضاياها، وتعتمد منهجية البحث في اللغة على المراحل التالية :

1-1 - التخطيط، فيما يخصّ إطار البحث وتفاصيله، وتحديد محتواه، وطرائق مناقشة موضوعه، واتجاهاته اللغوية والنقدية، وتفاصيل البنى والتحرير والتحليل، والنتائج، ووضع المخططات، والمواد المدروسة، والمصادر والمراجع ... إلخ

إن التخطيط من أبرز أسس المناهج،

وله شروطه في عون التعلم والتعليم اللغوي، عندما تراعى الدوافع في التعلم المدرسي، وعوامل النضج عند المتعلم في التعليم المدرسي أيضاً، والممارسة الواعية للخصائص اللغوية ونظمها ما بين المفاهيم القديمة والحديثة، وأهمها، برأي الباحث عيسى خليل محسن، تثبيت التخطيط بتطوير المناهج، وتعزيز مفاهيمها، ووظيفية المواد اللغوية التعليمية، وربط محتوى المناهج بواقع المجتمع، من حيث مشكلاته واحتياجاته وإمكاناته ومتطلباته، ومعايير ملاءمة المنهجية وأنواعها، بما لا تنقطع الخصائص اللغوية الدراسية وحاجات المتعلمين ومجتمعهم، ومقدراته على حل المشكلات والإشكاليات اللغوية، واستخدام الأساسيات في بناء المنهج اللغوي، لأن " تعلم الأساسيات يساعد على زيادة فهم التلاميذ، كما يدرسون من القواعد المقبولة، عند رجال التربية وعلم النفس حيث أن التعلم يكون أكثر فاعلية، عندما تكون المادة المتعلمة ذات معنى للتلاميذ " (1) .

لا شك في أن التخطيط اللغوي من أبرز أسس المنهجيات حماية لأطر التعلم اللغوي واشتراطاته فيما يخصّ الأشكال والمحتويات

1- 2 - العتبات النصية، كالعنونة الرئيسة، والعنوانات الداخلية، والإهداءات، ومفاتيح القول والكلام والنص، والهوامش والإحالات، والوثائق، والصور والملاحق، في الإلماح أو الإفصاح عن تركيبها وغموضها وتقديرها وهناك العتبات النصية الكامنة في منشورات المتناصات العالية، لأنها أعمق من مجرد التضمين المباشر.

1 - 3 - مجاوزة مشكلات البحث وإشكالياته، على أن المنهجية تتطلب الإضاءة العلمية والمعرفية للموضوع المدروس، إذ أن جوهر البحث هو تقصيه للمشكلة أو الإشكالية المدروسة، عند تناول الشكل والمحتوى، وأفادت دراسة " منهجية البحث " عند ماثيو جيدير، الأستاذ في جامعة ليون الثانية، أن " تتوقف الإشكالية على الموضوع المعالج ووجهة النظر المختارة لمعالجته، وكل

مجال دراسي يملك مجموعة من الإشكاليات المتواترة وشبه المستعصية، والتي ينبغي للباحث أن يأخذها بالحسبان حين يتناول نقطة معينة من المجال "([2]).

رأى اللغوي محمود فهمي حجازي أن المناهج اللغوية العربية مرتبطة بمجالاتها أولاً، كالأصوات، وبناء الكلمة، وبناء الجملة، والدلالة، وبمناهج علم اللغة الحديث ثانيا، كمعلم اللغة المقارن، والوصفي، والتاريخي، والتقابلي، وبعلم اللغة العام والعلوم الإنسانية ثالثاً، وفي مقدمتها علم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، إلى جانب طبيعة اللغة ووظيفتها، " ويشترك علم اللغة مع بعض العلوم الطبية فيما يتعلق بعلم أمراض الكلام وهكذا أدى تنوع المعرفة الإنسانية وانفجار المعرفة إلى زيادة حجم المعلومات المتاحة من جانب، وإلى ضرورة التعاون بين اللغويين وغيرهم من الجانب الآخر، فنشأت تخصصات جديدة "([3])

إن مجاوزة مشكلات البحث وإشكالياته محكومة بعلم اللغة العربية ومنهجياتها

ومعارفها وخصوصياتها شكلا ومحتوى.

1 - 4 - ارتهان تحرير البحث بقواعد الاتجاهات الدراسية والنقدية في علم اللغة، من المقارن والتاريخي، إلى النفسي والاجتماعي والجغرافي والوصفي والبنيوي والتوليدي والتحويلي والتوزيعي والدلالي والتداولي .. الخ وهذا هو مستند الرؤية العلمية في المنهجية، اهتماماً بالمنهج المقارن والتاريخي للإفادة في المناهج والاتجاهات الأساسية والمتطورة والحديثة، ولا يخفى أن هذه المناهج والاتجاهات لا تنقطع عن الموروثات وجهود المنهجية العلمية عند اللغويين العرب القدامى أمثال ابن جني، وابن الأنباري، وابن هشام، وعبد القاهر الجرجاني، وجلال الدين السيوطي، وابن قتيبة، وابن مضاء القرطبي، وسيبويه وغيرهم.

1 - 5 - العناية بالمقدمة أو التمهيد، وبالخاتمة أو الاستخلاصات والنتائج لتوضيح الموضوع المعالج، ففي المقدمة أو التمهيد تحدد أبعاد الموضوع

وطرائق بحثه وخصائص المنهج أو الاتجاه الملتزم، وفي الخاتمة أو الاستخلاصات والنتائج يفصح البحث عن مدى التقيد بالمنهجية العلمية والمعرفية.

1 - 6 - الالتزام بالنظرية والتطبيق في البحث المدروس وفق المنهجية المقررة، وقوام النظرية هو المفاهيم والمصطلحات والطرائق والقواعد والتيارات الدراسية والنقدية، وهناك العديد من المناهج والاتجاهات المعبرة عن النظريات وتطبيقها، كالتاريخي والمقارن والوصفي والوظيفي، والتحويلي التوليدي، والتداولي، وكلما تعمق البحث في المنهجية عند التقيد بهذا المنهج أو ذاك، تضاء البنى والأبعاد والرؤى والقضايا اللغوية، ففي المنهج أو الاتجاه الوظيفي على سبيل المثال تتكشف المعاني والمدلولات والقيم والعلاقات والقرائن والمباني وقواعد التعبير. وقد أظهر الباحث عطا محمد موسى في دراسته لمناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين أن " أبرز ما في النحو الوظيفي أنه ينظر إلى البعد

التداولي على أنه عماد اللغة، وأن الوظائف، بوحي من ذلك، تعتمد مفاهيم أولى لا مشتقة من بنيات أخرى، كما في النحو التحويلي، كما أن إسناد الحالات الإعرابية يتم في ضوء ثلاثة أنماط من الوظائف هي : التركيبية و الدلالية والتداولية إلا أن الأمر يقتضي الإشارة إلى بعض الصعوبات التي تعترض الأخذ بهذا المنحى على الرغم من أنه يتسم بالواقعية اللغوية "([4]).

يتطلب الالتزام بالنظرية والتطبيق تحديد المنهجيات المقررة للتعبير عن الوظائف اللغوية والثقافية، ولاسيما المفاهيم والمصطلحات والطرائق والقواعد والتيارات الدراسية والنقدية نحو ضبط منهجية البحث في اللغة العربية .

2 - الإطار النظري المنهجي :

يرتهن الإطار النظري المنهجي بالمنظورات والمعايير، وأساسها الرؤى العلمية والقوانين اللغوية واللسانية، وهي ملامح عامة وخاصة متأصلة في

الموروثات اللغوية العربية عند الجرجاني وأبي علي الفارسي وابن جني والسكاكي وابن جزم والسيوطي و أحمد بن فارس وغيرهم، ورسخ اللغوي عمار ساسي هذه الرؤى في المبادئ التالية :

أ – الانطلاق من أن اللغة نظام .

ب – اللغة ظاهرة اجتماعية، وترتبط البنية اللغوية فيها بوظيفة الاتصال التي تؤديها اللغة .

ج – تلازم اللغة والتفكير .

د – التتام بين النطق والتفكير ووظيفة الإبلاغ منذ بداءة نشأة الكلام الإنساني .

هـ– التلاقي بين المحسوس والمجرد، واكتمال أصوات اللغة وتعبير مفرداتها عن المجردات، وضبط نظام قواعدها الصرفية والنحوية والتركيبية .

و – توثيق الترادف اللغوي ألفاظاً وتسميات حسية وتفكيراً وإدراكاً بعد التركيز في تجريدات .

ز – تأليف النظام اللغوي في

مستوياته العديدة، ولاسيما البنى الصوتية والصيغ الصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية .

ح - دراسة النظام اللغوي وتطوراته من التاريخ والمقارنة والمفارقة إلى خصوصياته في التعبير عن عناصر التمثيل الثقافي. و "من أجل فهم أسرار إعجازه العلمي في الدراسة اللغوية لا بد من التعمق في فهم المنهج التاريخي العلمي في الدراسة اللغوية، مع تأكيد إنكار ظاهرة الترادف والبحث عن الفروق الدقيقة بين ما يظن أنه من المترادفات " [5] .

يتكامل الإطار النظري المنهجي بالمنظورات والمعايير في الأطراف اللغوية التالية :

2 - 1 - منظورات الإطار النظري المنهجي :

إنّ منظورات الإطار النظري المنهجي تستند إلى النظرية اللغوية العربية في مفرداتها وتراكيبها وقواعدها لإظهار تجليات الأشكال والمحتويات وفق

المصطلحية اللغوية، وتندرج التراكيب في الفعلية والاسمية والتوليدية والتحويلية والتراتيبية، وأرفقها اللغوي مازن الوعر بالتركيب الفعلي، والتركيب الاسمي ذي الخبر الفعلي، والتركيب الاسمي ذي الخبر الاسمي، والتركيب الكوني، و" هذه التراكيب الأربعة عرضة لتحولات عدة، بعضها لا يحتاج أبداً إلى ضابط، وبعضها الآخر يحتاج إلى ضابط، وذلك من أجل توليد تراكيب نحوية صحيحة " ([6])

لا تنفصم منظورات الإطار النظري المنهجي عن العملية في اختيار المنهج أو الاتجاه الدراسي والنقدي ونمذجته الراصدة للجزئيات اللغوية وكليتها، ومن أبرزها المنهج الاستدلالي أو التجريبي أو التاريخي أو الجدلي القائم على التناظر والاصطلاحية والاستقراء، " ولا بد من منسق لهذه المناهج، بحيث ينتهي إلى قواعدها العامة وخصائصها وهذه المناهج ليست على ثبات دائم، فأدوات العلم وتطبيقاته وحاجاته في تغيّر وتطور، وبالتالي فعلى المناهج أن تواكب العلم، وتتجدد معه، وإلا فإنها تفقد خصبها " ([7]) .

يعتمد الإطار النظري المنهجي في منظوراته على دقة البنية اللغوية ووظيفتها وأسسها الوطنية والقومية لتجليات وعي التاريخ والذات العامة في مستوياته المختلفة، ولا سيما تقصي الإشكاليات السياسية والاجتماعية والإنسانية في القضايا اللغوية، ولا تنفصل النظرية عن حسن ممارسة طرائق التحليل وترتيباته التاريخية والوصفية والبنيوية والتوزيعية والوظيفية والاجتماعية، والتوليدية التحويلية من خلال طرق الشرح بالشواهد : المنطقية والوظيفية والشكلية والتشبيهية والتحليلية والاشتمالية والتقليدية، وأبرز الشواهد هي القياسية والاجتماعية وتوثيقها في بحث صافية زفنكي عن تطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العربية الحديثة على سبيل المثال، وقد أضاء اللغوي أحمد مختار عمر هذه المنظورات في القضايا النظرية، فهناك " من رأى أنه قد تأخر تطبيق المنهج السياقي في المعجمات تطبيقاً شاملاً مستعصياً نظراً لحاجته إلى مسح لغوي شامل أو شبه شامل،

هذا المسح الذي تستخدم فيه الحواسيب والماسحات الضوئية، وإنشاء قواعد البيانات، وتجهيز ملفات الاقتباس، وهو مالم يتوفر للمعجمات العربية حتى الآن، والتي مازالت تعتمد على المسح البشري والجمع اليدوي "([8]) .

ثمة إفادة للإطار النظري المنهجي عند الاهتمام بالقضايا الدلالية والمصطلحات والاتجاهات البحثية اللغوية في تواصلها مع الدلالة اللسانية على وجه الخصوص بدرس اللغوي منذر عياشي للسانيات والدلالة لتعمق المعالجة والممارسة في المنهجية اللسانية الباعثة الدلالة التصورية المستقلة عن السياقية العامة، وتدرس اللسانيات التداولية المضامين الدلالية انطلاقاً من ارتباطها بصياغتها التعبيرية . وقد " استحقت اللغة في إنتاجها للدلالة أن تكون موضوع دراسة يعكف عليها اللسانيون، وبها يشتغلون. ولقد كان الأمر كذلك قديماً، ولا يزال حديثاً. فتعددت الاتجاهات، وتنوعت المدارس، وتلونت المناهج، وكثرت أدوات التحليل سعياً وراء الوصول إلى الدلالة

اللسانية "[9] .

تطور الإطار النظري المنهجي في العلوم اللغوية باللسانيات التي تندغم مع الدلالية وأبعادها العميقة العديدة في المعاني وما وراءها، ولطالما ربط علماء اللسانيات، مثل مازن الوعر، تشابكات اللسانيات والمنهجية الجديدة للغة العربية، توكيداً في الحال نفسها لصلة القربى بين اللسانيات والتراث اللغوي العربي وإمكانية تطوير ما يضّمه هذا التراث العربي من نظرات لسانية بغية المساهمة في الحضارة الحديثة، إذ " لا يمكن تطوير هذه النظرات اللسانية في التراث العربي إلا من خلال منهج لساني جديد لفهم بنية اللغة العربية "[10] .

يدفع الإطار النظري المنهجي للمنظورات والسمات اللغوية إلى ثراء القواعد والوظائف لدى العناية باللسانيات والدلالية .

2 – 2 – المعايير في الإطار النظري المنهجي :

تأخذ المعايير مكانة عالية في الإطار النظري المنهجي، وأساسها التلقي، والتعليم، والقراءة، والتفكير، والكتابة، والاستماع والتحدث، أما محاورها الرئيسة فهي الكلمة والنحو (الجملة) والاستماع والتحدث، والقراءة والكتابة، ثم تعالقت مع مكانة تقنية المعلومات في المعايير العربية التربوية والتعليمية والشخصية، كاستخدام الحوسبات والشابكات " للحصول على معلومات، ولتطوير قدرة القراءة للفهم، والبحث عن المعلومات، وإعادة ترتيبها بأشكال مختلفة، وكذلك تلخيصها وأنظمة التعليم الجماعية أو الفردية التي يستخدمها المعلمون والطلاب لغرض : نشاط القراءة والكتابة المشتركة في الفصل أو مجموعات، حيث يشارك الجميع في التحليل أو التصويب أو إعادة صياغة نصوص تعرض على شاشة يراها الجميع، وممارسة الألعاب التفاعلية، فردية أو جماعية، أو أنشطة تطبيق أو تقييم كفاءة اكتساب المهارات "([11]) .

صار جلياً أن معايير اللغة العربية

مرتهنة بمعالجة التفاصيل، ومراحل الإعداد، والأهداف، ومستويات اللغة العربية ومهارات كتابتها وقراءتها وحديثها واستماعها في التأليف والحوار والمخاطبة والنجوى .

ثم تنفتح المعايير رحيبة مع اختيار المنهجية وتحديد موضوعاتها وطرائق تناولها ومعالجتها في النظرية ضمن آليات الوصف والتحليل والاستنباط عند اختيار الموضوع، ورسم خطته، واقتناء مصادره ومراجعه، وجمع المعلومات، وخصائص الكتابة في البنى، والمفاهيم، والتأليف، والتوليف، والاستنتاجات، و الأهم هو حصر أنواع المناهج المعتمدة في النظرية المدروسة، لأن " المناهج النصية وتفرعاتها كالبنيوية والسيميائية، والتداولية، واللسانية الاجتماعية، والموضوعاتية، والتلقي، وسوسيولوجيا النص، والتناصية، والنسقية تعتمد الوصف والتحليل، أو التاريخ أو المقارنة مما يعد جوهر المناهج السياقية، وهذا يعني أن الباحث في العلوم الإنسانية واللغة والأدب، توفرت لديه من الوسائل والآليات

الكثيرة، مما يسمح له بدراسة الظواهر المختلفة، وإيجاد الحلول لأسئلة كثيرة .. فكل منهج إذا ما استوعب يوفر للباحث الإحاطة بالظاهرة المدروسة بكل دقة وموضوعية "([12]) .

غدت المعايير نافعة في الإطار النظري المنهجي كلما تعمقت المنهجية اللغوية بالأبعاد الثقافية واللغوية ومعالجة الموضوعات والطرائق والآليات اللغوية .

2 - 3 - ضوابط المنظورات والمعايير :

ينظم الإطار النظري المنهجي مع الأهداف الضابطة للمنظورات والمعايير في التعليم بعامة والتلقي بخاصة، تواصلاً بين خصوصيات اللغة العربية، وبناء المنهجية، وعناصرها، وتنظيمها، وعواملها المؤثرة، وقد حدد اللغوي رضوان الدبسي المنطلقات المبنية على تنظيم المنهج في المكونات التالية :

- النظرة الشاملة للمنهج اللغوي، وامتدادها لشمول الحياة اللغوية التي يعيشها المتلقي والطالب، ومكوناته في الأهداف التربوية، والمحتوى، ومجموعة الفعاليات والمناشط في طرق التدريس والأساليب والوسائل والأدوات والمواد التعليمية، وطرائق التقويم لتحقيق الوصول للأهداف، ومناسبة المحتوى، ومدى الفعالية. وهناك وحدة فروع اللغة وتكاملها، لتكون دراسة القواعد والبلاغة في ظل القراءة، وترتبط الكتابة بما يشمل عليه من إملاء وخط وتعبير كتابي .

- ترابط منهج اللغة مع منهج المواد الأخرى، لأن العلاقة وثيقة بين اللغة والعلوم الأخرى .

- التركيز على الأهداف التعليمية للغة العربية في المجالات التدريسية، والمعرفية، والأدائية، والوجدانية في الاتجاهات والقيم .

- التمكن من طرائق التدريس والتعليم، في ترتيبات الاستماع والتحدث،

ووسائل تعليم القراءة والكتابة والقواعد، وجوهرها الطريقة القياسية .

- تقويم التعلم في وظائف عمليات التقويم وأسسها وطرائقها في الممارسة، لتنمية العملية الأساسية " من عناصر المنهج الأربعة : الأهداف، المحتوى، الأساليب، التقويم، وتمتد أثار عملية التقويم إلى كل عنصر من عناصر المنهج، فبالتقويم نكشف عن مدى تحقيق الأهداف ودرجته، وفي ضوء نتائج عملية التقويم قد يفيد النظر في هذه الأهداف، وفي المادة التعليمية نفسها، وفي الأساليب والوسائل "([13]) .

يندغم الإطار النظري المنهجي في إدراك قضايا اللغة العربية وفهمها وممارستها في الأصوات والصرف والنحو والدلالة بين مستويات البنى السطحية والبنى العميقة، وتتداخل قضايا النحو التحويلي على سبيل المثال، مع " قضية الأصل والفرع، وقضية الحذف والتقدير، وقضية إعادة الترتيب، وقضية الإحلال .. إلخ "([14]) .

درس اللغوي مصطفى النحاس أنموذجاً ضمير الفعل وقيمه الموقعية وآثاره التركيبية، وعلاقة الفعلية بين التصريف والنحو، والفواصل الصوتية في الكلام، وأثرها على المواقع النحوية، وعين المضارع بين الصيغة والدلالة، والاعتبار الصرفي وانعكاسه على علاقات الكلم في التركيب، والدلالات النحوية للحروف المصاحبة لبعض التراكيب، والبنية الشكلية للجملة الواقعة حالاً، والتفسير الداخلي لجمل المفعول معه عن سيبويه، " فالتركيب كلّه من الناحية الشكلية تركيب اسمي، ليس الفعل عنصراً فيه، لكن المعنى المتضمن داخل هذا التركيب هو معنى فعلي، أو يمكن أن نقول : إن التركيب الخارجي ينتمي لنمط رصفي معين، على حين ينتمي التركيب الداخلي لنمط آخر "([15]) .

تتكامل ضوابط المنظورات والمعايير بمقاربة اللغة العربية في منهجية المعلوماتية، ولا سيما أغراض الحوسبة والشابكات وتقاناتها دون الابتعاد عن المكونات الدلالية والتداولية، والنظم اللغوية : الصوتية، والتشكلات الصوتية،

والصرفية، والنحوية، والمعجمية، والاشتقاقية، والإلصاقية، والتصريفية الإسنادية، والتوزيعية، والربطية، من خلال آليات نمذجة هذه المكونات والأنظمة، بتعبير اللغوي صالح أبو صيني، بوساطة المدخلات، والإجراءات، والمخرجات، لضبط التقابل اللغوي، وتحليل الأخطاء والأغلاط، ومعالجة الأنظمة المشار إليها في اللغة العربية إزاء الحوسبة والشابكات وتتواصل هذه " الجهود في تصميم نماذج للعربية إنطلاقاً من تراثها وخصائصها، وفق تصور لساني محدد يمكّن من استقصاء أنظمتها وتحديد قواعد دقيقة لكل نظام " [16] .

بات واضحاً أن ضوابط المنظورات والمعايير في الإطار النظري المنهجي للغة العربية مبنية على خصائص اللغة العربية نفسها، وتثميرها في الأطر النظرية المنهجية المتطورة، وأولها رسوخ النظم الموروثة الأصيلة والحداثية، وثانيها إثراء النظم الحداثية بمقومات اللغة العربية الفصحى، وثالثها تنامى خصوصياتها في المعلوماتية .

3 - توحيد المناهج إزاء العوائق والحلول :

ظهرت العوائق اللغوية في الأقطار العربية مع الاحتلال الأوربي على وجه الخصوص، وحوربت اللغة العربية باستهدافات خارجية للهيمنة على العرب والمسلمين، غير أن غالبية الأقطار العربية واجهت هذه العوائق، ورسّخت الحلول الباعثة للرؤى الذاتية لغوياً وثقافياً واجتماعياً، وينتظم توحيد المناهج في المزايا التالية :

3 - 1 - وضع المصطلحات وتأليف المعاجم العلمية المتخصصة في اللغة العربية، ولاسيما صوغ المصطلح العلمي، وترتيب القرارات في أقيسة اللغة وأوضاعها، وترسيخ التعريب مع تأصيل الموروثات اللغوية، وتقدير جهود مجامع اللغة العربية في الترشيد، والتعريب، والتقويم، والتأليف العلمي، على " أن كثرة المصطلحات العلمية وتنوعها في لغة ما تدل على سعة هذه اللغة ورقيها وتقدمها لاحتوائها على المفاهيم العلمية والحضارية، وأن المجتمع الذي يتكلم

بهذه اللغة ذو ثقافة وحضارة "[17] .

أفادت الباحثة اللغوية فاطمة إبراهيم آل خليفة[18] أن المصطلحية والمعجمية تتلازم مع تدغيم التصحيف والتحريف عند البحث في التراث اللغوي وتحديثه وأساسه : ضبط الكتابة العربية بالنقط والشكل، وضرورة المشافهة في رواية اللغة، وتنقيح الأخطاء وجمعها في كتاب، وضبط كتابة الحروف بصورة ينفي عنها الاحتمال، ويفيد هذا البحث في تباين التصحيف والتحريف استناداً إلى المصطلحية والمعجمية بالدرجة الأولى .

3 - 2 - العناية بالتحليل اللغوي الاجتماعي لمواجهة المشكلات اللغوية والثقافية إزاء خلل عناصر التمثيل الثقافي من جهة، وأضرار اللهجات العامية واللغات الفئوية عند المناطق والأماكن والفئات الاجتماعية الخاصة من جهة أخرى وغالباً ما تسيء هذه المشكلات للقضايا اللغوية والثقافية عند تطبيق لهجة عامية أو لغة فئة اجتماعية بإغفال خصوصيات اللغة العربية ومنهجيتها .

لقد عالج اللغوي علي عبد العزيز الشرهان **تأثير التغير الاجتماعي على اللغة العربية في الإمارات العربية المتحدة، على أن التحليل اللغوي مرتهن بالاجتماعي والثقافي من خلال تحولات اللغة الدارجة في مجتمع متعدد اللهجات العامية واللغات المحلية أو المنقولة من حال لأخرى . وقد تأثرت هذه التحولات الدارجة بالمحكيات واللهجات العربية استناداً لتعدد القبائل على سبيل المثال . وتفاقمت المشكلة اللغوية بتدفق المهاجرين إلى الإمارات من الهند وباكستان وغيرهما**، حتى أن الأفراد المواطنين في تنشئتهم الاجتماعية يتفاعلون مع الكلام الأجنبي تحت وطأة هؤلاء المهاجرين، وهناك المحافظون على التربية مع أمهاتهم التزاماً باللهجة المحلية، فتكاثرت الضغوط على اللغة العربية، وهذه الحال منتشرة في غالبية الأقطار العربية، وفي إقامة الجاليات والجماعات العربية خارج الوطن العربي. ثم نادى الشرهان إلى مجاوزة تعدد الأنماط اللغوية، التزاماً بالخصوصيات

اللغوية: الأصوات الكلامية، الصرف، بناء الجملة، استعارة الكلمات، وضع اللغة، والترابط بين العهد الاجتماعي واللغوي الجديد بمعالجة وضعية اللغة، والتعدد اللغوي، وتعدد اللهجات، ونماذج الاتصالات، والتأثير على لهجة الإمارات، والتدخل اللغوي وتغيراته، و " في هذه الحالة إما أن تنسحب إحدى اللغتين، وتسيطر الأخرى، أو تتم تنمية لغة ثالثة تجمع بين اللغتين "([19])، و " ينبغي أن تولى اللغة اهتماماً أكبر، لأن الأفراد من مختلف الثقافات حينما يصبحون على اتصال مستمر، فإن تغيرات لاحقة في الأنماط الثقافية الأصلية يمكن أن تقع، ويمكن أن تلعب دوراً مؤثراً على المجموعة الأقل عدداً "([20]) .

ارتهن التحليل اللغوي الاجتماعي بقضايا النظرية اللغوية العربية، مثل قضايا النظر واللسان، والواضع والمتكلم والناظر، وذكر جهات من النظائر والفروق في كلام العرب، وذكر جهات من النظر والشعر الخارج عن المقاييس، ومن النظر والقرآن الكريم في دراسة اللغوي عبد

الرحمان بودرع، ويمتاز النحو بهذه السعة والمرونة أهلاً " لأنه يعتبر نحواً للسان، ونحواً للضرائر، وهوقريب من أن يكون نحواً للقراءات القرآنية، مع شيء من التجوز، لحرصه على ربط اللفظ بالمعنى، والمقال بالمقام والمتكلم والمخاطب، في أكثر من موقع "([21]) .

تعمقت دراسة النظرية اللغوية في التعالق بين المفهوم والمنهج، عند الباحث محمد عبد العزيز عبد الدايم، من خلال دراسته لنظرية الصرف العربي انموذجاً، ما بين الواقع التراثي والواقع المعاصر، واحتياجات الدرس الصرفي العربي التي يكشف عنها الواقع المعاصر، مفهوماً ومنهجا، عند دراسة نماذج الجداول التصريفية، والعلامة، والميزان الصرفي، والعلامة بين نظرية الصرف العربية وتركيب العربية الصرفي، ثم تبين " أنه يمكن تمييز ثلاثة نماذج في التحليل الصرفي استخدمها الصرفيون العرب، وهي متظافرة فيما بينها للقيام بتحليل تراكيب الكلمات العربية. وقد سمى هذه النماذج الثلاثة بنموذج الجداول

التصريفية، ونموذج العلاقة، ونموذج الميزان الصرفي "([22])، كما أشرنا من قبل .

من الواضح أن التحليل اللغوي الاجتماعي مرهون بمواجهة المشكلات اللغوية والقافية كلما تعمقت الدراسة اللغوية المنهجية بالنظرية اللغوية .

3 - 3 - ضرورة الفهم اللغوي القرائي واستراتيجياته المعرفية على أن القراءة تتطلب التربية اللغوية والتنمية الثقافية بالحفاظ على أشكال اللغة وتشكلاتها الواضحة والكامنة كالرموز والبلاغة، ولا سيما علم المعاني، وفيوض المدلولات، وفعاليات التوظيف في التداولية والعلامية وغيرهما، وقوام هذا الفهم هو التربية والتعليم لرصد القراءة ومعرفيتها بإتقان المكونات اللغوية كالحروف، والكلمات، والجمل، والتراكيب، والبنى، والتأليف، لحسن الفهم اللغوي القرائي، وأوضح الباحث السعيد عواشرية أن هذا الفهم لا ينفصم عن إدراك معنى مصطلحاته ومعرفيته باعتماده على رؤى اللغويين

الأجانب والعرب ومفاهيمهم، والمقصود بالفهم القرائي بعامة هو " تجاوز مجرد تمييز واسترجاع الكلمات والجمل إلى استيعاب المادة المقروءة لاستخلاص معاني الكلمات الجمل، الفقرات، المعنى الإجمالي، الصريح والضمني "[23] .

إن حلول الفهم اللغوي القرائي واستراتيجياته المعرفية مندغمة بأوضاع اللغة وتطوراتها وتحولاتها وقواعدها واستعمالاتها دون التخلي عن طبيعة اللغة ومستوياتها اللفظية والتعبيرية .

3 - 4 - الاهتمام بأسلوب التمييز في اللغة العربية عند فهم المناهج اللغوية العديدة ما بين المناهج الموروثة والمناهج المعاصرة، فقد تطورت هذه المناهج بالمؤثرات الغربية، غير أن المنهجيات العربية شديدة التوصيف والتحليل والتعمق والتأويل والتحويل في مدارات اللغة التاريخية والاجتماعية والنفسية والإنسانية الداعمة لعناصر التمثيل الثقافي والخصوصيات اللغوية، مما ينفع كثيراً في تواصل المنهجيات بين

العرب والغرب، وقد حللت الباحثة اللغوية حليمة أحمد عمايرة الاتجاهات المنهجية عند القدماء والمحدثين، بالحرص على المناهج الوصفية، والوصفية الاجتماعية، والتحويلية، والمعيارية، والتاريخية، وقوامها المزايا التالية : التفريق بين اللغة والكلام، العلاقة بين الدال والمدلول، اللغة نظام، مبدأ المكونات المباشرة، التوزيعية، المُعْلم وغير المُعْلَم، النظم، القياس الوصفي، التعليل الوصفي، السياق اللغوي، السياق العاطفي، السياق الثقافي، التنغيم، العلاقة بين الفكر واللغة، ثنائية الكفاية والأداء، السليقة، الدلالة، التعليق، الجملة البسيطة والمركبة، الجُمَلُ المكتسبة، توحد المعنى وتعدد المبنى، عناصر التحويل، التقديم والتأخير، قواعد الحذف، التضييق، الزيادة، التوسعة، الإحلال، المعيارية في المنهجية، تأصيل ليس، تأصيل الاسم الموصول، تأصيل مُذ ومنذ، تأصيل لفظ الجلالة " الله "، تأصيل أداء النداء " هيا "، تحديد معيار

للحكم على الدخيل، تأصيل علاقة الجمع، تأصيل تاء التأنيث، الإعراب والبناء .. إلخ .

ثم دعت عمايرة إلى " إجراء مزيد من الموازنات بين المناهج الحديثة، ونظرية النحاه القدماء، وذلك بهدف الوصول إلى تشكيل قاعدة عريضة تتسم بروح الأصالة، وتتطلع إلى إيجاد نظرية لغوية ذات صبغة علمية مجدّدة "[24] .

أضاءت عمايرة أيضاً أسلوب التمييز في اللغة العربية في مسعاها التحليلي الإحصائي لتحقيق الأهداف التأصيلية والتعليمية والتاريخية التطورية، وتوصل بحثها إلى مزايا فهم المناهج اللغوية العديدة، إذ " يتحول الدرس اللغوي الإحصائي من ظاهرة فردية إلى دراسة مؤسسية تشترك فيها طاقات حاسوبية ممثلة في كليات الحاسوب والهندسة البرمجية، وطاقات لغوية ممثلة في باحثين من أقسام اللغة العربية والمجامع العربية "[25] .

يترسخ أسلوب التمييز في اللغة العربية بتأصيل المنهجيات اللغوية المعرفية وتحديثها في الوقت نفسه .

3 - 5 - أهمية إتقان اللغة العربية في التعليم، مثلما نادى المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر، شأن إتقان اللغة العربية، وبرمجة التعليم اللغوي، واللسانيات، ولسانيات النص، والنهوض بالتعليم في توسيع الاتجاهات المنهجية تأصيلاً وتحديثاً، وتركز الإتقان في المجالات التالية : ضرورة الاستمرار في موضوع إتقان اللغة العربية، وعدم الاكتفاء بالإعلان، بل بوضع آليات تعليمية، وتنمية الثروة اللغوية، والمقدرة على التعبير، وتشجيع المتكلمين على استعمال اللغة السليمة والفصحى داخل المدروسة وخارجها، وإيجاد مناخ للتحفيز على ترقية التعبير، وحسن اختيار الموضوعات التي تتلاءم مع محيط التلميذ وميولاته ومستواه الدراسي، وتنفيذها بمنهجية تراعي إتاحة الفرصة لمبادره المعلم وتمكين المتعلم من الاختيار، والاهتمام بجودة الوسيلة المسخرة لتدريس التعبير، ومدى مناسبتها

لكل طور، مع الاعتناء بتجديدها وتحديثها، وتأكيد حفظ النصوص على اختلاف أنواعها لتقوية الذاكرة، وتنمية الرصيد اللغوي والفكري، وترقية القدرات المختلفة كالاستنتاج والاستدلال، والعمل على ترتيب الموضوعات وتنظيمها، ومن ثم إثارة الدوافع إلى التعبير السليم بلغة عربية جميلة وجذابة ([26]) .

أرفق إتقان اللغة العربية في التعليم بالتدريبات كذلك في ورشات قواعد اللغة، والتعبير، والنصوص الأدبية، والبرامج التربوية والتعليمية 0وهذا كله ذو فائدة كبيرة في حماية اللغة العربية وإتقانها .

3 - 6 - الاهتمام باللسانيات في تعليم اللغة العربية وتعلمها، لأن اللغة بالأساس لسانية 0 وقد نظمت جامعة المولى اسماعيل في مكناس (المغرب) يوماً دراسياً عن هذه القضية التعليمية لمعالجة المشكلات التي تعاني منها عمليات تعليم اللغة العربية وتعلمها، وتنظيم مناهج تعليم اللغة العربية

وتعلمها وتحقيق أهدافها، وإسهام اللسانيات في حلول مشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها، واعتنى اللغويون بضرورة تحديث النظر في تعليم اللغة العربية وحل المشكلات التي تعترض هذا التعليم، وما يرتبط بها، وعالجوا أيضاً اللسانيات التعليمية واقعاً وآفاقا، ولاسيما الإطار المنهجي لتعليم اللغة العربية وتعلمها ومناقشته، على أن المنهج الوظيفي هو منهج معروف في التراث العربي، و"غياب منهجية ألسنية تقتضي تبسيط القواعد، وتوضيح البنيات اللغوية وعناصرها عن طريق تمارين بنيوية تعوض التمارين التقليدية (استبدال، تحويل، إضافة)، وتركز على البنيات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية إذا لوحظ نقص في إتقان جانب من هذا الجوانب "([27]) .

ثم تناول لغويون آخرون الإطار المنهجي لتعليم اللغة العربية وتعلمها ومناقشته، واللسانيات الوصفية، وتعليم اللغة العربية الفصحى، **بما يفيد قضية اكتساب اللغة العربية والتعدد اللغوي،**

وتأصيل المفاهيم النحوية التراثية، وبذل الجهود في منهجية التعليم اللغوي.

تتعاضد العلوم اللغوية مع أساليبها ولسانياتها تعزيزاً للتعلم والتعليم والتفكير، وقرن الباحث فؤاد مرعي مفهوم الأسلوب بالقضايا التعليمية لترشيد القراء والمتلقين والمتعلمين، على أن الأسلوبية مدرسة للتفكير الشكلي، باستنادها إلى قواعد علم اللسان وامتناعها عن دراسة قضايا في علم الأدب، فهي لا تتعلق بالبناء اللغوي للنص الأدبي إثر ذلك، بل "تحكم على نفسها بالشكلانية، الأمر الذي يسعى إلى الكشف عن جوهر الحياة في النصوص الأدبية، وعن محتوى تلك النصوص الذي يقدم معرفة فنية حقيقية عن الحياة المعاصرة، ويؤكد المثل الاجتماعية الجديدة التي تفتح أمام البشرية آفاق الارتقاء إلى الأفضل" (28).

تتأصل اللغة العربية مع اللسانيات الحديثة عند ضبط المنهجية والمعرفية

والتعليمية في التواصل اللغوي تعليماً وتعلماً بالمنظورات الأصلية والحديثة .

3 – 7 – تتكاثف العوائق اللغوية في قضايا المعّرب والدخيل من جهة، والتعريب في مواجهة العولمة من جهة أخرى . إن المعّرب مرتبط بالمنهجية اللغوية للعربية، كما هي الحال في منظورات اللغويين العرب في الموروثات اللغوية ومعجمياتهم، عند نظم الكلمات المعّربة من الأسماء الأجنبية أو الأعجمية ومفرداتهم الخاصة، وتتداخل هذه الكلمات في الصوغ العربي ضمن عناصر النظام الصوتي العربي، حسب رؤية اللغوي ممدوح محمد خسارة، مثل الحروف والأصوات العربية، والبنية الصوتية للكلمة العربية، والإيقاع الصرفي للكلمة العربية، ويعني تطبيق هذا النظام الصوتي العربي على الاسم المعرب خلو الاسم المعرب من أي حرف أو صوت غير عربي، والتزام البنية الصوتية للكلمة العربية، كما أقرها اللغويون، وهي ألا

يزيد عدد أحرف الاسم المعرب على ثمانية أحرف، ووجود ائتلاف هذه الأحرف، وحركاتها، ووجوب خلوّها من التقاء الساكنين، ومنع بدئها بساكن، واشتراط الإيقاع الصرفي للاسم المعّرب، ومجاوزة اشتراط مطابقته الوزن العربي، لأن الأسماء الأعجمية لا توزن أصلاً، والتنبه إلى نقطتين إزاء إطلاق الدخيل على اللفظة، وهما أن القدماء لم يفرقوا تماماً بين المعّرب والدخيل، ووضع المعرب والدخيل والمولد في مستوى لغوي واحد، " أما الدخيل، بخروجه عن خصائص العربية وقوانينها، فقد بقي غريباً، لم يهيأ له الاندماج في المخزون اللغوي، وهو في طريقه إلى الزوال، وبقاؤه في العربية مرهون بتوفر البديل المولّد أو المعرب "([29])
.

ثم **لا ينفصم المعّرب عن التعريب في مواجهة ثقافة العولمة، وقد تفاقمت مشكلات الترجمة وافتراقها عن التعريب والمعرب ضمن أساليب الغزو الثقافي واللغوي، وهذا واضح في عمليات هدر**

اللغة العربية الفصحى بإغفال أصالتها في التاريخية والمقارنة، وبإثارة اللهجات العامية واللغات الفئوية وتغليبها على اللغة العربية، وهذا الإغفال الظالم وهذه الإثارة القاهرة لعناصر التمثيل الثقافي العربي والخصوصيات اللغوية الأصيلة مرتبطان بالهيمنة على العرب ومحاولات اختراق الوجود العربي .

لعلنا لا ننسى أيضاً التسييس الأجنبي في محاربة اللغة والثقافة العربية منذ مطلع القرن العشرين على وجه الخصوص، ونشير إلى أن هذه السياسة والتسييس في المظالم اللغوية والثقافية في غالبية الأقطار العربية، ففي سورية بخاصة، وبلاد الشام بعامة، حوربت اللغة العربية، مع تقسيم بلاد الشام إلى دول، وتقسيم سورية إلى أربعة دول، وقاوم السوريون هذا التقسيم حتى الاستقلال عام 1946، وسعى الفرنسيون إلى التمييز الثقافي واللغوي في غير محله ضمن هذه التقسيمات الجائرة. وحاربت فرنسا اللغة والثقافة في الجزائر منذ احتلالها عام 1830 حتى

استقلالها عام 1962، وقاومت تعلم اللغة العربية والتضييق على أصحابها والراغبين في تعلمها من جهة، وطمس معالم الثقافة العربية والقضاء عليها من جهة أخرى، بتعبير محمد العربي الزبيري في كتابه " الغزو الثقافي في الجزائر" (1986)، ثم تمثل ذلك في أن فرنسا " قضت على معظم مراكز الثقافة العربية واللغة العربية التي تتمثل في المدارس، والجوامع، والزوايا التي كانت قائمة في البلاد قبل الاحتلال، وقد نتج عن هذا : تحويل البعض من هذه المراكز إلى معاهد للثقافة الفرنسية، وتسليم البعض الأخر من هذه المراكز إلى الهيئات التبشيرية المسيحية التي اتخذتها مركزاً لنشاطها في هدم عقيدة الجزائريين، وهدم ما تبقى من المراكز بدعوى إعادة تخطيط المدن الجزائرية وإعادة بنائها "([30]) .

مثلما نهبت فرنسا التراث الثقافي العربي الإسلامي الذي عثر عليه في المكتبات الجزائرية مثل المخطوطات والوثائق والكتب، وأكدت الباحثة عقيلة ضيف الله أن فرنسا حاربت بشدة الصحافة

الوطنية، وعملت على خنق صوتها لإبعاد الجزائريين عن لغتهم وثقافتهم العربية من أجل " فرنسة" التعليم في المراحل جميعها، واعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، ومحاولة تشويه تاريخ الجزائر في ظل العروبة والإسلام بقصد التشكيك في إنتماء الجزائر العربي والإسلامي .

إن عوائق اللغة العربية ناجمة بالأساس عن شيوع العاميات، وإفساد التعريب لتغليب الدخيل على اللغة العربية الحديثة .

3 - 8 - تزايدت العوائق اللغوية عند تضعيف المصطلح العربي اللغوي ومضاعفات إشكالية المصطلح، كلما جاوز اللغويون، بتأثير الاستهداف الأجنبي والفتن الداخلية، منظورات التعريب وقضاياه الراهنة واستشرافاته المستقبلية، لإهمال المنهجيات اللغوية وأبعادها الثقافية والقومية والنهوضية، والمشكلات وأضرارها كالترجمة والمرجعيات، والأدب المقارن، الاستشراق، واللسانيات، ضمن عمليات المثاقفة

والمثاقفة المعكوسة، إذ تتبادل اللغة والثقافة العربية مع اللغات والثقافات الأخرى، التأثير والتأثر، وليس إلغاء اللغة وتهميش الثقافة. والمأمول أن تفعل حلول المشكلات والإشكاليات في المنهجية والمصطلحية وتعريب المعلوماتية وتطوير البرمجيات إلى الحاسوبية والشابكات، وفي إغناء التعريب والبحث العلمي مع الخصائص اللغوية العربية وعناصر التمثيل الثقافي، والعناية الفائقة بتجارب التعريب العربية وترسيخها ضمن المنهجيات اللغوية العربية. وقد توافق اللغويون العرب، ومنهم خلود العموش، على الاهتمام بالوسائل التالية : الترجمة، وتعني نقل اللفظ الأجنبي بمعناه إلى ما يقابله في العربية، والتعريب، ويعني نقل الكلمة الأعجمية مع عرفها الأصلي، والنقل المجازي، وهو طريقة في التوسيع اللغوي مستمدة من اللغة نفسها، وتفيد من عناصرها اللفظية الماثلة، أو المهجورة، وينتقل اللفظ من معنى إلى آخر على نحو مجازي إذا توافرت

له لون من المشابهة، أو المجاورة، أو العلاقة، والنحت، ويعني بناء كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر، أو من جملة، والاشتقاق، الذي يعد من أهم وسائل العربية في توليد الألفاظ، وضبط المصطلح العلمي العربي في سياقه التاريخي لتنامي المصطلحية الحديثة، وتقصي إشكالياته المنهجية، إذ تقوم المنهجية على القواعد التالية :

- " إن الاشتقاق قياسي في اللغة قياساً مطلقاً في أسماء المعاني، التي هي عرضة لطرود التغير على معانيها، ومقيداً بمسيس الحاجة في الجوامد.

- إن وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري إما على الاشتقاق، وإما على طريقة التعريب، ولا مانع من الجمع بينهما، ويرجع إلى النحت عند الحاجة.

- لا يذهب إلى الاشتقاق في وضع كلمة حديثة إلا إذا لم يعثر في اللغة على ما يؤدي معناها .

- يشترط في الكلمات التي تختار من كتاب اللغة، ليعبر عنها عما حدث، وتجدد أن تكون مأنوسة غير نافرة، وإلا وجب

تركها والذهاب إلى طريقة الاشتقاق والتعريب "([31]) .

إن العناية بالمنهجيات اللغوية من شأنها أن تحسم العوائق و المخاطر على اللغة العربية .

3 - 9 - تسهم فاعلية التنوين والدلالة في حلول المنهجيات اللغوية الحديثة، كلما تعمقت الدراسة في ضوء اللسانيات العربية المعاصرة، وفق تحليل اللغوي خالد اسماعيل حسان، فيما يخص تعريف التنوين، وصلته بالأصوات، والبنية، والتركيب، بلوغاً للنتائج التالية : التنوين مرحلة متطورة عن التمييم، وحذف التنوين مرحلة لاحقة، مظاهره وعلله، وعلاقة التنوين بالربط والإحالة، وطرح بعض الأفكار في مقياس الحكم على الاسم بالتنكير والتعريف، والتنوين علامة على الانفصال، وعلة حذف التنوين في ما لا ينصرف وغيره من القضايا. واستخلص اللغوي خالد اسماعيل حسان نتائج هامة، ومنها :

- التنوين في اللغة العربية مرحلة

متطورة عن التمييم في الأكادية والحبشية .

- يُحذف التنوين بسبب كثرة استعمالهم له في كلامهم، ولأنه علامة لما يستثقلون أو لالتقاء الساكنين .

- حذف التنوين فيما لا ينصرف والمنادى واسم لا النافية للجنس ... يعّد مرحلة من مراحل تغير اللغة وتطورها وميلها نحو السهولة والتسيير في النطق طلباً للخفة .

- حذف التنوين في المشتقات تخفيف صوتي فقط، مع الاحتفاظ بالدور الدلالي .

- الوقف على التنوين في حالة النصب يكون بمطل الحركة القصيرة، وليس ما ذهب إليه سيبويه من إلحاق الألف، أو كراهة الخلط بين التنوين والنون الأصلية .. إلخ ([32]) .

من المفيد أن يعتنى بالتنوين والدلالة في التمكين اللغوي للأصوات والبنية والتركيب من خلال رصد السياقية و التراكيب ما بين التعريف والتنكير إزاء الخصوصيات النحوية والتشكيلية الصوتية والصرفية والدلالية .

3 - 10 - العناية المطلقة بتعليم اللغة العربية لإيقاف العوائق اللغوية والثقافية والسياسية. وفي مقدمتها التعامل مع العامية، ومزاحمة اللغات الأجنبية، ومخالفة الموروثات اللغوية العربية الأصيلة في الصوت والصرف والنحو والمعجم والدلالة على وجه الخصوص .

وهناك التقصير في تعليم اللغة العربية عند إغفال الأبعاد العربية والإسلامية، لأن العرب والإسلام روح واحدة، ونشأ الدين الإسلامي عند العرب، وانتشر في العالم كلّه. ويتيسر التعليم اللغوي بالإيمان المطلق بجوهر القرآن الكريم والحديث الشريف والأمثال والمحتويات النصية كالأمثال والأقوال والخطابات الخاصة الراسخة. وهناك الاعتقاد أن اللغة العربية " تكون مشحونة بالتصوير القرآني، والنسق البياني، والتحليل البرهاني .. لنقف جميعاً باللغة العربية في وجه من يعمل على التحدي، والتشويه، والتنحي، ولكي نبدو في المرآة وجهاً واحداً، وتصوراً واحداً، ولا مناص من هذا، لأنه إما هذا .. وإما الطوفان "([33]) .

نبه اللغويون العرب مثل عبد المجيد سالمي إلى الاهتمام بالمنطلقات اللغوية الأساسية في بناء طرائق تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها أيضاً. وتتألف الناحية النظرية من الأبحاث الدائرة في اللسانيات التفاضلية ودراسات حصر المفردات وقياس الثروة اللغوية لدى المتعلمين، والرصيد الوظيفي في التلاقي والتعامل بين المعلمين والمتعلمين، والرصيد العربي المشترك بين الدول العربية في التربية والتعليم العالي والثقافية والإعلام بتنظيم جامعة الدول العربية، وتوطيد الأسلوبيات اللغوية المتفهمة لانتشار العوائق اللغوية في الوطن العربي، والتخلص منها بتوسيع الحلول الراشدة، ومنها الدرس العميق لظواهر السلوك اللغوي، وميادين اللسانيات الحديثة، والتداولية اللغوية، والدلالية، وعدم الانقطاع مع " البعد الثقافي والحضاري، وإثراء الجانب الفردي والجماعي في عملية التعلم وتوجيه المتعلم إلى

الاستقلال في منهجية تعلمه وكيفياتها العلمية، وتمكينه من فهم الآخرين في تصورهم للعالم، لأن اللغة أصلاً نوع من التشكيل الدلالي للكون بمحتوياته الظاهرة والباطنة، وهذا الأمر من شأنه أن ينشط دوافع المتعلم ويشجعه على مواصلة الاكتساب والتحصيل "([34]).

صار واضحاً كذلك أن المنهجية اللغوية أساسية في تعلم اللغة إلى جانب الأبعاد التربوية والتقنية والتعليمية .

C

يفيد كثيراً توحيد مناهج اللغة العربية في مواجهة العوائق، وأفلحت الحلول في إقصاء المخاطر على القضايا الثقافية واللغوية العربية المعبّرة عن الوجود الوطني والقومي، عند ضبط المصطلحية والمعجمية، والعناية بالتحليل اللغوي الاجتماعي، وضرورة الفهم اللغوي القرائي واستراتيجياته

المعرفية، والاهتمام بأسلوب التمييز اللغوي العربي، ما بين المناهج الموروثة والمناهج المعاصرة، وأهمية إتقان اللغة العربية في التعليم، والاهتمام باللسانيات في تعليم اللغة العربية وتعلمها، ومجاوزة تكاثف العوائق اللغوية في قضايا المعرب والدخيل من جهة، والتعريب في مواجهة العولمة من جهة أخرى، ومواجهة تضعيف المصطلح العربي اللغوي، ومضاعفات إشكالية المصطلح، والإسهام في فاعلية التنوين والدلالة في حلول المنهجيات اللغوية الحديثة، والعناية المطلقة بتعليم اللغة العربية لإيقاف العوائق اللغوية والثقافية والسياسية الأخرى .

إن توحيد مناهج اللغة العربية والتعمق في حلولها شديد الاتصال بالقضايا الوطنية والاجتماعية والثقافية واللغوية .

W

الكتب :

- آل خليفة، فاطمة إبراهيم : التصحيف والتحريف، دراسة في التغير الدلالي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الكويت، الحولية 26، 2005 .

- بدوي، عبده محمد : أهمية تعلم اللغة العربية، حوليات كلية الآداب، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت، 1996 .

- بلعلى، آمنة : أسئلة المنهجية العلمية في اللغة والأدب، دار الأمل للطباعة والنشر، والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2005 .

- بو درع، عبد الرحمان : من قضايا النظرية اللغوية العربية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الكويت، الحولية 28، 2007 .

- جيدير، ماثيو : منهجية البحث، (ترجمة ملكة أبيض)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2004 .

- حجازي، محمود فهمي : مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998 .

- حسان، خالد اسماعيل : التنوين والدلالة، دراسة في ضوء اللسانيات العربية المعاصرة، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت، 2007 .

- خسارة، ممدوح محمد : قضايا لغوية معاصرة، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، دمشق، 2003 .

- الدبسي، رضوان : اللغة العربية في دولة الإمارات العربية المتحدة ومناهج تعليمها، الجزء الأول، جمعية حماية اللغة العربية، الشارقة، 2003 .

- الزركان، محمد علي : الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998 .

- زفنكي، صافية : التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، وزارة الثقافة، دمشق، 2007 .

- ساسي، عمار : اللسان العربي وقضايا العصر، رؤية علمية في الفهم، المنهج، الخصائص، التعليم، التحليل، دار

المعارف للإنتاج والتوزيع، بوفاريك، ولاية البليدة، الجزائر، 2001 .

- الشرهان، علي عبد العزيز : تحولات اللغة الدارجة، تأثير التغير الاجتماعي على العربية في الإمارات، منشورات اتحاد الكتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، 1990 .

- عبد الدايم، محمد عبد العزيز : نظرية الصرف العربي، دراسة في المفهوم والمنهج، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الكويت، 2001 .

- عدة مؤلفين : اللسانيات وتعليم اللغة العربية وتعلمها، (إعداد : عبد العزيز العماري)، منشورات عكاظ، الرباط، 2002 .

- عدة مؤلفين : ندوة التعريب في التعليم العالي ، وزارة التعليم العالي، دمشق، 2003 .

- علبي، أحمد : المنهجية في البحث الأدبي، دار الفارابي، بيروت، 1999 .

- عمايرة، حليمة أحمد : الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، وزارة الثقافة، الأردن، دار وائل للنشر، عمّان، 2006 .

- عمايرة، حليمة أحمد : أسلوب التمييز في العربية، دراسة تحليلية إحصائية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 28، جامعة الكويت، الكويت، 2007.

- المجلس الأعلى للغة العربية : إتقان العربية في التعليم، منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، 2000 .

- عواشرية، السعيد : الفهم اللغوي القرائي واستراتيجياته المعرفية، المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات المجلس، الجزائر، 2005 .

- عياشي، منذر : اللسانيات والدلالة (الكلمة)، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1996 .

- محسن، عيسى خليل : الاتجاه الفلسفي في المفهوم التربوي، دعم وزارة الثقافة، الأردن، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان 2006 .

- مرعي، فؤاد : في اللغة والتفكير، كتاب المدى 6، دار المدى، دمشق، 2002

- موسى، عطا محمد : مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في

القرن العشرين، دار الإسراء، عمّان، الأردن، 2002 .

- النحاس، مصطفى : من قضايا اللغة، مطبوعات جامعة الكويت، مطبعة الفيصل، الكويت، 1995 .

- هيئة التعليم : نماذج من معايير المناهج، المجلس الأعلى للتعليم، قطر، 2004 .

- الوعر، مازن : نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس، دمشق، 1987 .

- الوعر، مازن : دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس، دمشق، 1989 .

الدوريات :

- أبو صيني، صالح : اللغة العربية في عصر الحوسبة والمعلوماتية، مقاربة من الهيكل العام لأنظمة العربية. في مجلة " حوليات جمعية كليات الآداب "، الأردن، المجلد 1، العدد 1، 2004.

- سالمي، عبد المجيد : المنطلقات اللغوية الأساسية في بناء طرائق

تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، في مجلة " الأداب واللغات "، جامعة الجزائر، الجزائر، العدد 1، جوان 2006 .

- ضيف الله، عقيلة : سياسة محاربة اللغة والثقافة العربية في الجزائر 1830 - 1962، في " حوليات جامعة الجزائر "، العدد 13 - 2000 .

الهوامش والإحالات :

(1) محسن، عيسى خليل : الاتجاه الفلسفي في المفهوم التربوي، دعم وزارة الثقافة، الأردن، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان 2006، ص 74
(2) جيدير، ماثيو : منهجية البحث، (ترجمة ملكة أبيض)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2004، ص 38 .
(3) حجازي، محمود فهمي : مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 28 .
(4) موسى، عطا محمد : مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، دار الإسراء، عمّان، الأردن، 2002، ص 354 .
(5) ساسي، عمار : اللسان العربي وقضايا العصر، رؤية علمية في الفهم، المنهج، الخصائص، التعليم، التحليل، دار المعارف للإنتاج والتوزيع، بوفاريك، ولاية البليدة، الجزائر، 2001، ص 36 .
(6) الوعر، مازن : نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس، دمشق، 1987، ص 156 .
(7) علبي، أحمد : المنهجية في البحث الأدبي، دار الفارابي، بيروت، 1999، ص 29 .
(8) زفنكي، صافية : التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، وزارة الثقافة، دمشق، 2007، ص 290 .
(9) عياشي، منذر : اللسانيات والدلالة (الكلمة)، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1996، ص 76 0
(10) الوعر، مازن : دراسات لسانية تطبيقية، دار

طلاس، دمشق، 1989، ص 17 .
(11) هيئة التعليم : نماذج من معايير المناهج، المجلس الأعلى للتعليم، قطر، 2004، ص 23 .
(12) بلعلى، آمنة : أسئلة المنهجية العلمية في اللغة والأدب، دار الأمل للطباعة والنشر، والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2005، ص 59 .
(13) الدبسي، رضوان : اللغة العربية في دولة الإمارات العربية المتحدة ومناهج تعليمها، الجزء الأول، جمعية حماية اللغة العربية، الشارقة، 2003، ص 166 - 179 .
(14) النحاس، مصطفى : من قضايا اللغة، مطبوعات جامعة الكويت، مطبعة الفيصل، الكويت، 1995، ص 9 .
(15) النحاس، مصطفى : من قضايا اللغة، مصدر سابق، ص 309 .
(16) أبو صيني، صالح : اللغة العربية في عصر الحوسبة والمعلوماتية، مقاربة من الهيكل العام لأنظمة العربية. في مجلة " حوليات جمعية كليات الآداب "، الأردن، المجلد 1، العدد 1، 2004، ص 117 .
(17) الزركان، محمد علي : الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص 471 .
(18) آل خليفة، فاطمة إبراهيم : التصحيف والتحريف، دراسة في التغير الدلالي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الكويت، الحولية 26، 2005، ص 11 .
(19) الشرهان، علي عبد العزيز : تحولات اللغة الدارجة، تأثير التغير الاجتماعي على العربية في الإمارات، منشورات اتحاد الكتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، 1990، ص 10.
(20) المصدر السابق، ص 94.
(21) بو درع، عبد الرحمان : من قضايا النظرية الغوية العربية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الكويت، الحولية 28، 2007، ص 101.
(22) عبد الدايم، محمد عبد العزيز : نظرية الصرف العربي، دراسة في المفهوم والمنهج، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الكويت، 2001، ص 62 .

(23) عواشرية، السعيد : الفهم اللغوي القرائي واستراتيجياته المعرفية، المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات المجلس، الجزائر، 2005، ص 43 .
(24) عمايرة، حليمة أحمد : الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، وزارة الثقافة، الأردن، دار وائل للنشر، عمّان، 2006، ص 329 .
(25) عمايرة، حليمة أحمد : اسلوب التميز في العربية، دراسة تحليلية إحصائية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 28، جامعة الكويت، الكويت، 2007، ص 104 .
(26) المجلس الأعلى للغة العربية : إتقان العربية في التعليم، منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، 2000، ص 122 - 123 .
(27) عدة مؤلفين : اللسانيات وتعليم اللغة العربية وتعلمها ،(إعداد : عبد العزيز العماري)، منشورات عكاظ، الرباط، 2002 ،ص 53 .
(28) مرعي، فؤاد : في اللغة والتفكير، كتاب المدى 6، دار المدى، دمشق، 2002، ص 80 .
(29) خسارة، ممدوح محمد : قضايا لغوية معاصرة، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، دمشق، 2003، ص 44 - 47 .
(30) ضيف الله، عقيلة : سياسة محاربة اللغة والثقافة العربية في الجزائر 1830 - 1962، في " حوليات جامعة الجزائر "، العدد 13 - 2000، ص 119 .
(31) العموش، خلود : المصطلح العلمي العربي : إشكالية المنهج، في كتاب " ندوة التعريب في التعليم العالي "، وزارة التعليم العالي، دمشق، 2003، ص 69 - 70 .
(32) حسان، خالد اسماعيل : التنوين والدلالة، دراسة في ضوء اللسانيات العربية المعاصرة، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت، 2007، ص 11 و 67 .
(33) بدوي، عبده محمد : أهمية تعلم اللغة العربية، حوليات كلية الآداب، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت، 1996، ص 59 .
(34) سالمي، عبد المجيد : المنطلقات اللغوية

الأساسية في بناء طرائق تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، في مجلة " الأداب واللغات "، جامعة الجزائر، الجزائر، العدد 1، جوان 2006، ص 169 .

السياق اللغويّ وفعل المكوّنات الصرفيّة والنحويّة

أ.د. مها خيربك ناصر
جامعة البلمند (لبنان)

أولاً: عتبة البحث

تتمظهر حركة الفكر بلغة تنقل الكمون العقليّ من التخفي إلى التشخصن، ومن المجهول إلى المعلوم، لأنّ الفكر لا يكون بذاته، بل بما يتأثر به من الأحداث والأحوال والمعطيات، فيتجلى الأثر فعلاً حركيًّا، مستقره لغةٌ قادرة على استقبال هيولى الحركة، وتأطير ماهيتها، وتبني كينونتها، وهذا يفرض على اللغة حركة داخلية تُحرّض على تنمية ذاتها بذاتها ولذاتها، لتبقى قادرة على تبني التصورات الذهنية، وذلك في أنماط تعبيرية تجسّد حركية العقل المدرك ذاته بذاته.

تمتلك اللغة، إذاً، في اللحظة عينها، خاصيتين؛ خاصية سكونية تتبدى في وظيفة

استقبالية تجعل منها مستقرًا للأفكار المجردة، وخاصية حركية تتبنى إعادة تشكيل وتنظيم الأفكار في أنساق لغوية قابلة للإرسال والتلقي. وبعمليتي الاستقبال والإرسال تتقاطع وتتمركز خصائص وأسرار النتاج اللغويّ في سياقات تُضمر فعل اللغة الحركيّ الذي يمارس مهماته، غير المحدودة، داخل اللغة.

بهذا المعطى يمكن اعتبار اللغة زمرة مقفلة تنغلق على أسرارها وحيويتها، وتتمتع، في الوقت عينه، بفعل تحريضي يساعدها على التجديد بقدر ما يسمح لها أن تتفرد بحق الإلغاء والتوليد، والتحويل والترميز والإفصاح والإبانة والكشف، في معادلات كلامية تضمن النسبية المنطقية بين نشاط الفكر ونشاط اللغة، وهذه النسبية تؤمنها قوانين تشكيل داخلي ينتجها العقل الإنسانيّ، وتلتزم بها الأنساق اللغويّة، وذلك وفق أسس منطقية توازن بين صورة المُدرَك وحقيقته، وبين الدال والمدلول عليه، وبين اللفظ ومعناه، وبين التصورات الذهنية وأشكالها اللغويّة، وذلك مهما تنوّعت

التراكيب، وتعدّدت السياقات وتمايزت تأويلاتها.

يمنح السياق الكلمات معاني جديدة من دون أن تتخلى عن معناها الوضعي أو تنفصل عنه، فتضمر اللغة مجموعة من الدلالات والفاعليات والارتياضات التي لا تنتهي، ويصير السياق طاقة تحويل وتوليد تتحصن داخله قيمة التراكيب اللغويّة المرتبطة بالكلّ السياقيّ في كينونة أوجدتها علاقات تعالقية، منحت العنصر اللغوي دلالات تجاوزت بها المعنى الوضعيّ، من دون أن تفخخه، فأسست عمليتا **الارتباط بالجذر والتحرر من سلطته المعجمية** لدراسات غايتها الكشف عن طبيعة علاقات النظم السياقي، وعن قوانين تشكّله الداخليّ، التي تضبط حركية عناصر اللغة في متحد لغويّ، له خصائصه ومقوماته الذاتية، بوصفها قوانين مُحرِّضة غير مقيدة، تضمن حصانة تركيب العناصر اللغويّة، وتمنحها، في الوقت عينه، حرية التطور والتطوير الدلاليين ضمن فضاءات التداولات اللغويّة.

ثانيًا: نظرية النظم السياقي

النظم لغة هو الجمع والهضم والتأليف والاتساق، وهو، في رأي الجرجاني، ليس "سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"[1]، واصطلاحًا هو مجموع وحدات لغويّة متماسكة في نظام كليّ يضمن فرادة المتحد اللغويّ، ويحفظ سلامة تعالق وحداته المستقلة بخصائص ذاتية غير خارجة على طبيعة السياق، وغير معزولة عن كليّة النظم، فتحتفظ العناصر اللغويّة بهويتها وتكتسب من أي متحد لغوي جديد سمات ودلالات تتمايز بقدر ما تتنوع الأنساق، وتتباين القراءات والتأويلات والمقاربات.

بهذا المفهوم العام، يمكن القول إنّ فاعلية عملية الجمع والضم والتأليف والاتساق مرتبطة حكمًا بجودة الصياغة المنظمة، بمعنى آخر بدقة ترتيب عملية التعالق، وبمهارة تنسيق إجراءات التآزر بين الوحدات اللغويّة، لأنها مهارة عقلية ومعرفية تمنح النظم سلامته، وتحفظه من التشظي والتشويه، وتثبّت حضوره، وتغني

دلالاته المنطقية المستمدة من تماسك البنية اللغويّة في الأجساد النصيّة الخاضعة في تراكيب بنياتها لقوانين تشكيل داخليّ عاصمة وضامنة؛ أي عاصمة سلامة عملية التنظيم، وضامنة مصداقية وجودة إنتاج الدلالة.

تضمن دقة عملية التنظيم، وحرفية استخدام عناصر اللغة، ومهارة توظيف قوانين تعالقها، ولادة مرسلة لغوية موسومة بجودة النظم وحسن التناسق والتوازن والتماسك، ومشحونة بإغراءات دلاليّة تضفي على عناصر التركيب ووحداته قيمًا جمالية، وإشارات جديدة ومتنوعة تحقّق الغرض والهدف والإفادة، فتقوى العناصر اللغوية بالسياق ويقوى بها، فيتسع فضاء التأويل، ويتم القبض على بعض من بوح تستمد الروح الكلية المحتجبة وراء سياقات الأجساد النصية.

تستمد الكلمات من التركيب السياقيّ فاعليتها، وتكتسب منه معاني مجازية، غايتها، غير المعلنة، تضليل مباشرة الرقابة وتشظية سلطتها، لأنّ السياق

اللغويّ المنظم يعزز الكلمات بقدرة على تلقي البوح المكبوت، ومن ثم تجسيده في نشاط لغوي مشحون بالترميز والتشفير، تضمنه إجراءات صرفية ونحوية وبلاغية منظمة، تشكّل جزرًا بنيوية تتحد في بنية كليّة خاضعة لقوانين النظم السياقيّ.

تظهر الدراسات الألسنية أهمية التنظيم السياقي في تحرير الألفاظ من ثباتها المعجميّ، وإكسابها طاقة تحويليّة تضاعف من وظيفتها الدلالية، وتمنحها معنىً خاصًا جديدًا ومغايرًا، وذلك بفضل نظام كليّ يتحكم في إنتاج السياق وحمايته من الاضطراب والضعف والخلل التركيبيّ، فهو، في رأي الياس خوري، يحرّر الكلمة من ثباتها "لتصير" جزءًا من السياق... فالكلمة هي، بمعنى آخر، تشكيل لمعان محتملة، والسياق وحده هو الذي يؤكد على العناصر التي يجب تغليبها في هذا الاحتمال"[2].

اهتم علماء اللغة العربية بجمالية السياق اللغويّ الذي جاء عن العرب نسيجًا بلاغيًّا محكم التركيب والصياغة، ووضعوا

دراسات وأبحاثًا تشرح وتؤول وتفسّر نظريات النظم، وما تقوم عليه من أسس صرفية وقوانين نحويّة، ورأوا أنّ السياق ليس حركة مباشرة نحو مدلول موجه، وإنّما هو حركة فيزيائية، مسارها متعدد الانحناءات يوحي بدلالات ينتجها نشاط العنصر اللغويّ الذي يحدّد، بحركته الجمعية مع بقية العناصر، سمات فضائية المسار الدلالي، وحركية النص اللامتناهية وغير المستقرة، فكانت العلاقة بين عناصر اللغة والسياق علاقة تعانق وتكامل وتداخل وتناظر وتكافؤ، فلا وجود لسياق من دون عنصر لغويّ، ولا قيمة دلالية للعنصر اللغويّ خارج السياق.

أكّد الجرجاني في دراساته اللغوية على حتمية العلاقة بين السياق مكوناته اللغويّة؛ الصرفيّة والنحويّة، ورأى أنّ العقل لا يمكن أن يتصور معنى فعل أو اسم من دون تعالق مُنظَّم ضمن السياق؛ فقال" لا يصح في عقل أن يتفكر متفكر في معنى فعل من غير أن يريد إعماله في اسم، ولا أن يتفكر في معنى اسم من غير أن يريد إعماله فيه وجعله فاعلاً له أو مفعولاً، أو

يريد منه حكمًا سوى ذلك من الأحكام مثل أن يريد جعله مبتدأ أو خبرًا أو صفة أو حالاً أو ما شاكل ذلك... لم يكن الفعل وحده من دون الاسم ولا الاسم وحده من دون اسم آخر أو فعل، كلامًا"[3] .

شبّه الجرجاني صاحب الكلام الجيد بالصائغ الذي يحسن خلط الذهب والفضة بنسب تتناسب وقيمة المنتج، فقال: إنّ " واضع الكلام مثل من يأخذ قطعًا من الذهب والفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة"[4] ، وبهذا المزج الفني الإبداعيّ الدقيق تكتسب الأدوات والظروف والضمائر واللواحق، التي لا قيمة لها في ذاتها، نشاطًا لغويًا متجددًا، وبناءً إيقاعيًا عميقًا، وتصير من أهم الوحدات اللغوية الفاعلة في بنية التركيب المتكامل والمتجانس.

تظهر القراءة التحليلية لبيتين من الشعر استدلّ بهما الجرجانيّ على دور السياق في تأدية المعنى، أنّ الحروف الداخلة في بنية التركيب(إنّ_ لا_ على_أن_ الباء_حتى_ الووا_ كأنّ_ لم) لا قيمة دلالية لها خارج التركيب، وكذلك لا

قيمة فنية وترميزية وأدائية للتركيب من دون هذه الحروف، فإذا وردت الكلمات من دون هذه الروابط، فقد التركيب متانته ووحدته وقيمته الجمالية.

وإنك لا تجود على جواد هباتك أن يُلقب بالجواد

أعطيت حتى تركت الريح حاسرة وجُدت حتى كأن الغيث لم يجدِ[5]

حظيت نظرية السياق باهتمام اللغويين العالميين، وتناولت دراساتهم معنى الكلمة في المنهج السياقي contextual approach، وكيفية" استعمالها في اللغة"[6]، فأظهروا الدور الذي تؤديه من خلال استخدامها في سياقات مختلفة[7]، وهذا "ما ركّز عليه فيرث Firthوأنصاره"[8] ، فربطوا طرق النظمcollocations بضرورة الالتزام بصرامة قوانين الصرف والنحو؛ لأنّها تضمن سلامة العلاقات مهما تباينت أشكالها وجواهرها، والجملة،في رأيهم،لا تؤدي معنى تامًاmeaningful متكاملاً، إلاّ إذا امتثلت كينونتها إلى قوانين النحو وتحصّنت ضمن شروطه.

تأسيسًا على دور النحو في إنتاج السياق ذي النسيج المتماسك، ميّز فيرثFirth بين نوعين من النظم؛ النظم العادي المتداول بكثرة، والنظم غير العاديّ المقصور على كتّاب لهم أساليبهم الخاصة، لأنّ اللغة كما يراها لاكان Lacan ، وحدة لا تتجزأ، وبالتالي لا يمكن الفصل بين اللفظ والمعنى ولا يمكن عزل فاعلية التركيب عن فاعلية المكون الصرفيّ، أو المكون النحويّ، أو المكون البلاغيّ، فهذه المكونات جميعها وحدات دلالية" تقع في مجاورة وحدات أخرى. وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها""[9].

تكشف الدراسات اللغوية، العربية منها وغير العربيّة، عن تشابك العلاقة النفعية الدلالية بين الوحدات اللغويّة وطرق نظمها، لأنّ اللغة، أية لغة، لها نظام تشفيريّ مُرمَّز، ولا قيمة لإشاراتها ورموزها خارج تشكيلات عناصرها السياقية، الخاضعة لرقابة غير قمعية (يمكن وصفها بالديموقراطية) تمارسها اللغة على

ذاتها، وفق قوانين(صارمة /مرنة) تضمن تبادل المواقع وتوليد الدلالة، وتحقيق القصدية، فالسياق يثري العناصر بالدلالات. والعناصر تمنح السياق كينونته ووجوده، فيكتسب من المكون الصرفيّ والنحويّ جماله البلاغيّ وقيمه الدلالية، وبالتالي لا يمكن عزل فاعلية السياق عن فاعلية العناصر، فإذا أخذنا كلمات هذا البيت لبشار بن برد:

كأن مُثارَ النقع فوق رؤوسنا
وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

نجد كلمة ليل نكرة مرفوعة، ولم تكن منصوبة على أنّها ظرف، بل جاءت خبرًا ل"كأنّ"، فكان مثار النقع الكثيف أشبه بالليل، ولو كانت الكلمة منصوبة لتغيرت الدلالة واضطرب المعنى إذ لا يجوز أن تسند جملة " تهاوى كواكبه" إلى مُثار النقع، ولذلك يجد المتلقي استحالة في تبديل مواقع الكلمات، لأنّ أي تغيير في الترتيب أو الحركات يفسد المعنى والدلالة، ويسيء إلى غاية المرسلة اللغويّة.

رأى الجرجاني، في وحدة هذه البيت، دلالة على ارتباط المعاني بطبيعة التعالق ووظيفة العنصر النحويّة في السياق، هذه الوظيفة التي تحدّد موقعه وحركته، وتفرض على المتلقي احترام النظم وعدم المساس بالوحدة السياقية، فتمظهر هذا البيت لبشار بحلقة دائرية متماسكة لا تقبل التقسيم ولا يمكن قطع لفظ منه أو تغييره، فكان ترتيب الألفاظ وسيلة إلى تقمص المعاني، ومن ثمّ كشفها، فالكلمة، كما وصفها برتراند راسل، تحمل معنى غامضًا لدرجة ما، ولا تفصح عن معناها الحقيقيّ إلاّ بالسياق، وهذا المعنى، في رأيي، يُخضع العنصر اللغوي/ الدال لطبيعة البنية اللغوية وما تتقيد به من قوانين التشكيل الصرفيّة والنحويّة بالإضافة إلى ما يفرضه السياق النفسيّ والعاطفي والاجتماعي، ففي مسرحية **"Bajazet"**، لراسين **Racine** خرجت كلمة **sortez** التي وجهتها روكسان **Roxane** إلى باجازيت **Bajazet**، عن معناها المعجمي وعن مباشريتها، وصار لها معنى مغاير فرضه سياق الموقف وما أحاط به من

سياقات عاطفيّة ونفسيّة، فالكلمة معجميًّا تفيد معنى " اخرج" وفي السياق المسرحيّ أفادت معنى **mourez** "مت"لأنّ روكسان وضعت على الباب المغلق الذي سيخرج منه باجازيت عبيدًا وأمرتهم أن يلقوا به في البوسفور، فحملت الكلمة دلالة الحكم بالموت، وهذا ما حدث .

ثالثًا : النظم السياقي وقوانين التشكيل الصرفيّة والنحويّة

أثبتت الدراسات أنّ قيمة السياق الكليّة ودقة هندسته مشروطة بجماليات التشكيل الصرفيّ المتولد من نشاط العناصر الصرفية وعلاقاتها التبادلية، ولكن هذه المكونات الصرفية، تبقى أجزاءً متقطعة لا لحمة بينها من دون مكونات نحوية ترتّب الأجزاء، منطقيّا، في عمليات تعاقبية أو تبادلية تحت ظروف رقابية تضمن سلامة التركيب، مهما تبدلت مواقع العناصر اللغويّة.

يمتاز السياق، إذًا، بديناميكية تحويلية مضبوطة بنظام تعاليقي يتحكّم بآلية إنتاج المعاني ودلالاتها، لأنّه لا يمكن عزل معاني الكلم مجردة عن نظامها

السياقي وقوانينها النحويّة، ولقد تنبّه السيرافي إلى أهمية النحو في السياق، فقال:" معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب في ذلك، وتجنب الخطأ" [10].

إنّ هذه العمليات الهندسيّة التبادلية الجبرية من تقديم وتأخير وحذف واختزال، تعطي الألفاظ وظائف نحوية ودلالية وقوة إغراء تحرّض على كشف أسرارها وخصائصها، فالحروف، مثلاً، لا تتسم بأيّة دلالة من دون نشاطها اللغويّ ضمن التركيب، فتمخض الاستقراء اللغويّ عن دراسات غايتها البحث في خصائص الحروف، وقدرتها على تغيير دلالات الأفعال والأسماء في السياق، لتكشف عن نظامها الوظيفي،وبنائها الصوتي وارتباطه ببناء الكلمات ومعانيها[11]، فالفعل" أحال"، على سبيل المثال، تتغير دلالاته وفق حرف الجر المتعلق به، فإذا قلنا:" أحال بالمكان" أفاد الفعل مع حرف الجر معنى" أقام حولاً" وإذا قلنا: "أحال إلى" فالفعل يستخدم لمن أنهى مهماته وأُحيل إلى

التقاعد، وإذا قلنا: "أحال على"، كان الاستخدام محصورًا بإحالة موضوع ما على شخص آخر.

يزخر الموروث الثقافيّ بأمثلة توضّح وتفسّر الأغراض الدلالية والوظائف النحويّة للحروف والأسماء والأفعال، فالحروف تتبدل دلالتها بتبدل طبيعة التعالق، وفاعلية الوظيفة النحوية، فمثلاً كلمة" أو"تفيد في هذا التركيب:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية
هتكنا حجاب الشمس أو تمطرَ الدما

معنى " إلى إن" وكانت أداة نصب، وفي هذا التركيب،

عش عزيزًا أو مت وأنت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود

أفادت كلمة" أو" معنى التخيير، وكانت حرف عطف.وفي ذلك قال الجرجاني:" واعلم أنّ ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي

رسمت لك فلا تخل بشيء منها .وذلك أنّا لا نعلم شيئًا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه..وينظر في الجمل التي تسرد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل...وموضع" أو" من موضع" أم" وموضع"لكن" من موضع"بل". ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كلّه، وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار، فيضع كلاً من ذلك بمكانه، ويستعمله على الصحة، وعلى ما ينبغي له"[12].

أظهر الجرجاني أن فكرة العلاقات تنطوي على حركة خلق مستمرة في اللغة ترجع إلى موقع الكلمة في السياق وعلاقتها به، فالكلمة لا يتصور معناها من دون معاني النحو السياقي، وبهذه المعاني تكتسب العناصر الصرفية فاعلية وحيوية، ويكتسب التنظيم، أيضًا، قوة وفاعلية وحسن اتساق ودقة في الأداء والتبليغ، فقال:" يكون النظم في معاني الكلم دون ألفاظها، وإن نظمها هو توخي معاني النحو فيها، وذلك إنّه إذا ثبت الاتحاد وثبت أنّه في المعاني فينبغي أن

تنظر إلى الذي به اتحدت المعاني "[13]، وحسن الاتحاد مشروط بحسن العلاقة بين المكونات الصرفيّة والنحويّة التي تحرر الكلمة من ثباتها، وتحصّن دلالاتها من خلال تمايز في تشكيلاتها الصوتيّة والنحويّة ،فإذا أخذنا هذا البيت للمتنبي:

بمَ التعللُ لا أهلٌ ولا وطنٌ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ[14]

تتبين أنّ التركيب متشكلٌ من حروف وأسماء، فإذا حاولنا عزل هذه المفردات ،كانت مقاطع صوتية لها إمكانياتها الذاتية، ولكنها تفتقر إلى طاقة التكتل القادرة على تقمص الفكرة وبث الإشارات الدلالية، وهي بالتالي عاجزة عن تجسيد حالة المتنبي النفسيّة التي ارتسمت في الكل التركيبيّ غربةً نفسيّة واجتماعية ووطنيّة، وهي حالة شعورية متأصلة في نفسه وليست حالة طارئة، وإنّما التعلل هو الطارئ، وهذه الدلالات نستشفها من تكرار الأسماء النكرة، فالاسم أسبق على الفعل وأكثر استخدامًا، والنكرة أشد تمكنًا من المعرفة وهي أصل المعرفة[15]،

فأضفى التنوين على السياق تمكينًا وثباتًا وتأصلاً،فكان السبق للاغتراب النفسيّ على التعلل الذي تقدّم في الترتيب وتضاءل فعله في كلية الرسالة.

أدت قواعد الصرف والنحو دورًا رئيسًا تجلى في متانة السياق وبث الإشارات وتعميق دلالات الحدث، فالأسماء جاءت علاماتها الإعرابية ضمة ظاهرة، والضمة علامة الرفع والإسناد، وهذا دليلٌ على أنّ غربتُه النفسيّة حالة متمكنة وأساس يُسنَدُ إليه كيانه الوجدانيّ، فكانت الجمل جميعها اسمية، والمبتدأ فيها نكرة جوازًا مسبوقًا بنفي، وخبره محذوف جوازًا، أيضًا، فأفاد تكرار كلمة " لا" تأكيد النفي، وأفاد تعدد الجمل الاسمية الثبات، وأفادت النكرة تمكن غربته النفسية، وأفاد حذف الخبر العلم به وانتشاره، فكان للتركيب النحويّ الدور الأساس في توطيد العلاقات السياقيّة وتماسك نظمها وتبني المعاني والدلالات.

تنبّه علماء اللغة الأوائل إلى دور التراكيب في إنتاج المعاني وبث الإشارات، وتعدد الدلالات، ومما قاله

السيوطي نقلاً عن الرازي: "ليس الغرض من الوضع إفادة المعاني المفردة، بل الغرض إفادة المركبات والنسب بين المفردات كالفاعلية والمفعولية وغيرهما، "[16]، أي إنّ المعاني التي تنتجها الألفاظ لا تتوقف عند قيمتها المعجمية بل تكتسب من مواقعها السياقية قيمًا مغايرة ومتناقضة ومتباينة، لأنّ العناصر اللغوية تكتسب قيمتها الترميزية، وطاقتها الإيحائية من وحدة السياق وتماسكه، فكلمة" نديم" ، مثلاً، عكست في سياق بيت المتنبي، السابق ذكره، تمكن حالة الاغتراب النفسيّ والاجتماعيّ في وجدان الشاعر، أمّا في كلام الأخطل:

إذا ما نديمي علّني ثمّ علّني ثلاث زجاجات لهنّ هدير

خرجت أجرُّ الطرف حتى كأنني عليك أمير المؤمنين أمير

فلقد عكست كلمة " نديم" المشاركة الوجدانية والاجتماعية، وكشفت عن واقع حركيّ، قوامه فعل وجزاء، منطلقهما ماضٍ نحو مستقبل مؤسس على الارتواء ونشوة

الخمر، وهاتين القيمتين المجسدتين فاعلية العنصر اللغويّ"نديم" أظهرتهما دقة النظم ووظيفة مكوناته الصرفيّة والنحويّة، التي وحدها لها الفضل في توليد الصور البلاغيّة وتكثيفها.

يفرض ترتيب عناصر اللغة علامات توحي بوظيفتها ودلالاتها، فتنقل رسالة رغب المرسِل في تبليغها بوضوح ودقة، وأيُّ تغيير في ترتيب العناصر يؤدي إلى تشويه فحوى الرسالة ويسيء إلى مضمونها وجوهرها، فإذا أُخضعت كلمات هذا البيت الشعريّ:

<u>**إن المرءُ ميتا**</u> بانقضاءِ حياته
ولكن <u>**بأن يُبغى**</u> عليه فيخذلا[17]

لتبديل المواقع تتشوّه القيمة المعنويّة الحقيقيّة للمُرسَلة، وتتحوّل عن أهدافها، ويفرّغ التركيب الشعريّ من معانيه ودلالاته، فالمعنى العام يشير إلى حكمة مجتمعية وأخلاقية وإنسانية؛ فالمرء لا يّعد ميتًا إذا انقضت أيامه في الحياة، لأنّ الموت الحقيقيّ موت اجتماعيّ يفرضه الغي والظلم وما يولدانه من خذلان، فصار

الخذلان موتًا، والبغي لا حياة، ولذلك كانت علامة الرفع في كلمة" المرء" دليلاً على أنّ " إن" نافية" وليست حرفًا مشبهًا بالفعل، فانتفت فرضية التأكيد والتشبيه، وصارت الحياة الحقيقة موازية للعدل والحق، ويمكن توضيح الفرضية ونتيجتها على النحو التالي:

(إن) = نفي=(-)

المرءُ ميت= لا وجود له=(-) نفي

انقضاء الحياة= لا وجود لها= (-) نفي

لكن= الاستدراك، وهنا أفادت إسناد النفي إلى ما بعدها=(-)

بأن يبغى=دلالة الفعل المنصوب مستقبلية سالبة

فيخذلا= دلالة الفعل المنصوب المستقبلية سالبة.

الشطر الأول:

الشطر الثاني:

حرف نفي (إن)

حرف استدراك أفاد النفي(لكن)

المرء ميت

أن يبغى عليه

انقضاء الحياة
فيخذلا

قراءة عناصر التركيب المتكاملة والمتقابلة تؤدي إلى التصور التالي:

المرء ميت= البغي

انقضاء الحياة=الخذلان

وبتبديل المواقع في تقديم أو تأخير في صياغة النتائج يصير البغي مساويًا الموت، ويصير الخذلان مرادفًا لانعدام الحياة أي الموت المعنوي، لأنّ الحياة ليست عيشًا إن لم يكن العيش مصحوبًا بالكرامة.

النتيجة:

سالب (إن). سالب (المرء ميتًا) =موجب # (سالب) انقضاء الحياة

(لكن)= سالب. (أن يُبغى)= سالب. (فيخذلا)= سالب

أي، ليس الموت انقضاء الحياة، (إن المرء ميتًا)؛ لأن الموت الحقيقي كامن في البغي والخذلان؛ (أن يبغى عليه فيخذلا)؛ إذًا: انقضاء الحياة (_) // البغي والخذلان (_)

أي أنّ البغي والخذلان هما السبب الرئيس في انقضاء فاعلية الحياة، فالموت الجسدي خلاص، والخذلان موت روح المكارم.

يظهر تحليل علاقات العناصر الرياضية والمنطقية بعضها ببعض أنّ أيّ تبديل أو تحريف في الكلمات أو مواقعها، أو علاماتها، يحدث تغييرًا في النتيجة، ولا يوصل إلى حقيقة الفكرة التي رمى إليها الشاعر.

إنّ العلاقة بين السياق وبين عناصره اللغويّة علاقة متداخلة متكاملة متوازنة مضبوطة بقوانين الصرف والنحو التي تحدّد طبيعة عناصر التراكيب وشروط اتساقها وتعالقها، فالعلاقة، إذًا، "بين العلامة الإعرابية ودلالة الكلمة في السياق حتمية، وبالتالي فالحركات علامات بارزة في تعيين المعنى الدلاليّ للكلمة، لأنّ الكلمة تفتقر في بنائها المستقل إلى مثل هذه الدلالات، ولا يعرف معناها إلا بعد اتساقها في الجملة.

رابعًا: العلامة الإعرابيّة والقيمة الدلالية

حظيت العلامات الإعرابية بعناية النحويين واهتمامهم، فاستقروا دورها في السياق، وكشفوا عن دلالاتها، ووضعوا تعريفاً علميًّاً منطقيًّا يفصح عن وظيفة الحركات في ترابط التركيب، كما بحثوا في أصل الحركات وقوتها، وبيّنوا إفادة كل حركة، وأصلها ودورها، ورأوا أنّ: "الحركة الإعرابية مع كونها طارئة أقوى من العلامة البنائية الدائمة، لأنّ الإعراب علم لمعان مقصودة، تميز بعضها عن بعض"[18].

شغل دور العلامة وتحديد ماهيتها علماء اللغة سواء أكانوا عربًا أم غير عرب، ورأى تودوروف Todorov أنّ العلامةَ " تتكون من ثلاثة أطراف متعاضدة هي الدال والمدلول والشيء المسمى، فالدال هو الصوت المنطوق والمدلول هو الشيء المستحضر المدرك باعتباره مرتبطا بتفكيرنا"[19]،فالعلامة رمز دالٌ على شيء آخر، وبالتالي العلامة اللغوية لا تقوم

إلا على مسمى، ولا دلالة لها إلا به، ولا قيمة لها بذاتها، بل بما يفرضه السياق على المسمى، وبما تقدمه للسياق من كشف وتوضيح لوحداته اللغويّة، فهي، أيضًا، تكمن في المعنى المجرد/ المدلول والصورة الصوتية/الدال المرتبطة به، كما قال دي سوسير.

رأى علماء اللغة العربيّة أنّ مواقع العناصر اللغوية المتماثلة، لا تتمايز إلاّ بالعلامات التي تكشف عن المرتبة الوظيفيةّ والدلالية لكلّ عنصر من عناصر التركيبّ، فكان الإعراب، في رأي علماء العرب، إفصاحًا وإبانة وكشفًا[20]، وكانت علاماته إشارات تُسهم في استنباط المعاني والتقاط إشارات السياق ودلالاته، وطاقة كمونية تتحكم في إنتاج المعاني، لأنّ "الكلمات والجمل لا تتمايز إلا به"[21]، وبخاصة عندما تجتاح النظم السياقيّ تراكيب تمردت على ثوابت المفاهيم التعاليقية، وانساقت إلى النُظم البلاغية التي تفرض تقديمًا وتأخيرًا وحذفًا وتقديرًا،فيأتي التفاعل الدلاليّ أكثر ترميزًا وإيحاء،لأنّ اللغة والكلمات

المكونة لها ،في رأي بوتون،" تمثل صورة من العالم، وفي الوقت ذاته تمثل صورة لتفكير المتكلم ولحالته الشعورية"[22]، وهذا التمثيل تعويض لحقائق لا تتبدى إلا بفهم الكلام وكشف دلالاته، فالشوق في كلام المتنبي:

أغالب فيك الشوقَ، والشوقُ أغلبُ
وأعجب من ذا الهجرِ، والهجرُ أعجبُ

بعد أن كان مفعولاً به خاضعًا لفعل العقل، صار في السياق عينه المسند إليه المتحكم في إبراز الحدث وإعلان الغلبة، وهذا التحوّل حددته العلامة الإعرابية، فكشفت عن الصراع في ذات الشاعر بين أن يكون غالبًا أو مغلوبًا، وكذلك كانت الحال مع الهجر الذي بدأ الكلام عليه مقرونًا بخفض الهجر والتقليل من شأنه، ليتحول في التركيب عينه إلى مسند إليه أساس متمظهر بعلامات القوة والرفع والإسناد.

تأسيسًا على ما سبق، يمكن القول إنّ العلامة الإعرابية تتحكم بالهندسة الدلاليّة للتراكيب، وهذا يفرض على

المتلقي أن يُلم بوظائف العلامات الإعرابية والدلالية، وأن يُحسن دقة استخدامها، ويستوعب آلياتها الإنتاج، وإجراءاتها المنطقيّة، وغاياتها القصديّة، ولقد نبّه علماء اللغة العربيّة إلى ربط دقة المعاني بفهم عميق لعلامات الإعراب، وظهر ذلك في كلام الكسائي على وظيفة النحو الدلاليّة في حواره مع الفقيه أبي يوسف القاضي الذي ذم النحو، فقال" ماذا تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتلُ غلامِك، وقال له آخر: أنا قاتلٌ غلامَك، أيُّهما كنت تأخذ به؟ قال: آخذهما جميعًا، فقال له أخطأت"؛ لأنّ القول الذي يحاسب عليه الرجل في قتل الغلام هو:" أنا قاتلُ غلامِك" لأنّ الاسم المشتق بإضافته أفاد الحدث الماضي، وأما القول: " أنا قاتلٌ غلامَك" لأنّه مستقبل ولم يقع ولا تكون المحاسبة على أمر لم يقع[23].

إنّ للعلامة الإعرابيّة دورًا أساسًا في رصف الكلمات وإنتاج الدلالة، وكانت هذه العلامات، في رأي علماء العرب، نتاج الفكر المنطقي، فانصبت اهتماماتهم على معنى العلامة، وعلى فهم دلالاتها

ووظائفها، وحاولوا ربط أسماء الحركات بشكل النطق، فالضمة جاءت من ضم الشفتين عند النطق بها، والفتحة من فتح الفم، وكأنه ينتصب في نطقها، والكسرة من جر الفك إلى أسفل، فكأنّه يتكسّر، ويسقط ويهوى إلى أسفل؛ وحاولوا تعليل الحركات في السياق، فرأوا أنّ الرفع يدل على العلو، فيقال ارتفع الشيء ارتفاعًا، إذا علا [24]، ولم يهملوا دور العلامات المُقدرة على الحرف الأخير، فقسّموا الإعراب إلى ظاهر ومُقدّر، وعللوا سبب ظهور الحركة أو تقديرها على الحرف الأخير تعليلاً علمياً منطقياً يفسّر ويؤول قيمة النشاط اللغويّ ودور الحركة في كشف الدلالة، وبخاصة عندما يتعرض السياق للتقديم والتأخير والحذف، فبحثوا عن شروط التقديم والتأخير والحذف، وفي قوانين وخصائص التعجب والنداء والقسم والاختصاص والتنازع والاشتغال والاستثناء، والمدح والذم ، وفي وظيفة التوكيد والعطف والبدل والنعت والنفي والنهي، وغيرها من أساليب الأنساق الصرفية والنحوية المؤسسة ضوابط تشكيل سياقات صحيحة،لا

حصر لها،فأكدوا على أنّ أي تغيير يفرضه التركيب على موقع العنصر يؤثر على رمزية العلامة وقيمة العنصر الدلالية.

يزخر الخطاب القرآني بنماذج لغوية تظهر دور العلامة وقيمتها الدلالية في فهم النص القرآني وتأويل آياته، وذلك مهما حدث على التركيب من تقديم أو تأخير أو حذف أو إضمار؛ ونبّه الفقهاء واللغويون إلى التركيز على علامات الإعراب، وبخاصة في قراءة القرآن الكريم، لأنّ تبديل الحركات يسيء إلى جواهر المعاني، ويعكس دلالاتها ويشوه صورها، ففي قوله تعالى:

_"وإلى عادٍ أخاهم هودًا" [25]

جاءت كلمة "أخاهم" في حالة النصب، فلو جاءت بعلامة الجر"أخيهم " لتبدلت الدلالة وتغيّر المعنى، لأنّ النصب أشار إلى فعل محذوف تقديره "وأرسلنا إلى عاد أخاهم "فكانت علامة النصب المكتسبة من خلال السياق القرآني دليلاً إلى فعل محذوف جوازًا، لأسباب بلاغية وجمالية ومنطقية، فاكتسبت الكلمة بعلامة النصب وظيفة

نحوية ومعنى بلاغيًا ودينيًّا أكثر عمقًا وإفادة.

_ وفي قوله تعالى :" وهو الذي خلق السماوات والأرضَ في ستة أيام وكان عرشُه على الماء ليبلوكم أيُّكم أحسنُ عملاً ولئن قلتم إنّكم مبعوثون من بعد الموت **لَيقولَنّ** الذين كفروا **إن** هذا إلاّ سحرٌ مبين"7" ولئن أخّرنا عنهم العذابَ إلى أمة معدودة **ليقولُنّ** ما يحبسه ألا **يومَ** يأتيهم ليس مصروفًا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون"8[268] ، ورد فعل" يقول" متصلاً بنون التوكيد، وذلك في آيتين متعاقبتين، ولكنّ قوانين تشكيل المكوّن الصرفيّ وما يرتبط به من شروط الإسناد التركيبيّ جعلت من الفعل الأوّل مبنيًا على الفتح لاتصاله بنون التوكيد،و لأنّ المسند إليه اسم ظاهر، وبالتالي بقى الفعل في صيغة المفرد، أمّا الفعل الثاني فكان مرفوعًا وعلامة رفعه نون محذوفة لأنّه من الأفعال الخمسة، وكان الحذف فرارًا من توالي الأمثال، أمّا الضمة فهي إشارة إلى الفاعل المحذوف منعًا لالتقاء

الساكنين، وهي في الأصل " واو" الجماعة المتصلة بالأفعال الخمسة؛ فكيف يستطيع القارئ أن يفهم بلاغة القرآن وعظمة دلالات آياته من دون معرفة علميّة بقوانين النحو؟

وفي قوله تعالى" إنّما يخشى َالله من عباده العلماءُ "[27] رفع بعض القرّاء لفظ الجلالة، وجرَّ كلمتي(عباده العلماء)، وصار الله فاعلاً أسندت إليه الخشية، فكان الرفع في اسم الجلالة وعلامة الجر في كلمتي " عباده" و" العلماء"حجة لدى المشككين في جعل الله فاعلاً خائفا من عباده العلماء، أما القراءة الصحيحة فتؤكد على اقتران خشية الله بالمعرفة، فالعلماء يزدادون تعلقا بالخالق، كلما ازدادوا معرفة، ؛ فكان الإعراب توضيحا للمعنى، وتكريمًا للعلماء، وتعظيمًا للخالق، ودعوة إلى العلم والمعرفة.

_ **وفي قوله تعالى:"** إنّا أرسلناك بالحقّ بشيرًا ونذيرًا **ولا تسأل** عن أصحاب الجحيم" [28]، قرئت كلمة" تسأل" بالجزم، ووردت في القرآن مرفوعة، والدلالة

تتغيّر بين الرفع والجزم، فقال الأخفش: إذا استخدمت كلمة تسأل بالجزم تغيرت دلالة الكلمة في السياق، وصار الكلام دالاً على النهي عن السؤال، وفي ذلك تعظيم لما فيه من العذاب، أما الرفع فهو على النفي، وتكون الجملة استئنافية فكان المعنى:" أرسلناك بشيرًا ونذيرًا وغير سائل ، أو غير مسؤول وهذا المعنى أفصح من دلالة الجزم.."[29] .

_" وإذ ابتلى إبراهيم ربُه بكلمات"[30]

الابتلاء والاختبار يكون أفصح دلالة وأعظم قدرًا إذا كان من الله لعبده ولا يجوز أن يمتحن العبدُ ربَه ويختبره، والتمييز هنا ما كان ليحصل لولا الإفصاح، عن مواقع الكلم والتمييز بين الفاعل والمفعول به، من دون علامات الإعراب، فالحركات رموز للأصوات، والصوت اللغوي جزء رئيس من تشكيل الكلمة، وهذه الحركات هي المرشدة إلى المعاني، ولقد عبّر الزجاجي عن ذلك بقوله: "إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة، ولم يكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني، جعلت حركات

الإعراب تبين عن هذه المعاني، وتدل عليها ليتسع لهم في اللغة ما يريدون من تقديم وتأخير عند الحاجة"[31].

تضمر علامات الإعراب فعلاً تحريضيًّا يحرّر الكلمات من ثباتها، ويحفّزها على التلاقي والتواصل والإسرار ومن ثم المكاشفة؛ لأنّ الحركة، في رأي ابن جني، تقلق الحرف وتزيله عن سكونه وتُحركه للالتقاء بغيره، وبهذا التلاقي والتآلف ضمن السياق تتحدد قيمة الكلمات الدلاليّة، يكتسب التركيب معنى عامًا/ خاصًا، يدين في تشكُّله إلى حركة الحروف، بوصفها وسيلة ربط، وكمون إسرار وإفصاح، ولكنّ هذه العلامات بقدر ما تتمتع به من طاقة ترميز، وفاعلية خلق، فهي تحرص على أصالتها وثباتها، فاختصت الحركات بمدلولاتها في السياق، واختصت الضمة بعلامة المسند إليه، والفتحة بعلامة المفعولية، والكسرة بعلامة الخفض والجر، ولكنّ هذه العلامات لا تستقل بدلالاتها من دون مرموز إليه تكتسب منه وجودَها، وتكسبه، في الوقت عينه، موقعه السياقي وقيمته المعنويّة.

حظيت العلامات الإعرابيّة باهتمام علماء اللغة، ورأوا أنّها، على الرغم من استقلاليتها، فهي تُكتسب اكتساباً في السياق، وليست من أصل البناء التركيبي للكلمة، أمّا ما كان منها ثابتًا في سكونية حرفه الأخير فلقد أطلقوا عليه صفة البناء اللفظيّ، وبحثوا عن محله الإعرابيّ وعن موقعه في الكلام، وذلك من خلال علاقته ببقية العناصر التركيبية للجملة النحويّة، وعبر الخليل بن أحمد عن ذلك بقوله: "إن الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهنّ يلحقن الحروف ليوصل إلى التكلم به، والبناء هو الساكن لا زيادة فيه"[32]، فكان للبناء دلالات مغايرة للإعراب، ولذلك حرص الفصحاء من العرب على استخدام البناء والإعراب، وفق ما تفرضه المعاني المحتجبة في ظلال التراكيب، ففي قول أمية بن الصلت نلمس اختلاف دلالة الأسماء الواقعة بعد" لا" باختلاف طبيعة "لا" وظيفتها في الاسم الواقع بعدها:

ولا لغوٌ ولا تأثيمَ فيها ولا حينٌ ولا فيها مُليم[33]

جاءت "لا" الأولى والثالثة، والرابعة، تنفي الخبر عن الاسم الواقع بعدها فقط، لأنّ "لا" أفادت النفي، وكانت بمعنى "ليس"، فجاءت الكلمات معربة، أمّا "لا" الثانية" فلقد نفت الخبر عن جميع أفراد جنس المبتدأ لأنّها نافية للجنس ، وجاءت الكلمة بعدها مبنية على الفتح، لأسباب نحوية وبلاغية تفضي إلى دلالات منطقية.

نجد القضية عينها في بيت لأبي الطيب يقول فيه:

لا خيلَ عندك تهديها ولا مالُ
فليسعدِ النطقُ إن لم تُسعدِ الحالُ.

كان تركيز المتنبي على نفي وجود القوة المعنوية نفيًا قاطعًا؛ فالخيل التي يُكنى بعددها عن الشجاعة والإقدام والبطولة، لا وجود لها، ويمكن أن تُرى بالعين المجردة، فتأكيد النفي لا يحمل التصديق أو الكذب، ولم تكن الدلالة عينها في نفي القوة المادية، لأنّ مال الشخص مخبوء والكلام عليه يجوز أن يكون صادقًا أو كاذبًا، فكان النفي حصرًا على واقع آني يجمع بين المرسل والمتلقي، علمًا أن تبادل المواقع بين كلمتي" خيل"

و"مال" لا يحدث تغييرًا في الوزن والموسيقى، لذلك يمكن القول إنّ ترتيب الكلمات وعلاماتها الإعرابية اقتضته غايات بلاغيّة ودلالات معنويّة، اجتماعيّة ونفسية وقيمية إنسانيّة.

يحرّض التشكيل اللغويّ نشاط السياق ويوجهه في عملية ترتيب الألفاظ الخاضعة، في تأدية المعاني، لعلامات تفرضها العلاقات السياقية الصرفية والنحوية، فيتم تحديد قيمة العنصر اللغوي ورتبته التنظيمية، ووظيفته وطبيعة ترابطه مع بقية العناصر، لأنّ العلامة الإعرابية وحدها القادرة على التمييز بين علاقات الإسناد أو التعدية أو غيرها من العلاقات، فإذا قرأنا هذا البيت لامرئ القيس:

فلو أنّ ما أسعى لأدنى معيشة
كفاني، ولم أطلب، قليلٌ من المالِ[34]

وجدنا أنه يتضمن فعلين" كفاني" و" أطلب" قبل كلمة "قليل" الاسم المعرب، والفعل الأول متعدٍ إلى مفعول به واحد

وهو محتاج إلى فاعل، وفاعله يجوز أن يكون مستترًا، والفعل "أطلب" يحتاج إلى مفعول به وفاعله مستتر وجوبًا تقديره "أنا"، ولذلك يجوز أن تكون كلمة "قليل" فاعلاً للفعل "كفاني" أو مفعولاً به للفعل "أطلب" فجاءت علامة الرفع لتحدد موقع الكلمة في السياق على أنّها مسند إليه " فاعل للفعل" كفاني" وليست مفعولاً به للفعل أطلب" وبتحديد مواقع الكلم في السياق من خلال علامة الإعراب تتغير الدلالة فالشاعر، وفق ما فسّر ابن يعيش في كتابه شرح المفصل، أراد أنّ يقول " إنني لو سعيت لمنزلة دنية كفاني قليل من المال ولم أطلب الكثير"[35]

أثبت علماء اللغة العربيّة دور العلامة الإعرابية في السياق، وعلّلوا سبب ورودها في آخر الكلمة من دون أوائلها وأوساطها بفكر فيزيائيّ علميّ منطقي، فقال الزجاجي: "لم يُجعل الإعراب أولاً، لأنّ الأول تليه الحركة ضرورة الابتداء، لأنه لا يبتدأ إلا بمتحرك، ولا يوقف إلا على ساكن، فلما كانت الحركة تلزمه لم تدخل عليه

حركة الإعراب، لأنّ الحركتين لا تجتمعان في حرف واحد، ولما فات وقوعه أولاً لم يكن أن يُجعل وسطاً، لأنّ أوساط الأسماء مختلفة، لأنّها تكون ثلاثية ورباعية وخماسية وسباعية، فأوساطها مختلفة..."[36]، وبالمنطق عينه برّر قطرب عدم توالي ساكنين في السياق، فقال: "إنّما أعربت العرب كلامها، لأنّ الاسم في حال يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون، وأمكنهم التحريك، جعلوا التحريك معاقباً للإسكان ليتبدل الكلام، ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة ولا في حشو بيت، ولا بين أحرف متحركة، لأن في اجتماع الساكنين يبطئون، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون وتذهب الصلة في كلامهم، فجعلوا الحركة عقب الاسكان"[37].

إنّ حركة السياق شبيهة بحركة الوسط الفيزيائي، فلا ساكن يعقب سكونًا من دون حركة، وكذلك لا يلتقي ساكنان في سياق لغويّ، فإذا تتابعت السواكن في السياق تخلت بعض الحروف عن سكونيتها لمصلحة

الحرف غير القادر على الحركة، وإذا تعذّر النطق بالساكن تمت الاستعانة بحرف وصل يوصل إلى النطق به، فأضفى العرب على السياق جمالية في الصورة والصوت والمعنى والدلالة، وحافظت التراكيب على نسبية تعالقية بين المكونات اللغوية وعلاماتها ودلالاتها ورموزها وإيحاءاته، وفق عمليات تناسبية تعطي للسياق قيمًا دلالية مغايرة ومتمايزة.

خامسًا: كلمة أخيرة

لما كانت الكلمات المنطوقة أو المكتوبة تختزل الوجود والغياب للشيء المستحضر، فيمكن اعتبار اللغة شرطًا أساسًا للوعي الذاتي والجمعيّ، لأنّها تشكّل الوسيط بين الإنسان وبين الأشياء فاللغة، إذًا، خلق مستمر تبني الفكر، وتتبنى تجسيد حركته، ولما كان البناء القابل للاستمرار متسمًا بالجدة، فلا بد من أن تواكب أنماطه المتجددة انحرافات في دلالة المنطوق اللغويّ، وإضافات تفرضها طبيعة التراكيب المشحونة بحركات داخلية مضبوطة بقوانين صرفية ونحوية، تعمل على

فرملة المكونات ضمن مساراتها الدلالية النحوية والصرفية والبلاغية، من دون أن تسلبها حريتها في اختيار مواقعها داخل التنظيم بما يتناسب والقيمة المعنوية للنتاج الفكريّ.

تمارس اللغة رقابة ذاتية مشحونة بفعل توليديّ، يسمح لها أن تنغلق على طاقات من الاستخدامات غير المحدودة، فتنتج عددًا لا حصر له من السياقات التي تنتظم ضمنها وحدات لغوية متشابكة في رباطها التكوينيّ، ومحرضة على توليد المعاني، وهذه الطاقات التوليدية تحّدد مساراتها عمليات لغوية ذهنية منطقية توازن بين الألفاظ المتعالقة ودلالاتها، فتعقد المكونات النحوية والصرفية عقد توافق واتفاق يضمن سلامة السياق، من جهة، ويتعهد، من جهة ثانية، نقل تصورات الفكر وحركاته بأمانة تضمن" للنص معنى موضوعيًّا مقصودًا من كاتبه..."[38]، فتمارس اللغة نشاطها في سياقات تتبنى نتاج نشاطات الفكر، وتكوّن فضاء معرفيًّا لا حدود له، يحرّض على الحرية والإبداع،

بقدر ما يحترم قوانين مكونات عناصره وخصائصها النحوية والصرفيّة.

الهوامش :

[1]_ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص3

[2]_دراسات في نقد الشعر، مؤسسة الأبحاث العربيّة، ط1، 1980،ص 64.

[3]_ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 314 – 315.

[4]_دلائل الإعجاز، ص316.

[5]_ دلائل الإعجاز،ص 153 .

[6] _meaning and style.p8.

[7] _semantic fields .p 174.

[8] _ oilman, meaning and style.Oxford..p9.

[9] _nida.componential analysis of meaning. mouton 1975.p196.

[10]_ياقوت الحموي، معجم الأدباء،8/ 214.

[11]_ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص 19

[12]– *الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 64_65.*

[13] _ دلائل الإعجاز ، ص317.
[14] _ المتنبي، الديوان،
[15] _ سيبويه، ج1، ص 20_21_22.
[16] _ المزهر،ج1، ص41.
[17] _محمد محيي الدين عبد الحميد، شرح ابن عقيل،لا.ت، ج1، ص 318.
[18] _الكليات، ج1، 216.
[19] _theories du symbol, seuil,1977,p17.
[20] _الجرجاني، أسرار البلاغة،تح السيد محمد رشيد رضا،دار الفكر، ص56.
[21] _ السيوطي، الأشباه والنظائر،ج1، ص 89.
[22] G. Bouton, "La signification" éd. Klincksieck, 1979 p. 13.
[23] _ ياقوت الحمويّ، معجم الأدباء،177/13
[24] -*الايضاح في علل النحو،ص 93* سر صناعة الإعراب ج1،ص 30_31.
[25] _ هود 50.
[26] _ هود:7_8.
[27] _ فاطر:28.
[28] _ البقرة:119.
[29] _ الأخفش، معاني القرآن، ج1، ص 146.
[30] _ البقرة:128.
[31] _ السيوطي، الأشباه والنظائر، ج1، ص 76- 78.
[32] _ سيبويه، الكتاب، ج2، ص 315.
[33] _ البيت مأخوذ من شرح ابن عقيل، ج1، ص 402.

[34]_ امرؤ القيس ، الديوان، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، القاهرة، ص 39.

[35]_ج1، ص79.

[36]_ الزجاجي الإيضاح في علل النحو، ص 76.

37- السيوطي الأشباه والنظائر، ج1، ص 76.

[38]_M .Charles l,arbre et la source, p,152.

استثمار علوم اللغة
في
تحليل الخطاب الإعلامي

د بشير أبربر
ج عنابه

E

صار الطريق إلى حقائق التخاطب مفتوحا أمام كل من اقتنع بأن في الخطاب ما ليس في غيره من تشعب اللغة، فهو ملتقى للمعارف اللغوية والأدبية والاجتماعية والنفسية والتاريخية والإعلامية والثقافية بصفة عامة، تتفاعل فيه الخطابات المختلفة المعبرة عن هذه المعارف المتنوعة، إذ لكل معرفة خطابها المعبر عنها الشارح الواصف لأهدافها ومحتوياتها، فهو لسان حالها في منظومات المعارف التي تقتضيها مجالات الحياة وسياقاتها الاجتماعية، ولذلك فإن الحاجة قائمة لاكتشاف هذه الخطابات ومعرفة كيفية توظيفها واستثمارها في واقع استعمالها بحسب حاجات الناس المتباينة

بتباين أغراضها ومقاصدها التخاطبية؛ فما تقتضيه الحياة التعليمية من استراتيجيات في الخطاب لا شك يختلف في الكثير أو القليل، عما تقتضيه الحياة الإعلامية من استراتيجيات، وبهذا نجد أنفسنا أمام سياقات ومقامات ومعارف وثقافات متعددة تقتضي خطابات لغوية متعددة هي أيضا، تتفاعل فيها قضايا النحو والصرف والمعجم والدلالة والأصوات وقضايا السرد والوصف والبرهان والحجاج.

إن الطريق إلى حقائق التخاطب كما قال الدكتور "طه عبد الرحمن" يشمل: "التبليغ وتبليغه تنشأ فيه المعاني مشتركة بين ذوات مختلفة، فيه "التدليل" وتدليله يجعل من كل قول "دليلا" على " مدلول" يطلبه الغير في نفسه أو في أفقه، وفيه التوجيه، وتوجيهه يبث في الأقوال قيما ستنهض همة الغير للعمل" (1).

لقد شهدت علوم اللغة تطورات هامة، فظلت تنفتح على الخطابات المختلفة ومناهج تحليلها مثرية إيّاها بالمفاهيم

والرؤى الجديدة التي يمكن استثمارها في الإجراءات المنهجية التي تحتاجها الدراسة التطبيقية للخطابات والنصوص، وفي الوقت نفسه استفادت من المعارف الأخرى، مما أدى إلى التعدد والتنوع، وهكذا تبادلت الاستفادة مع تحليل الخطاب على:

- **مستوى المفاهيم والمصطلحات:** فقد أغنت علوم اللغة تحليل الخطاب واغتنت به بكثير من المصطلحات التي هي في أساسها مصطلحات لسانية ومصطلحات خطابية مثل: البنية والنظام والتخاطب والتلفظ والملفوظ والبنية العميقة والسطحية والكلام والوصف ومقام التخاطب ...

- **مستوى المنهج وإجراءات التحليل:** فيعد تحليل الخطاب ميدانا خصبا لاستثمار المعطيات المنهجية المختلفة التي وفّرتها علوم اللغة في دراسة النصوص والخطابات مثل: البنوية والسيميائية والتداولية أو كما يسميها " طه عبد الرحمن" مستوى الداليات ومستوى الدلاليات ومستوى التداوليات(2).

ويعد الخطاب الإعلامي صنفا من بين أهم أصناف الخطابات اللغوية المتغلغلة في أعماق الحياة الاجتماعية المعبرة عن كل مجالاتها الحياتية المؤثرة فيها المتأثرة بها، فقد تحول الإنسان في هذا العصر إلى كائن إعلامي تواصلي، يحتاج إلى المعلومة مثلما يحتاج إلى الأكل والشرب.

فإذا كانت الجريدة منتوجا إعلاميا مكتوبا ليس في متناول الجميع بحكم الأمية لحد الآن وبخاصة في جنوب الكرة الأرضية، وإذا كانت شبكة الإنترنت مخترعا علميا لا ينعم بخيراته إلا جزء قليل من سكان العالم معظمهم في البلدان الصناعية المتقدمة، فإن جهاز الراديو يعد ملكا مشاعا بين الناس يوجد في كل زاوية وفي كل بيت، والأمر نفسه بالنسبة للتلفيزيون الذي أصبح مقيما دائما في كل عائلة وكأنه فرد من أفرادها؛ من العائلة التي توجد في المدينة الصناعية إلى العائلة التي توجد في العشيرة أو القبيلة في المناطق والمداشر البعيدة، دون إغفال دور الهاتف وأنواعه في نقل الأخبار وتبادلها بين الناس، وما حقّقته

السينما من وظائف ثقافية وجمالية وترفيهية متنوعة.[3]

لقد أدى هذا التطور التقني الرهيب إلى تطور مماثل بل إلى ثورة في الإعلام والاتصال، من هنا تأتي أهمية هذه الدراسة في كونها تحاول أن تطرح جملة من الأسئلة الخاصة بالخطاب الإعلامي، فما هو الخطاب الإعلامي؟ وما هي أهميته؟ وما هي خصوصياته اللغوية وغير اللغوية؟ ولماذا ندرسه؟ وما هي المقاربات المنهجية التي نتخذها مداخل للدراسة من حيث شكله ومحتواه؟

2- مفهوم الخطاب الإعلامي وأهميته:

يقال: أَعْلَمَ فلان فلانا الخبر، بمعنى نقله إليه ووصف وقائعه وعرّفه به، وقد جاء في موسوعة: لاروس الكبيرة GRAND LAROUSSE " أن الإعلام هو إطلاع غيرنا على واقع أحداث معيّنة"[4].

وذكر "إبراهيم إمام" أن مصطلح "إعلام"، يفيد مفهوم النقل الموضوعي للمعلومات بصورة صحيحة، بغية التأثير الواعي على الفرد، حتى تتاح له فرصة

تكوين رأي حر مستقل تجاه الواقع المقدم له في شكل حقائق، من أجل التفاهم والمشاركة بين المرسل وبين المرسل إليه على أساس الثقة المتبادلة (5).

نفهم من هذا الرأي أن الإعلام "Information" يختلف عن الاتصال أو التواصل"communication"؛ فإذا كان الإعلام يتمثل في نقل الأخبار والمعلومات المختلفة من المرسل إلى المرسل إليه، فإن الاتصال يتجاوز **الوظيفة النقلية الإخبارية إلى الوظيفة التفاعلية بين المتخاطبين.**

ترتبط هاتان الوظيفتان بمقاصد الإنسان وأغراضه وبمقامه الاجتماعي وأهدافه وتبرزان في استعماله للغة بالنظر إلى هذه العوامل التي تقتضيها مقامات التحدث أو مقامات الكتابة.

وهكذا فإن الوظيفة النقلية تظهر في ما تؤديه اللغة من نقل ناجح للمعلومات والأخبار، فيكون جهد المرسل إليه مركزا على بناء الخطاب بما يمكِّن المرسل إليه من الحصول على المعلومات الصحيحة

الدقيقة التي يحملها الخبر. " وتعدّ هذه الوظيفة إحدى مزايا اللغة الطبيعية التي تمكّن الناس بها من تطوير ثقافاتهم من خلال المعلومات المتناقلة، ومن تحقيق التواصل فيما بينهم سواء أكان ذلك بغرض التوجيه أم التعليم أم غيره..."(6).

إن الوظيفة التفاعلية، هي التي تؤسس التواصل الفعّال بين الناس وبين المؤسسات الاجتماعية وما في ذلك من تثبيت للعلاقات والتأثير فيها، ويكمن دورها في التعبير عن المقاصد التي ينويها المتكلمون، ويكون دور اللغة هنا دورا تداوليا بحسب القصد أو الهدف الذي من أجله يصوغ المتكلم خطابه ويكيّفه حسب المقام.

إن الخطاب الإعلامي كما حدّده "أحمد العاقد" :" هو مجموع الأنشطة الإعلامية التواصلية الجماهيرية: التقارير الإخبارية الافتتاحيات، البرامج التلفزية، المواد الإذاعية وغيرها من الخطابات النوعية (7) ".

تقتضي مجموع الأنشطة التواصلية الإعلامية المذكورة في هذا التعريف وسائط إعلامية لها فعالية في انجاز مسارات التخاطب الإعلامي؛ فيعد الوسيط عقلا تقنيا له لمسات خاصة في تلقي المضمون وإعادة تنظيم أشكاله وبثه من جديد، وهنا نستحضر مقولة "مكلوهان 1966 Mcluhan" القاضية بأن الوسيط رسالة في حدّ ذاته، فالمهم في هذه المقولة هو كيفية تشغيل الوسيط التقني لتحديد طبيعة العلاقات التواصلية وتجسيدها النصي داخل الرسالة، فقد عمّم " مكلوهان" تصوره عن الوسيط ليشمل جملة من الخطابات الإعلامية والفنية واعتبر مقولته: " الوسيط هو الرسالة " مسألة طبيعية تنطبق على أشكال التواصل تقنيا كان أم إنسانيا.(8)

إن ما يهنا في كل هذا هو محاولة صياغة تعريف للخطاب الإعلامي نتخذه إجراء منهجيا نستثمره حسب مقتضيات الموضوع وسيرورة الدراسة. بناء على هذا نصطلح على مفهوم الخطاب الإعلامي بأنه منتوج لغوي إخباري منوع في إطار بنية اجتماعية -ثقافية socioculturelle

محددة، وهو شكل من أشكال التواصل الفعالة في المجتمع، له قدرة كبيرة على التأثير في المتلقي وإعادة تشكيل وعيه ورسم رؤاه المستقبلية وبلورة رأيه بحسب الوسائط التقنية التي يستعملها والمرتكزات المعرفية التي يصدر عنها.

3- بعض خصوصيات الخطاب الإعلامي:

3-1 الخطاب الإعلامي شكل تواصلي مركب متشابك : فهو يعد صناعة تجمع بين اللغة والمعلومة ومحتواها الثقافي والآليات التقنية لتوصيلها، يشترك في هذه الميزة مع خطابات أخرى ويختلف عنها في الوقت نفسه، وأبرز مثال نسوقه في هذا الإطار:

الخطاب الإشهاري؛ فقد نشأ وترعرع في أحضان الخطاب الإعلامي وإن جاز التعبير قد خرج من معطفه ثم استوى على سوقه بعد ذلك مكونا موضوعه ومحددا أهدافه ومنهجه وآليات تحليله وعناصره ووظائفه المختلفة ولغته؛ فإذا كان الإعلام يقوم بنقل المعلومات وبث الأخبار بين مرسل ومرسل إليه بغية إفادته وتثقيفه

والترفيه عنه أحيانا فإن الإشهار يعد هو أيضا شكلا تواصليا فعّالا ولكن ليس بهدف الإخبار وإنّما من أجل دفع المتلقي إلى الشراء بالدرجة الأولى وذلك بالتأثير عليه وتوظيف العوامل النفسية والاجتماعية المختلفة في ذلك.

وإذا كان الإعلام يخاطب الفرد من الناحية العقلية بواسطة نقل الوقائع والحقائق كما هي دون تزييف، قصد تنويره بمجريات الأمور وتبصيره بها وكذلك الرأي العام، فإن الإشهار يتخذ أساليب عديدة ومداخل متنوعة تأخذ شكل المبالغة في تفخيم الحقيقة المتعلقة بالمنتوج أو الشيء موضوع الإشهار(9).

كما نذكر أيضا شكلا آخر من أشال التواصل التي تتلاقى مع الخطاب الإعلامي وهو:

الدعاية: فهي تقوم بنشر المعلومات في اتجاه واحد غالبا من المرسل إلى المرسل إليه شانها شأن الإعلام والإشهار، بغية تحقيق أهداف خاصة بها مستخدمة الوسائل التقنية المناسبة.

وقد ارتبط مفهوم الدعاية بنشر الحقائق قصد التأثير على الآخر ومخاطبة عواطفه وتجييشها أحيانا.

"يقابل مصطلح الدعاية في اللغة العربية كلمة بروباقوند Propagande في اللغة الفرنسية المأخوذة من اللغة الإيطالية Propaganda ذات الأصل اللاتيني لاشتقاقها من الفعل Propager الذي يفيد توسيع مساحات الكروم عن طريق إعادة غرس فسول لها لتعطي نبتا جديدا في أرض جديدة" [10].

إن ما يهمنا هنا هو المفهوم المعاصر لمصطلح "دعاية" الذي كثيرا ما يرتبط بالإعلام ولكنه يختلف عنه من حيث كون الإعلام يحاول أن يقدم الحقائق الموضوعية للأحداث بينما الدعاية تتخذ في تمرير خطابها وسائل مصطنعة جزئيا أو كليا وأساليب خادعة تضلل بها المتلقي لمعرفة رأيه أو معرفة الرأي العام نحو قضية ما ومن ثمة العمل على تغييرها أو تعديلها أو تكييفها حسب مقتضيات الأغراض والمصالح، وبهذا فإن الدعاية تقوم

على" استغلال الوضعيات الغامضة التي تساعدها على خلق جو من الإغراء والاستهزاء بعيدا عن وضوح المضمون المعلوماتي الذي تقدّمه للجمهور"[11].

وهكذا فإن مفهوم مصطلح الدعاية يختلف أيضا عن الإشهار؛ فإذا كان الهدف الأساسي للإشهار يتمثل في الترويج للسلعة وتحفيز المتلقي على ممارسة فعل الشراء فإن الدعاية ترتبط أكثر بالحياة السياسية وبتقديم رسائل محددة تقصد بها أهدافا بعينها مثل إدعاء الأحزاب السياسية في الانتخابات المختلفة أنها تعمل على تحقيق المصلحة العامة للمواطن وأنها لا تريد المنصب ولا تهدف إليه لو لا أنها تخاف على مستقبل الشعب، وفي الوقت نفسه تستغل الظرف لتعزف على نقاط التوتر في خطاب حزب آخر مضاد لها.

3-2 الخطاب الإعلامي والخطاب السياسي:

يرتبط الخطاب الإعلامي بالخطاب السياسي ارتباطا واضحا، فلا يخلو الخطاب الإعلامي من الشحن السياسي ولا يخلو الخطاب السياسي من الشحن الإعلامي؛ بل

إني أذهب إلى كون كل خطاب منهما يتحول إلى الآخر؛ فالخطاب الإعلامي قد يتحول إلى خطاب سياسي والخطاب السياسي قد يتحول إلى خطاب إعلامي و هذا يدل على شدة الترابط بينهما، حتى إننا كثيرا ما نقرأ وكثيرا ما نقول: الإعلام والسياسة أو السياسة والإعلام، فكلاهما يقتضي الآخر.

يشكل الخطاب الإعلامي أفكار الساسة وأقوالهم، ويعمل على نقلها إلى المتلقي، فيتحول الخطاب السياسي إلى أخبار لابد من نقلها ووصفها وشرحها وتحليلها.

ثم إن "معظم ما يعرفه المواطنون عن السياسة يأتيهم من الإعلام" (12). و قد لعبت الصحافة دورا أساسيا في ظهور الدولة الحديثة ....وأدركت القيادات السياسية أهمية الإعلام فعملت على رقابته من ناحية واستغلاله من ناحية أخرى، فما إن دخلت الطباعة أوربا حتى سنت من أجلها القوانين والتراخيص، لكي لا يفلت زمامها فتثير تذمر الجماهير وتحثهم على العصيان. و قد برز رجال السياسة في توظيفهم للإعلام في خدمة أغراضهم وتحقيق أهدافهم فكان "روزفلت يخاطب أبناء وطنه

من خلال الراديو كأب يخاطب أبناء أسرته، أما جاذبية جون كندي الشخصية فهي التي استغلها التلفزيون ليضع كندي على كرسي الرئاسة، حتى يمكن أن نقول: إن رجال السياسة أصبحوا ينافسون رجال الإعلام في النجومية" (13).

ولم تشذ مجتمعاتنا العربية عن هذا؛ فقد أصبحت وسائل الإعلام كأنها مِلْك خاص بل هي ملك خاص للساسة، وأصبح الخطاب الإعلامي العربي يسير في فلك السياسي ويزيح الحواجز من طريقه، وقد أدى هذا إلى أن يصبح المتلقي العربي متلقيا سلبيا لا يرى بعينه ولا يتحدث بلسانه ولا يفكر بل يوجد من يفكر له أو بدله....

إن المشهد الراهن للإعلام العربي يتميز بعدة ملامح على رأي "نبيل علي" منها:

- سياسة إعلامية تعاني انفصاما حادا بين غايتها وإمكاناتها وبين شعاراتها وممارساتها، وهو نتيجة منطقية لتبعية الإعلام للسياسة بل للساسة.

- نصوص دستورية تؤكد على مبدإ حرية التعبير والتغيير ولكنها مفرغة من

محتواها بعبارات ناسفة تذيلها من مثل:" بما لا يتعارض مع المصلحة العامة" و"بمقتضى القانون"......

- فقدان ثقة المشاهد في الإعلام المحلي واتجاهه نحو فضائيات ومنابر إعلامية أخرى، وهذه مسألة أساسية جدا (14).
- صحافة رسمية يعتبرها البعض مثالا حيا عن صحافة الولاء، وفشل في إصدار ميثاق موحد للإعلام العربي.
- إعلام فضائي معظمه مهاجر في غير موطنه يستورد أكثر مواده (15)

إن أبرز الارتباطات بين الخطاب الإعلامي والسياسي تتمثل في:

الطاقة الإيديولوجية التي تشحنهما بما هي جملة المعتقدات والمواقف المنتظمة في النسق الاجتماعي المشترك لجماعة أو ثقافة أو مجتمع،... إنها آلة معرفية وبرنامج قاعدي يولد المواقف الجماعية التي تتحكم في علاقات الهيمنة أو التبعية ... فهي تمتد من الخطاب التواصلي بنصوصه الإعلامية إلى الخطاب المؤسساتي بما في ذلك النصوص الحكومية والمناقشات البرلمانية والتشريعات

القانونية[16] وفي كل ما يؤدي إلى إعطاء مشروعية لسلطة ما برأي "أوليفي رومبول" "Olivier Romboul"[17].

وهكذا إذا كانت الإيديولوجيا كوعي زائف تحمل دلالات قدحية، فإنها كوعي جماعي يعبر عن مصالح فئة أو طبقة اجتماعية محددة على مستوى الأحكام والتصورات والقيم الثقافية، تظل حاملة لدلالات إيجابية أو لنقل ضرورية، و هذا يعني أن أي خطاب لا يخلو من تضمينات إيديولوجية، مع العلم أن التسليم بوجود الإيديولوجيا كالهواء في كل قول وفعل وتفكيرا وممارسة لا يشرعن للكسل الفكري الذي يقطع في أحكامه بوجود إيديولوجيا وكفى، وإنما تحتاج إلى قراءة عميقة وإدراك للأنساق الفكرية وتجلياتها الرمزية في السلوك البشري.

إن ما هو غير صحيح هو حين تتحول إلى وعي زائف وبخاصة إلى سلطة قمعية مثلما كان الشأن مع (الستالينية، والنازية) ومثلما هو الشأن للخطاب الأمريكي اليوم أو لخطاب العولمة الذي يعمل على إعادة

صياغة العالم وتشكيله ثقافيا وسياسيا واقتصاديا وإعلاميا بما يخدم مصلحة القوى المتحكمة في زمام الأمور.

وبهذا تكون الإيديولوجيا محايثة لكل خطاب إعلامي تتجلى عبر:

الإشهار وتحويل المنتوج الإعلامي إلى بضاعة واحتكار الثورة الإعلامية والمعلوماتية وتقنية الإضمار التي تحبك تفاصيلها وسائل الإعلام المرئية منها بصفة خاصة بالإضافة إلى سرعة الإرسال والتلقي للمعلومات المتلاحقة دون إتاحة الفرصة لقراءتها بتأن وروية (18).

إذا كانت الإيديولوجيا تظهر في أشكال عديدة **فإن اللغة** تظل هي مكانها المفضل برأي "رومبول"؛ فتعد اللغة الميدان المتميز الذي تمارس الإيديولوجيا فيه وبواسطته وظيفتها الخاصة، فهي ليست بريئة بل محملة بالكثير من السلطة التي تشتغل دون وعي منا والتي أبان عنها "فوكو" و"بارت" و"بورديو" و"دريدا"، بالإضافة إلى "رومبول" الذي اعتبر أننا لسنا نحن من يتحدث من خلال اللغة وإنما

توجد لغة تتحدث بداخلنا بدلا عنا، ترتبط بدون وعي منا، بالطبقة التي ينتمي إليها الفكر الذي نحمله أو نرثه.(19)

إن كل هذا يبرز في الاستعمال؛ إذا المسألة الحقيقية هي كيف نستعمل الكلمات، فليست اللغة هي التي تحمل طابعا إيديولوجيا وإنما الاستعمال الذي تستعمل به اللغة هو الذي يحمل ذلك الطابع. وبهذا تكون اللغة وسيلة معبرة عن الارتباط الموجود بين الخطابين، إلى جانب الطاقة الإيديولوجية التي تميزهما، ذلك أن السياسة هي لعبة كلمات، ويتقلد السياسيون السلطة لأسباب منها أنهم يتحدثون ويقنعون ويحققون أهدافهم في السيطرة وتعزيز الولاء الشعبي لهم، لأنهم يوظفون الرموز اللفظية بذكاء في نشاطهم الاتصالي. اللغة السياسية إذن ليست سياسة بألفاظها بل بالمعلومات التي تنقلها وبالمحيط الذي يحدث فيه الاتصال (20).

إن الإيديولوجيا تشتغل عبر اللغة فتحبك استعمالها وتستغل عبر الصورة

كذلك: و"لنا أن نتأمل كيف يقوِّم الإعلام الغربي عبر معظم برامجه وأخباره، المجتمعات العربية الإسلامية عبر سيادة مطلقة لصورتين معروفتين: رجل ملتحٍ يدخل المسجد أو يخرج منه وامرأة متحجبة تمشي بخطى سريعة وهي تلتصق بجدار بمنأى عن جموع الذكور..."(21)

إلى جانب هذا، بثه لمصطلحات مشحونة مدججة بمرجعيات محددة مثل الإرهاب والعنف، بدلا من الدفاع عن النفس والمقاومة.

4- منهجيات تحليل الخطاب الإعلامي:

4-1 - من تحليل المحتوى إلى علوم اللغة وتحليل الخطاب:

اتضح لنا أن الخطاب الإعلامي خطاب مركب متعدد ومتشابك مع خطابات أخرى؛ فهو يعد من الخطابات العابرة لمعارف عديدة، وهو أيضا خطاب تواصلي من حيث:

- **لغته**: التي بالرغم من كونها تقريرية مباشرة واصفة للحدث غالبا، شارحة له محللة أحيانا؛ فإنها لا تخلو من الإيحاء

بما تقتضيه مقامات استعمالها وبما يتناسب مع استراتيجياتها وأهدافها وما يكمن فيها من مفاهيم ومصطلحات خاصة بها تكون شبكة نسقية دالة.

- **وسائطه:** التي تعمل على نقله وتبليغه بل وتساهم في تشكيله " فقد خضعت انتاجات الوسائط الإعلامية الجماهيرية في الدراسات التقليدية لأوصاف خارجية تعالج الظواهر الصحافية في علاقاتها المباشرة بالمجتمع والتاريخ والثقافة، فلزم عن ذلك انحصار الاهتمام في مساءلة التجليات السطحية للإعلام والتوجه السياسي، والموقع الاجتماعي، والوضع الاقتصادي والوظيفة الحضارية."(22)

وبناء على هذا اتخذ الخطاب الإعلامي منهجيات تحليل تتناسب مع مرجعياته وما تقتضيه " من ظواهر إعلامية ومحاور صحافية وقضايا تواصلية"(23). فكان من ذلك أن ظهرت منهجية تحليل المحتوى التي مارست حضورها في تحليل خطابات العلوم الاجتماعية والتواصلية ومنها الخطاب الإعلامي.

إن **تحليل المحتوى analyse de contenu** أسلوب علمي يهدف إلى وصف المحتوى وصفا موضوعيا كميا وكيفيا لتشخيص المعاني والمفاهيم المكوّنة لمادة التواصل[24] ، إنه برأي "عبد الرحمن الحاج صالح" " الوصول إلى الأغراض الحقيقية التي من أجلها حرر صاحب الخطاب خطابه، مع البحث من خلال النص وحده عن الأدلة التي تدل بالدلالة القاطعة على وجود هذه الأغراض[25].

وقد تفنن أصحاب هذا النوع من التحليل فوصفوا المناهج الدقيقة وبخاصة في ما يتعلق بالخطابات السياسية والاجتماعية، وحاولوا تقديم تعريف إجرائي لتحليل المحتوى من ذلك هذا التعريف الذي خرج به "سمير حسين" في ضوء استخداماته في مجال الدراسة العلمية الإعلامية:

" هو أسلوب أو أداة للبحث العلمي يمكن أن يستخدمه الباحثون في مجالات بحثية متنوعة. وعلى الأخص في علم الإعلام لوصف المحتوى الظاهر والمضمون الصريح

للمادة الإعلامية المراد تحليلها من حيث الشكل والمضمون، تلبية للاحتياجات البحثية المصاغة في تساؤلات البحث. وذلك بهدف استخدام هذه البيانات بعد ذلك، في وصف هذه المواد الإعلامية التي تعكس السلوك الاتصالي العلمي للقائمين بالاتصال، أو لاكتشاف الخلفية الفكرية أو الثقافية أو السياسية أو العقائدية التي تنبع منها الرسالة الإعلامية، وللتعرف على مقاصد القائمين بالاتصال من خلال الكلمات والجمل والرموز والصور وكافة الأساليب التعبيرية شكلا ومضمونا، والتي يعبر بها القائمون بالاتصال عن أفكارهم ومفاهيمهم وذلك بشرط أن تتم عملية التحليل بصفة منتظمة ووفق أسس منهجية ومعايير موضوعية. وأن يستند الباحث في عملية جمع البيانات وتبويبها وتحليلها على الأسلوب الكمي بصفة أساسية " (26) .

وبهذا فإن تحليل المحتوى يهدف إلى ضبط محتويات المعرفة في النصوص الإعلامية في مستوياتها الدلالية الصريحة. ومن ثمة ظلت البنيات العميقة مهملة غير ملتفت

إليها في أدبيات تحليل المحتوى إلى أن انطرحت بدائل علوم اللسان وتحليل الخطاب التي اعتنت بالاستلزامات النصية والتخاطبية" [27].

2-4 آليات تحليل المحتوى:

يتأسس تحليل المحتوى على جملة من الأسس النظرية منها:

-تحديد مشكلة البحث ووضع فرضياته وتحديد العينات المعنية بالدراسة واستعمال أدوات التحليل المناسبة، مثل الاستبيانات والاختبارات، وتبيان فئات التحليل ووحداته المختلفة وما يقتضيه المحتوى من توجيه، أي تفسير النصوص التي بين يدي الباحث عند تحليل المادة المعنية بالوصف والدراسة، وما يترتب على ذلك من قياس وتفسير وما يتبعه من صدق وثبات، إذ يحرص المشتغلون بتحليل المحتوى على إبراز هذا المعيار والاهتمام به لأنه يرتبط أشد الارتباط بموضوعية التحليل(28) على أن هذه الخطوات المنهجية تزداد عمقا يوهم آليات تحليل المحتوى بالوصف التجريبي

الواقعي ويتحقق ذلك باعتماد النتائج التطبيقية التي يعززها البحث الميداني الذي قد يشكل منطلق تحديد العينات كما قد يشكل سندا للتأويل[29].

إن تحليل المحتوى عبارة عن نظرة أو طريقة منهجية قادرة على الاستثمار الإجمالي والموضوعي للمعطيات الإخبارية أو المعلومات المقدمة القابلة للدراسة العلمية وتحليل المعلومات وتشريحها من أجل معرفة معناها أو معانيها الكامنة وكيفية تقديمها وتشكيلها وتصنيفها تصنيفا موضوعيا تاما كميا ونوعيا (30).

ويتفرع تحليل المحتوى إلى نوعين من التحليل هما:

- **التحليل الكمي: analyse quantitative**
- **التحليل النوعي أو الكيفي: analyse qualitative**

فأما التحليل الكمي: فيتعلق بإحصاء الوحدات الإعلامية لمعرفة بناياتها المختلفة في النص وذلك بتطبيق تقنيات

حسابية وتحويل دلالات النص إلى معادلات رياضية محددة، وتعد الألفاظ المادة الأولية الخام للغة والعنصر الرئيس في هذا التحليل، ولقد تمكن مهندسو الاتصال ودارسو الإعلام وكذا اللغويون من سبر أغوار العملية التواصلية ومدى نجاعتها وطاقتها في عملية التبليغ، فادخلوا بذلك مفهوما جديدا سموه **كمية الفائدة أو تكميم الخبر** وهي ذلك القدر من المعلومات الناتج عن عملية التخاطب بين المتكلم والمخاطب ويمكن قياسه بواسطة وحدة قياسية تسمى "البايت"" **Bit**"، وقد ظهرت الطريقة الإحصائية في الغرب في تحليل النصوص مع ظهور الآلات الميكانوغرافية وبلغت أوجها عند ظهور الحاسبات الإلكترونية وعند ذلك رغب المسؤولون السياسيون في أن يطلعوا بالسرعة التي يقتضيها العصر على المضمون العميق للخطاب السياسي (31).

وقد بدأت العملية مبكرا فيما يخص النصوص الأدبية؛ فقد تمكن العلماء في أوربا من حصر الألفاظ التي وردت في كل نص أدبي كالمسرحيات المأساوية أو

الهزلية في الأدب الفرنسي وفهرستها؛ من ذلك ما قام به **Quemada** **B/** في جامعة بيزانسان في فرنسا في الستينات وقد سبق العلماء الغربيون في القرن الماضي إلى فهرسة الألفاظ الواردة في بعض المؤلفات القديمة، كأعمال "أرسطوطاليس" مثل ما قام به **H/ Bonitz** الذي طبع في "بون **Bon** سنة 1849، أما عند العرب فقد تم فهرسة ألفاظ القرآن الكريم منذ أقدم العصور(32)

ويحتاج التحليل الكمي إلى تحديد نسبة تواتر لفظ ما في النص، أي عدد المرات التي ورد فيها في النص، وطريقة توزيعها، هل في أول النص أم في وسطه أم في آخره، أي بحسب ما يقتضيه موضعها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها(33) والأهم من كل ذلك محاولة حصر السياقات التي ظهرت فيها، فيحصر الجمل التي ترد فيها الكلمة في نص ما يستطيع الباحث الوصول إلى معرفة الغرض الحقيقي لها، والأكثر من ذلك تحديد المفاهيم الأساسية التي تشكل قاعدة النص وبخاصة إذا اقترنت الكلمة بسياقها اللغوي ومحيطها اللفظي

الذي يجعلها تشع دلاليا في نسيجها النصي، فهناك **كلمات مفاهيم** تعد أساسية في النص وتوجد كلمات أخرى نسميها **مساعدة** تندرج ضمن اللغة الواصفة للمفاهيم.

ولا بد من الإشارة، هنا، إلى ضرورة معرفة نوعية الميدان الدلالي الذي تنتمي إليه الكلمات المتواترة، ونسبة ذلك، فعندما يعرف الباحث متغيرات البحث وعلاقتها الموضوعية بالنسبة للمحتوى فإن التحليل الكمي يظهر له مدى حضور متغير ما في الموضوع أو غيابه منه، وهذا يقدم مؤشرات لها علاقة أو أثر بقيمة تلك المتغيرات بالنسبة للبحث[34] ويعد هذا من المعطيات المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها في وقتنا وبخاصة مع وجود التكنولوجيا وتطورها واستثمارها في تحليل محتويات الخطابات اللغوية المختلفة.

التحليل الكيفي (النوعي):

يهدف هذا النوع من التحليل إلى وصف مضامين الخطاب الإعلامي من حيث خصائصه

الأسلوبية والبلاغية أي إنه يستثمر المعطيات المهمة التي يوفرها له التحليل الكمي في استنطاق لغة النص ومحاولة معرفة محتوياته أو معانيه، ويتطلب ذلك التفريق بين ما هو **وضع** وبين ما هو **استعمال**، أو بين ما يتعلق بدلالة اللفظ **dénotation** وما يتعلق بدلالة المعنى **connotation**.

فكما هو معلوم للفظة الواحدة مدلول وضعي أو أصلي بل أكثر من مدلول أصلي وهو المعنى أو المعاني التي وضع اللفظ بإزائها في اللغة، أي في الوضع. أما عند استعمال المتكلم لهذه اللفظة في عملية خطابية وحال خطابية معينة فليس لها عندئذ إلاّ مدلول واحد ليس غير وإلاّ كان كلامه ملتبسا ولا يتم بذلك الفهم والإفهام الذي من أجله وضع الكلام (35).

وقد يختص اللفظ بمدلول واحد في الخطابات الواضحة غير المبهمة في مجال علمي ما ويكون ذلك ناتجا عمّا سماه "ابن جني" " تحصيل المعنى" (36)

إن هنالك علاقة بين التحليل الكمي وبين التحليل الكيفي، كما هو الشأن بالنسبة لما هو تقرير وما هو إيحاء؛ فهنالك تكامل بين النوعين؛ ولما كان الخطاب الإعلامي نشاطا اجتماعيا مستخدما للغة سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة؛ فإنه تقع على عاتقه مسؤولية النهوض بالأداء اللغوي للمجتمع العربي برمته، فقد أصبحت "اللغة ميزة تنافسية في مجال الإعلام: لقد قال من قال: إن الإنتاج الإعلامي المرئي والمسموع تحميه اللغة"[37] وبخاصة لجمهور معظمه لا يفقه اللغات الأجنبية.

إن اللغة الإعلامية بالرغم من كونها توصف بأنها تقريرية إخبارية مباشرة تصف الأحداث وتقدمها في شكل حقائق بالنسبة للجمهور؛ فإنها لا تخلو من مجاز أو بلاغة؛ إذ نجد فيها كثيرا من الأساليب الإيحائية المخبوءة التي تلمّح أكثر مما تصرّح من مثل: عناقيد الغضب[38] نيران صديقة[39] طاعون القيامة[40] الفجر الأحمر(41) القنابل الذكية[42] ولكن لا بد من الإشارة إلى أن للخطاب الإعلامي معجما

خاصا به يميّزه عن غيره من الخطابات ويحدد هويته اللغوية بينها مثل: بث، بث إعلامي، نشرات إخبارية، أخبار، معلومات، جماهير، إعلام، اتصال، صحافة، تلفزيون، تحقيق، ضخ إعلامي...وغيرها من الكلمات الدالة في الحقل الإعلامي وقد تستعمل هذه الكلمات في خطابات أخرى غير إعلامية، أو قد يستعيرها الخطاب الإعلامي من خطابات أخرى، لكنّ كيفية توظيفها واستثمارها تكون محددة بالنظر للمقتضيات التي يتطلبها الخطاب الإعلامي.

ويمكن الإشارة إلى أن هناك استعمالات لغوية من مثل: الشرق الأوسط الكبير، 11سبتمبر 2001، الفوضى الخلاقة أو البناءة، هي بمثابة الكلمة الواحدة بالرغم من كونها تتكون من كلمتين أو أكثر، هي استعمالات تجمع بين الكلمة والجملة وإن جاز التعبير قلنا إنها **جمل كلمات.**

إن ما يمكن أن نشدد عليه في هذا الإطار هو أن التحليل الكيفي قد تضمن القضايا السطحية للبلاغة وقد اعتمد

تحليل المحتوى بصفة عامة على التصورات التقليدية المتعلقة بالأسلوبيات والدليل على ذلك أنه انحصر في تقديم الأبعاد الدلالية للتراكيب الأسلوبية (43).

والسؤال المطروح هو: هل تحتمل قراءة النصوص الإعلامية من حيث تحليل المحتوى قراءة واحدة؟ أم أنها تنفتح على التعدد وتحتمل أكثر من قراءة شأنها شأن قراءة النصوص الأدبية؟

لعل محاولة الإجابة عن السؤال تجعلنا نصنف النصوص الإعلامية إلى أصناف أو أنواع، فهناك التقرير والخبر والتعليق والتحقيق و عرض الحال...وكلها قد نقول إنها تحتمل قراءة محددة. ولكن هنالك تحليل إعلامي لقضية تشغل الرأي العام الوطني أو الدولي تكثر فيها الآراء وتتعارض وتتضاد وبالتالي فإن كل رأي من ذلك يقدم قراءة خاصة للحدث الإعلامي التي تختلف في القليل أو الكثير عن غيرها من الآراء والقراءات الأخرى، غير أن هذا التعدد يختلف عن التعدد في قراءة الأدب التي تحفل كثيرا بما هو جمالي.

إن التعدد في قراءة الخطاب الإعلامي تصنفه المضامين الإخبارية وما تصدر عنه من أسس فكرية وخلفيات معرفية ومرجعيات إيديولوجية تتحكم في تكييف الخطاب وصياغته بحسب المقام والهدف المحدد.

ولا ينسينا هذا أبدا الآراء التي تؤكد على أن قراءة المحتوى أحادية البعد لا تستجلب رمزية القضايا الإعلامية المحورية.

4-3- مداخل علوم اللغة وتحليل الخطاب:

لا نزعم أبدا أن منهج تحليل المحتوى قد أثبت فشله أو فقد رصانته العلمية التي أقام صرحها منذ عقود وعهود، وقدم فرضيات هامة وخلاصات فعلية أثرى بها الوصف العلمي للخطاب الإعلامي ولغيره من الخطابات الأخرى في العلوم الاجتماعية، فنتج عن ذلك نتائج مهمة جدا ربطت "بين الجوانب الموضوعية والكمية في وصف النصوص الإعلامية والسياسية ..."[44].

وإنما نحاول البحث فيما يمكن أن تقدمه علوم اللسان من إجراءات منهجية تفيد الدارس في تحليل الخطاب الإعلامي.

1-3-4 المداخل المختلفة في تحليل الخطاب:

يعد تحليل الخطاب تخصصا علميا خصبا اكتسب جدارته المعرفية وسيادته العلمية لكونه يوفر للباحث مداخل منهجية مختلفة لتحيل النصوص والخطابات: **des approches différents en analyse de discours**

نذكر بعضها دون أن نغوص في التفاصيل الكثيرة وإنما نحاول الالتزام بما يقتضيه الموضوع ومنها:

1-1-3-4 المدخل التلفظي approche énonciative (45)

يتم الحديث في هذا المدخل حتما عن " إميل بنفنيست **E/Benveniste** وأتباعه (46) وما قدمه بخصوص التلفظ أو التحدث **énonciation** الذي هو الفعل الحيوي في إنتاج اللغة وهو ما في طور الإنجاز. أما الملفوظ أو الحديث **énoncé** فهو ما تم إنجازه، وقد ركّز "بنفنيست" على دراسة

التلفظ، لأنه يبيّن اللغة في حالة اشتغالها كما ينتجها المتلفظ أو المتحدث بها في مقامها التواصلي ومن شأن هذا أن يجعل الدارس أو المتلقي "شاهد حال"[47] على المتكلم وهو يؤدي فعل التلفظ في زمانه ومكانه، وبما يشمل ذلك الفعل من نشاط لغوي ونشاط آخر مواز له غير لغوي وهو ما لا يتوفر في الملفوظ(48) وبهذا يمكن أن ندرس التلفظ ضمن مضامين نظرية التواصل ووظائف اللغة. إن التلفظ عند "بنفنيست" عملية فردية في كل الظروف والحالات وهي ليست جوهرية في صيغة النص ودلالته فقط، وإنما هي أيضا وراء بنية وحدات لغوية تعبر عن مفاهيم إنسانية أساسية كمفهوم الشخص والزمان والمكان[49].

لقد خلّص "بنفنيست" اللسانيات من إشكالية التمييز بين اللسان والكلام وما انجر عنهما، فجعل من الجملة بدورها الوحدة اللسانية لمجال أوسع أسماه الخطاب، وبذلك نغادر مجال اللسانيات – على حد تعبير بنفنيست- باعتباره نظاما من العلاقات لندخل مجالا آخر هو مجال

اللسان بوصفه وسيلة للتواصل يتجلى في الخطاب، وهما أي الجملة والخطاب مجالان مختلفان على الرغم من كونهما يشملان الحقيقة نفسها، وينتجان نوعين مختلفين من اللسانيات فهنالك اللسان باعتباره مجموعة من العلامات الصورية التي تبرز بإجراءات صارمة، وترتيبها ضمن أقسام وتنظيمها ضمن بنيات وانساق أو أنظمة وهنالك تمظهر اللسان ضمن التواصل الحي[50].

2-1-3-4 **المدخل التواصلي l'approche communicationnelle:**

إذا كانت لا تظهر خصائص اللغة خلال المنجز التلفظي في مقام محدد؛ فقد اتضح عدم كفاية الدراسة الشكلية سواء أكان ذلك من حيث التركيب أم من حيث الدلالة المنطقية، فمكونات الخطاب التي تدرسها العلوم الإنسانية لا تقبل الاختزال إلى مظهرها الإشاري الصرف وإنما تتطلب إنتاج معرفة بطابعها السيميائي الذي يجعل منها مكوّنات حية متفاعلة[51].

ولا بد من الحديث في هذا المدخل عن "جاكبسون" **"Jackobson"** وحديثه عن عناصر التواصل الستة: المتكلم والمخاطب والخطاب والمقام والقناة والوضع **code**، وعن الوظائف التي تتولد من هذه العناصر، فالوظيفة التعبيرية **fonction expressive** تتولد عن المتكلم والوظيفة الإفهامية **conative fonction** تتولد عن المخاطب والوظيفة الشعرية **fonction poétique** تتولد عن الخطاب، والوظيفة المرجعية **fonction référentielle** تتولد عن المقام، والوظيفة الانتباهية **fonction phatique** عن القناة، ووظيفة اللغة الواصفة **fonction métalinguistique** تتولد عن الوضع بما يشمل من لغة وثقافة.

وتجدر الإشارة إلى أن "جاكبسون" وإن كان قد وجد شهرة كبيرة في كثير من الدراسات اللسانية والاجتماعية والتربوية العربية منها والأجنبية وصار مرجعا لها، فإنه لم يسلم من النقد، من ذلك أنه لم يغص في أعماق الظاهرة اللغوية، ولذلك جاء رسمه للعناصر

المكوّنة لبنية التواصل والعملية التبليغية بسيطا ولا يدل فعلا على مدى تعقدها وتشابكها؛ فالتبليغ الحقيقي لا يعني مجرد النقل الآلي لمعلومات معينة من"أ" إلى "ب"؛ وإنما هو ظاهرة معقدة تتداخل فيها عوامل لغوية ونفسية واجتماعية ...منها ما يتعلق بالمتكلم ومنها ما يتعلق بالمخاطب ويرتبط بهما الوضع والنظام اللغوي الذي ينطلقان منه؛ فهو ليس محايدا وبعيدا عن الخصائص النفسية والاجتماعية لكل من المتكلم والمخاطب وكلاهما يمارس حضوره في الخطاب.

كما أن ظاهرة الإيحاء في اللغة بما تحمله من قيم عاطفية وثقافية وإيديولوجية تتعلق بكل فرد يؤكد أن التواصل اللغوي ليس موحدا دائما بين المتكلم والمخاطب، وإنما قد يختلف في بعض الأحيان، فكلمة" خبز" تفيد في معناها العادي نوعا من الأكل المصنوع من الدقيق يعرفه الجميع، لكنها تأخذ أبعادا أخرى فتعني الجوع ومرارته ومعاناته عند الذين يعانون المجاعة،

وكذا الشأن لكلمة "أحمر" فهي تعني لونا من الألوان، ولكنها تستحيل في خطابات معينة إلى إيديولوجيا ما[52].

ويمكن أن نذكر في هذا المدخل أيضا مفهوم الملكة التواصلية **compétence communicative** الذي جاء به "ديل هايمس" **Dell Hymes** "(53) وهو يتجاوز الملكة اللسانية **compétence linguistique** الذي جاء به **"Chomsky"** فلم يكتف "هايمس" بالمكون اللساني **composante la linguistique**؛ وإنما تعداه إلى الاستعمالات المختلفة للغة في المجتمع وما يصحب ذلك من قواعد اجتماعية وضوابط وظروف تحيط بالمتخاطبين وتحدد استعمالاتهم بالنظر إلى مكوّنات أخرى غير المكوّن اللساني، وهي المكوّن المرجعي **la composante référentielle** والمكون الخطابي **la composante discussive** والمكون الاجتماعي -الثقافي **la composante socioculturelle** [54].

دون أن ننسى في كل هذا الإشارة إلى أثر اللسانيات الاجتماعية التفاعلية مع "جون غمبارز **J/ Gumperz**" واللسانيات

الاجتماعية التنوعية مع " وليام لابوف W/ Labove " (55).

ويمكن أن نذكر بالإضافة إلى المدخل التواصلي مدخلا آخر وهو:

4-3-1-3 مدخل المحادثة l' approche conversationnelle (56)

ويشمل التفاعلات الرمزية وأثنوغرافيا التواصل والاثنوميتودولوجيا التي تهتم بتحليل الأحاديث اليومية الجارية بين الناس في ممارستهم لنشاطاتهم الاجتماعية المختلفة. فقد أصبحت المحادثة منذ بداية الستينات مثار اهتمام أبحاث عديدة في علوم عديدة، ذلك أن الطبيعة المركبة للمحادثة الناتجة عن كونها نشاطا لغويا تفاعليا آنيا يتم تبادله بين متكلمين متعددين تقتضي أن تتوافر لها عناصر عديدة حتى ترسم معالمها مثل الجوانب العاطفية والتفاعلية وما يتداخل فيها من أساليب حجاجية برهانية أو سردية أو وصفية، فمن شأن ذلك أن يكون مؤشرا على مقتضيات الحديث من انفعالات مختلفة مثل: الفرح أو الغضب أو

مواصلة الحديث أو قطعه، بالإضافة إلى طرائق التأدية المختلفة التي تتساير مع المقامات المختلفة. ولهذا تعنى المحادثة بتحليل النشاطات الكلامية اليومية التي توضح علاقة الأفراد والجماعات من الناحية اللسانية والاجتماعية، فهي في مظهرها اللساني واقعة لسانية وهي في مظهرها الاجتماعي وحدة لغوية تدل على تحديد الهويات والطبقات الاجتماعية واستعمالاتها، ولابد من التأكيد على أن مدخل المحادثة يعد من المداخل الجديدة الجديرة بالدراسة التي تحظى بكثير من الاهتمام عند الأمريكان والإنجليز في مجتمعاتهم وفي غيرها، ومنها: مجتمعاتنا العربية التي أصبحت موضوعا لكثير من الدراسات لهم في المجال اللغوي لكي يعرفوها كيف تتحرك وتتفاعل وتتواصل بين أفرادها ومؤسساتها.

4-3-1-4 المدخل التفاعلي في فرنسا وسويسرا: l'approche interactionnelle en France et en suisse :

يتعلق هذا المدخل بنشاطات الأفراد اللغوية مثل الدعوات والاستعلامات والاقتراحات والطلبات وغيرها؛ وقد طوّر هذا النموذج "رولي **E/ Roulet**" وأتباعه ويدرس وظيفة الخطاب والملفوظات المتنوعة التي تشكله وعلاقات بعضها ببعض ومستويات تحليلها التفاعلية والبنوية والوظيفية (57).

4-3-1-5 المدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب l'école française d'analyse de discours:

بدأت هذه الحركة في الستينات بافتتاحية العدد الثالث عشر من مجلة "اللغة **langage** المعنونة بتحليل الخطاب، مع ترجمة مقالة اللساني الأمريكي "زليغ هاريس"**Z/ Harris** " المعنونة بـ"تحليل الخطاب" **DISCOURS ANALYSES**" التي أصدرها سنة **1952** وبهذا فإن تحليل الخطاب بالنسبة للمدرسة الفرنسية قد نشأ في إطار اللسانيات البنوية والتحليل النفسي لـ"جاك لكان **J/ Lacan** " وماركسية "ألتوسير

Althusser" وقد بُني مشروع "غريماس **A/Gremas"** 1966 السيميائي على أطروحات " هاريس" ورؤيته التي تركز على وصف اللغة أو بالأصح وصف مواقع الألفاظ في الخطاب بغية معرفة تكافؤ مواقعها من حيث الشكل دون اللجوء إلى المعنى. ولهذا حاول "هاريس" تجاوز مستوى الجملة في التحليل إلى وحدة لغوية أكبر منها سماها الخطاب.

ويعد ذلك فتحا جديدا بالنسبة للدراسات الغربية، وحتى لا نطيل الحديث في هذه المسألة هنا، وأنها تحتاج إلى موضوع مستقل، نوضح أن المدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب قد أقامت أسسها على أربعة مداخل أو مقاربات مترابطة منسجمة بعضها ببعض طبقتها في دراستها للخطاب السياسي بصفة خاصة وهي:

المدخل المعجمي : **L'approche lexicale**

المدخل التركيبي: **L'approche syntaxique**

المدخل التداولي: **L'approche pragmatique**

المدخل السيميائي: **L'approche sémiotique** (58)

إن ما يمكن استثماره من كل هذه المداخل التي أوجزنا في الإشارة إليها، هو أنها يمكن أن توفر كثيرا من الإجراءات المنهجية التي من شأنها أن تفيد الباحث في تحليل الخطاب الإعلامي؛ فلما كان" إنتاجا لغويا ومعرفيا يعيد إنتاج المعاني والإيديولوجيات المشتركة بين الصحافيين والمتلقين (قراء، مشاهدين، مستمعين). هاهنا تتضح مشروعية الخطاب وتحليل سياقه التواصلي، انطلاقا من الالتزام بأدبيات تحليل الخطاب" (59).

ونشير إلى أن نظرية تحليل الخطاب ومداخلها المختلفة في المجال الإعلامي تركز اهتمامها على بنيتين مختلفتين متفاعلتين هما:

بنية كلية: وتتنوع إلى نوعين أساسين: يتشكل النوع الأول من مجموع المبادئ العامة التي تتحكم في الخطابات

الطبيعية: الصحافي، السياسي، الأدبي، الثقافي.

ويتشكل النوع الثاني من المبادئ الشاملة الموجهة للنصوص عبر الحقول: المسرح، السينما، التلفيزيون، الجريدة.

و**بنية خصوصية**: تتعلق بالخاصيات المميزة للقواعد الخطابية التي تولد خطابا محددا بناء على خصوصياته الذاتية؛ كأن نقبض على النسق القاعدي الخاص للمسرح وحده أو الإذاعة وحدها أو التلفيزيون أو غيرها من حقول التواصل ووسائطه؛ وهذا لأن تحليل الخطاب الإعلامي ينفتح على علوم متعددة مثل: علم الإناسة، والتاريخ، وعلم النفس والاجتماع وغيرها (60).

ومحصول الحديث في ما يتعلق بتحليل الخطاب ومداخله المختلفة أنه يمكن أن يفيدنا كل ذلك في دراسة الخطاب الإعلامي من ناحية البنية على مستوى العناصر المكونة لها ولنظامها، وعلى مستوى علاقاتها الترابطية المحققة لانسجامها؛ فيتم البحث في المعجم والصرف وخواص

التراكيب وما ينتج عن ذلك من دلائل مختلفة لها أثرها في نظم النص وما يقتضيه من وجوه وفروق بحسب مواضع الألفاظ من النظم برأي " عبد القاهر الجرجاني" (61) .

وأما من الناحية الثانية فتتمثل في الدلاليات التي تختص بوصف العلاقات التي تجمع بين الدوال ومدلولاتها وإمكانية تفسيرها سواء أكانت تصورات في الذهن أم أعيانا في الواقع.

وتختص الناحية الثانية بوضع الخطاب داخل سياقه اللغوي والتخاطبي والمعرفي وما يقتضيه من استدلالات واستراتيجيات في التواصل وآليات في الحجاج، يوظفها المتكلمون المستعملون للدوال والمدلولات ليدلوا بها على أغراضهم ومقاصدهم في نشاطاتهم التداولية المختلفة وعلى هذا فإن مفهوم الخطاب ينطبق تماما على نصوص الوسائط الجماهيرية والتواصل الإعلامي وما تنتجه، لأن النص الوسائطي مهما يكن فهو لا يخرج عن كونه بنية تجمع بين النظم والتدليل والتنسيق والوضع داخل

المقام؛ وتتفاعل في هذه البنية -كما يرى أحمد العاقد- ثلاثة مجالات هي: اللغة والتواصل والمعرفة[62]، وهذا يعود في أساسه إلى المنجزات التي قدمتها **العلوم المعرفية**، مما يمكن استثماره في ميادين التواصل الجماهيري. ولهذا فإن الخطاب الإعلامي باعتباره نشاطا تواصليا جماهيريا متعدد الوسائط يمكنه أن يستفيد كثيرا من منجزات المعرفة السيميائية في دراستها للنصوص والخطابات.

4-4 المعرفة السيميائية ومداخلها:

تعرف السيميائيات بأنها العلم الذي يدرس حياة العلامات أيا كان مصدرها في إطار الحياة الاجتماعية وقد جعل "دوسوسير" هذا العلم مقتصرا على دراسة العلامات في إطار دلالاتها الاجتماعية مما يفهم به البشر بعضهم بعضا باعتبار اللغة نظاما من العلامات، وعلى هذا الأساس حصر أتباع "دوسوسير" السيميائيات في دراسة أنظمة العلامات التي لها وظيفة تواصلية؛ فلا يمكن أن نتصور سيميائيات

بدون تواصل حسب " جورج مونان" **J/ Monin** " كما أن التواصل في نظر "بويسنس" هو وحده ما يؤلف موضوع السيميائيات وحدودها (63)٠

ولهذا توصف السيميائيات "بأنها العلم العام لكل أنساق التواصل اللسانية وغير اللسانية" (64).

وهكذا فإن السيميائيات تهتم بأنماط التواصل كما أن نظرية الإعلام تهتم بالعناصر الحاملة للخبر التي تعد وسائط تواصلية توظف في نقل محتويات الخبر إلى المتلقي.

للسيميائيات توجهات متعددة وخلفيات متنوعة وحقول معرفية متفرعة مما يعمق إشكالاتها ويصعب من إدراك مفاهيمها... ولهذا تقتضي الرؤيا المنهجية التمييز من الناحية الإجرائية بين مجالين متكاملين؛ أولهما يتمثل في السيميائيات العامة ذات الصبغة التنظيرية، ويتمثل ثانيهما في السيميائيات النوعية ذات الصبغة التحليلية.

وقد تأسست السيميائيات العامة على مرجعيتين مختلفتين وهما:

المرجعية الفلسفية: وتتعلق بالمنظومة المرجعية لاجتهادات الفلاسفة والمفكرين بخصوص الدليل واللغة، وهنا يمكن أن نتحدث عن " شارلساندس بيرس" **"C/S/Pierce** وأتباعه ومبدأ التفريع للدليل السيميائي.

وأما المرجعية اللسانية: فتشمل الاوصاف المتعلقة ببنية اللغات اللفظية وغير اللفظية، وهنا نتحدث عن "دوسوسير" وأتباعه ومبدأ التقطيع بالنسبة للدليل (65).

1-4-4 سيميائية شارلساندرس بيرس:

يعد شارل ساندرس بيرس رأس الاتجاه الأمريكي في السيميائيات، وقد تحدث عن العلامة في كتابه" كتاب حول العلامة" حديثا له خصوصية وتميّز، فقد رأى رأيا مباينا لرأي "دوسوسير" فقد انبثق مفهوم العلامة من منظور "بيرس" انطلاقا من " السيميوزيس" " العلامة والممثل" هو

الأولاني الذي ينوب عن الثانياني الذي يسمى الموضوع، والممثل يحدد الثالثاني الذي يدعى المؤول، وهذه هي العلامة الثلاثية الأصلية (...) أو أي شيء يحدد شيئا آخر هو المؤول له، بحيث إن المؤول يحيل على الموضوع، وهذا الموضوع يحيل بدوره على موضوع آخر بنفس الطريقة؛ أي أن الموضوع أصبح هو نفسه علامة وهكذا إلى ما لانهاية[66]. ومن هنا استطاع "بيرس" أن يصوغ مقولاته وهي:

عالم الممكنات الذي هو أولانية: l'univers des possibles qui est une priméité

عالم الموجودات الذي هو ثانيانية: l'univers des existants qui est une secondéité

عالم الواجبات الذي هو ثالثانية: l'univers des nécessitants qui est une tiercétié

تعني المقولة الأولى الكائن فلسفيا، وتعني الثانية مقولة الوجود وأما الثالثة فتعني الفكر في محاولة تفسير الأشياء.

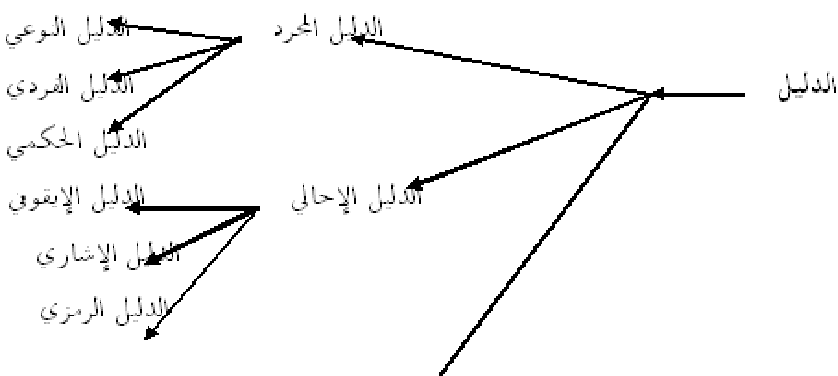
وبهذا فإن العلامة تمثل الموضوع، في حين يمثل المؤول الفكرة أو الحكم الذي

يساعد على أن يكون تمثيل العلامة للموضوع تمثيلا حقيقيا[67].

لقد وسّع "بيرس" من نطاق العلامة -في نظره- لتشمل جميع العلوم الإنسانية والطبيعية الأخرى؛ فقد كتب في لحظة من لحظات إشراقه المعرفي القصوى برأي "سعيد بن كراد"[68] قوله: "ليس باستطاعتي أن أدرس أي شيء في الكون -كالرياضيات والأخلاق والميتافيزيقا والجاذبية الأرضية والديناميكا الحرارية والبصريات والكيمياء وعلم التشريح المقارن وعلم الفلك وعلم النفس والصوتيات وعلم الاقتصاد وتاريخ العلم والكلام... والسكون والرجال والنساء والنبيذ وعلم القياس إلاّ على أنه نظام سيميائي".[69]

تصير العلامة -بهذا التصور- كينونة إنسانية تتعلق بحياة الإنسان في حله وترحاله وممارسته لأنشطة حياته المختلفة، ويصير الإنسان -إن جاز التعبير- كينونة رمزية سيميائية يتفاعل فيها نظامان من العلامات؛ نظام لغوي وآخر إيقوني.

ولهذا البوح غير العادي –كما يرى سعيد بن كراد- أهمية خاصة في المسار المعرفي لبيرس، الذي افنى حياته في نحت مفاهيمه وتشذيبها وتطوير رؤاه من أجل استيعاب أكبر قدر ممكن من المساحات التي يغطيها الوجود الإنساني. إذ السيميائيات عنده نشاط معرفي شامل تتعلق بكل ما تنتجه التجربة الإنسانية عبر مجمل لغاتها ومن خلال كل أبعادها، فهي رؤيا للعالم تتلخص في النظر إلى الوجود الإنساني من خلال وضعه كعلامة في الكون. بل إن الكون ذاته ليس كذلك إلاّ في حدود اشتغاله كعلامة (70) لقد تجاوز بيرس العلاقة الثنائية للدليل إلى العلامة الثلاثية وتفريعاتها وذلك كما يلي[71]:



بهذا التأسيس على الفلسفة والمنطق وبهذا التوسع في نطاق العلامة أو الدليل ليشمل ما هو لساني وما هو إيقوني، وبهذا التفريع الذي يجمع بين ما هو إحالي وما هو تأويلي، جعل "بيرس" من السيميائيات فضاء أرحب وبخاصة ما تعلق منها بالسيميائيات البصرية التي تتخذ من النظام الإيقوني الذي وجدت فيه الحضارة المعاصرة والمجتمعات الحديثة ضالتها.

فتكاد تكون الإيقونة الموضوع الذي له حظوة أكثر من غيره من العلامات الأخرى في السيميائيات المعاصرة. ومن الأمثلة التي يمكن ذكرها في مجال الإيقونات: الصورة الفوتوغرافية والمخططات المعمارية

والخرائط الجغرافية والضجيج الاصطناعي والمسرح والرسوم البيانية والاستعارات(72).

وهكذا نرى أن السيميائيات البيرسية مناسبة جدا لاستثمار معطياتها في تحليل الخطاب الإعلامي باعتباره هو أيضا نظاما من العلامات اللسانية والإيقونية، بل هو ملتقى للعلامات تجمع بين اللغة والثقافة ووسائط تبليغها.

2-4-4 دوسوسير والمرجعية اللسانية للعلامة:

إذا كانت العلامة عند بيرس تفصح عن علاقة ثلاثية فإنها عند دوسوسير تفصح عن علاقة ثنائية، إذ إنها تجمع بين الشيء ومسماه وإنما تجمع بين المفهوم الذهني والصورة السمعية التي يطلق عليها دوسوسير مصطلحي الدال والمدلول واقتصر بذلك على العلاقة الاعتباطية بينهما دون التأكيد على علاقة العلامة بالواقع؛ وذلك لأنه درس اللسان على أنه نظام خالص مستقل بنفسه؛ ولذلك فإن حاصل الدلالة يكمن في علاقة الدال بمدلوله وأن قيمة

العلامة تكمن في نظامها و في علاقاتها بالعلامات التي تسبقها أو تلحقها وتتفاعل معها.

وإذا كانت العلامة عند بيرس ذات نطاق واسع فإنها عند دوسوسير علامة لغوية ليس إلاّ وهي جزء من علم النفس العام[73].

إن هذا الاختلاف في الرؤيا للعلامة بين بيرس و دوسوسير يرجع إلى كون الأول فيلسوفا لغويا، وإلى كون الثاني كان يعتقد بأفضلية النسق اللساني على بقية الأنساق السيميائية الأخرى، و منح بذلك الامتياز للسان باعتباره نظاما سيميائيا دالا.

ولا بد من الإشارة هنا إلى المفاهيم اللسانية المهمة التي تميزت بها منجزات "يالمسلاف" داخل منظومة المفاهيم السيميائية وبخاصة أنه بيّن المستويات الثلاثة للسان:

1. "الخطاطة schéma وهي عبارة عن شكل صرف للسان.

2. المعيار normeوهو عبارة عن شكل مادي محدد سلفا.

3. الاستعمال usage وهو عبارة عن جملة من العادات الخاصة بمجتمع ما.

وكان لاستبدال وجهي العلامة من الدال والمدلول إلى التعبير والمحتوى وتحديد الوظيفة السيميائية في شكلي التعبير والمحتوى الأثر الكبير في إضفاء الصبغة المحايثة على دراسة المعنى"(74) .

وهكذا وانطلاقا من مشروع بيرس وأتباعه ومشروع دوسوسير وأتباعه وتكاملهما يمكن أن تتولد سيميائيات من نوع جديد هي السيميائيات الوسائطية التي بدأ تصورها التأسيسي -كما يقول أحمد العاقد-[75] " مع بنتيلي **"Bentele (1981)** من استكشاف كيفية مقاربة البنيات الدلالية والأنساق الشكلية لنصوص الوسائط الإعلامية الجماهيرية عبر إعمال الإجرائيات الوصفية للسميائيات العامة والنوعية.

ولعل في هذا ما يوفر إجراءً عمليا مفيدا في دراسة الخطاب الإعلامي على

الصعيد اللغوي الذي إما أن يكون مكتوبا وإما أن يكون شفويا من حيث الإنتاج وإما أن يكون مقروءا أو مسموعا من حيث التلقي، وما يصاحب ذلك من نشاط مواز متعلق بالأداء كالتنغيم والنبر وغيرهما [76].

وبناء على هذا فإن الصعيد اللغوي يشمل جميع المستويات اللغوية التلفظية التي تطال النصوص المكتوبة في الصحف والنصوص الإذاعية والأشرطة التلفزية.

وأما على الصعيد غير اللغوي، فتوجد الصورة وأنواعها وطاقاتها التعبيرية في أبعادها المختلفة المطبوعة والمرئية وما يصاحب ذلك ايضا من أنظمة أو أنساق غير لغوية بما في ذلك الحركات الجسدية والأنساق الرمزية التي تشمل مكوّنات الأحداث الاحتفالية والاستعراضية والمؤتمرات وغيرها.

الخلاصة:

لقد حاولنا في هذه الدراسة أن نجتهد في تقديم رؤيا عامة لدراسة الخطاب

الإعلامي وتحليله، وتحديد مفهومه وبعض خصوصياته وما يمكن أن تقدمه اللغة من معطيات معرفية وإجراءات منهجية يمكن استثمارها في دراسته وتحليله وبخاصة إذا علمنا أنه خطاب مؤثر في بقية الخطابات الأخرى التي تنتجها المعرفة وفي الوقت نفسه متأثر بها، مما يجعله خطابا متشابكا متعددا عابرا لتخصصات كثيرة ومنها علوم اللغة وتحليل الخطاب.

ولهذا فإن الإحاطة بموضوع كهذا تظل مسألة صعبة ومستحيلة، وحسبنا أننا اجتهدنا وحاولنا لفت الانتباه إلى أهمية الخطاب الإعلامي باعتباره منتوجا لغويا وثقافيا واجتماعيا ...ظل حكرا على الإعلاميين الذين كثيرا ما قاربوه انطلاقا من تحليل المحتوى بما يوفره من معطيات كمية ونوعية؛ والدعوة إلى استثمار علوم اللغة وتحليل الخطاب والسيميائيات في دراسة هذا الخطاب النوعي فتتضافر بذلك جهود الإعلاميين ودارسي اللغة والأدب.

الهوامش:

1)- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي ط2، سنة 2000، الدار البيضاء، المغرب، ص، 27.

2)- انظر المرجع نفسه، ص، 28.

3)- انظر: محمد شكري سلام، ثورة الاتصال والإعلام: من الإيديولوجيا إلى الميديولوجيا، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد 32، سنة 2003، ص، 81، 82.

4)- انظر: Angé Gillon , Hollier, Larousse ,Matceau et vie, Gand Larousse ; Paris , 1963, p,153. وانظر أحمد بن مرسلي، الاتصال وأشكاله المختلفة، حوليات جامعة الجزائر، الجزء الأول، رقم 11، أفريل 1998، ص82.

5)- انظر: إبراهيم إمام، فن العلاقات العامة والإعلام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968، ص، 186، وانظر: أحمد بن مرسلي، مذكور سابقا، ص، 82.

6)- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، بيروت، لبنان، سنة 2003، ص، 4.

7)- أحمد العاقد، تحليل الخطاب الصحافي من اللغة إلى السلطة، دار الثقافة، الدار البيضاءن المغرب، ط1، سنة 2002، ص، 110.

8)- انظر: المرجع نفسه، ص، 65.

9)- انظر: أحمد بن مرسلي، مرجع مذكور سابقا، ص، 84، وما بعدها.

10)- المرجع السابق، ص، 86.

11)- المرجع نفسه، ص، 88/87.

12)- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة، رقم 265، المجلس الأعلى للآداب والثقافة والفنون، الكويت، سنة 2001، ص، 387.

13)- انظر المرجع نفسه، ص، 387 وما بعدها.

14)- نشير إلى أن ثقة المواطن العربي ليست مفقودة فقط على هذا المستوى، وإنما هي مفقودة على مستويات أخرى عديدة سياسيا وثقافيا واقتصاديا ودينيا وفي كل شيء، فهل من منتبه؟!!

15)- انظر نبيل علي، المرجع المذكور سابقا، ص، 359، 360.

16)- أحمد العاقد، مرجع مذكور سابقا، ص، 85، 86.

17)- أوليفي رومبول، لغة التربية، تحليل الخطاب البيداغوجي، ترجمة عمر أوكان، إفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، لبنان، سنة 2002، ص،12.

18)- انظر للمزيد من التفاصيل المفيدة: محمد شكري سلام، ثورة الاتصال والإعلام، مرجع مذكور سابقا، ص، 87، وما بعدها.

19)- انظر: أوليفي رومبول، لغة التربية، تحليل الخطاب البيداغوجي، مرجع مذكور سابقا، ص، 13.

20)- انظر: أحمد بن راشد بن سعيد، قوة الوصف، دراسة في لغة الاتصال السياسي ورموزه، عالم الفكر، مجلة عالم الفكر العدد1، المجلد 32، سنة 2003، ص، 215،214.

21)- انظر: محمد شكري سلام، ثورة الإعلام و الاتصال، مرجع مذكور سابق، صن 105.

22)- أحمد العاقد، تحليل الخطاب الصحفي، مرجع مذكور سابق، ص، 98.

23)- المرجع نفسه، ص، 98.

24)- انظر: رشدي أحمد طعيمة، دليل عمل في إعداد المواد التعليمية لبرامج اللغة العربية، ص، 37. وانظر أيضا: محمد عبد القادر أحمد، طرق تعليم الأدب والنصوص، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1988، ص، 164.

25)- عبد الرحمن الحاج صالح، التحليل العلمي للنصوص، بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية، المبرز، عدد 1995/6، ص، 9.

26)- سمير محمد حسن، تحليل المضمون، القاهرة، عالم الكتب، 1983، ص، 22/19، وانظر أيضا: رشدي طعيمة، تحليل المحتوى: مفهومه، أسسه واستخداماته، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ص، 24.

27)- انظر : أحمد العاقد، تحليل الخطاب الصحافي، مرجع مذكور سابقا، ص ، 99.

28)-انظر رشدي طعيمة، تحليل المحتوى، مرجع مذكور سابقا، ص، 24، وما بعدها.

29)- انظر: أحمد العاقد، تحليل الخطاب الصحافي، مرجع مذكور سابقا، ص، 101.

30)- للمزيد من المعلومات، انظر: Séminaires de Roger Mucchielli, l'analyse de contenu des documents et des communications 5[ém] édition application pratiques p/ 17.

31)- انظر: عبد الرحمن الحاج صالح، التحليل العلمي للنصوص، مرجع مذكور سابقا، ص، 12،13.

32)- انظر المرجع السابق، ص، 13.

33)- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، سلسلة الأنيس، موفم للنشر، الجزائر، ص، 58.

34)-انظر: Séminaires de Roger Mucchielli p/ 39.

35)- انظر: عبد الرحمن الحاج صالح، التحليل العلمي للنصوص، ص، 15.

36)- ابن جني، المحتسب، القاهرة، ج2 ص، 86، نقلا عن الحاج صالح عبد الرحمن، التحليل العلمي للنصوص، ص، 15.

37)- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، ص،379.

38)- قيل هذا بخصوص القصف الإسرائيلي للفلسطينيين واللبنانيين بالقنابل العنقودية.

39)- يتعلق بمضمون خبر تناقلته وكالات الإعلام الأمريكي والبريطاني يتعلق بأن إصابات الجنود الأمريكيين لم تتم من الجنود العراقيين وإنما تمت خطأ من أمريكيين أو بريطانيين ؛ أي أمريكي أصاب أمريكيا أو بريطانيا والعكس صحيح.

40)- عنوان شريط عرضته محطة الجزيرة في إحدى أشرطتها الوثائقية عن أنفلونزا الطيور وكيف تنتقل العدوى إلى الإنسان فتصبح أنفلونزا من نوع آخر تنتقل من الإنسان إلى الإنسان...فيؤدي ذلك إلى هلاكه.

41)-الفجر الأحمر استعمال لغوي أطلقه الإعلام الأمريكي ليلة القبض على الرئيس العراقي"صدام حسين".

42)-استعمال أمريكي بالدرجة الأولى وبريطاني كذلك أطلق لتبرير القصف الوحشي بأنه لا يستهدف المدنيين وإنما السلاح المستعمل يصيب هدفه بدقة وللأسف

الـ شديـد أن الإ علام الـعر بـي فـي معظ مه قـد ا ستعمل الـمصطلحات نـفسها وفـي الـمقـامـات نـفسها .

43)- انـظر: أحمد الـعـاقـد، تـحليل الـخطاب الـصحافـي، ص، 102، الـهـامش، 47،46.

44)- أحـ مد الـعـا قـد، تـحـلـ يـل الـخ طـاب الـ صحافـي، ص، 104.

45)-اختــرت أن أتــرجم الـمصـطلح الأجنبـــي approche بـمدخل بـدل مقـاربـة، فـقـد بـدا لـي أن ذلـك أكـثـر دقـة: فـعندمـا نـقـارب الـشيء قـد لا نـدخـلـه.

46)- أمـثـال: Kerbrat orecchioni 1980, , Culioli .Ducrot 1972, 1983 G/ kleiber 1986

47)- ابـن جـنـي ، الـخصائـص، تـحقـيق مـحمـد عـلـي الـنجار، دار الـكـتـاب الـعربـي، د،ت، ص1/19

48)- انـظر: Alpha Osmane Barry, les textes de méthodologie, htt:// www. Chaire- med. Ca وانـظر: E/ Benveniste, problèmes de linguistique .générale, Gallimard, 1966,p,16

49)- انـظر: مـريـم فـرنـسي، فـي بـنـاء الـنص ودلالـتـه، مـحاور الإحـالـة الـكلامـيـة، دمشق، 1998، ص، 1/19.

50)- انـظر: E/ Benveniste, problèmes de linguistique générale,p,130.

51)- انـظر: مـحمـد الـحيـرش، تـداولـيـات الـتخا طب عـنـد مـيخـائـيـل بـاختين، مجلـة كـلـيـة الآداب بـتـطوان، جامـعـة

الملك السعدي، العدد9ن سنة 1999، ص، 159. وانظر أيضا: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص،9 وما بعدها.

52)- انظر: Catherine Kerbrat Orechioni, l'énonciation de la subjectivité dans le langage ,Paris, 1980, p,12/13.

53)- انظر: vers la compétence de communication, Paris, 1984

54)- انظر: Sophie Moirand, enseigner a communiquer en langue étrangère ,p,103.

55)-انظر كتاب "لابوف: sociolinguistique,édition de minuit Paris, 1976

56)-انظر: Alpha Osmane Barry, les textes de méthodologie, p/15

57)-انظر: Alpha Osmane Barry, les textes de méthodologie, p/15

58)- للمزيد من التفاصيل انظر: Alpha Osmane Barry, les textes de méthodologie, p/ 27…37 وانظر أيضا: Christian Baylon, socio-linguistique, société, langue et discours, Paris, 1991.

59)- أحمد العاقد، تحليل الخطاب الصحافي، ص، 106،107.

60)- انظر: أحمد العاقد، المرجع المذكور نفسه، ص، 107،108.

61)- انظر: دلائل الإعجاز، سلسلة الأنيس،ص، 403.

62)- أحمد العاقد، المرجع المذكور سابقا، ص، 109.

63)- انظر: أحمد يوسف، سيميائيات التواصل وفاعلية الحوار، المفاهيم والآليات، منشورات مخبر السيميائيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران، ط1/ 2004، ص، 22.

64)- انظر: Claude Germin et Raymond le blanc, introduction à la linguistique générale , la sémiotique de la communication ,ed, des presses de l'université de montréal ,1983, p/24.

65)-انظر: أحمد العاقد، تحليل الخطاب الصحافيً ، 115 إلى 125.

66)-انظر: أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة، المنطق السيميائي وجبر العلامات، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، والمركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص، 56.

67)-انظر: أحمد السرغيني، محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة، الدار البيضاء ،ط1987/1،ص، 56.

68)- انظر: سعيد بن كراد، السيميائيات: النشأة والموضوع، مجلة عالم الفكر، العدد3، المجلد 35، يناير، مارس، 2007، ص،30.

69)- بيرغيرو، علم الإشارة ،السيميولوجيا، ترجمة منذر العياشي، دار طلاس ،ط1، 1988، من مقدمة مازن الوعر للكتاب،ص، 11،10.

70)- انظر: سعيد بن كراد، السيميائيات: النشأة والموضوع، ص، 30.

71)-انظر: أحمد العاقد، تحليل الخطاب الصحافي،ص، 120.

72)- انـ ظر: أحـ مد يـو سف، الـ سيميائيات الـوا صفة، المنطق السيميائي وجبر العلامات، ص، 93،92.

73)- انظر: محمد السرغيني، محاضرات في السيميولوجيا، ص، 56، 57..

74)- انظر: أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة، ص، 81..

75)- انظر: أحمد العاقد، تحليا الخطاب الصحافي، ص، 138.

76)- انظر: أحمد العاقد، تحليل الخطاب الصحافي، ص، 140 وما بعدها.

قائمة المراجع

1)- أحمد العاقد، تحليل الخطاب الصحافي من اللغة إلى السلطة، دار الثقافة، الدار البيضاءن المغرب، ط1، سنة 2002.

2)- أحمد بن راشد بن سعيد، قوة الوصف، دراسة في لغة الاتصال السياسي ورموزه، عالم الفكر، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد 32، سنة 2003.

3)-أحمد بن مرسلي، الاتصال وأشكاله المختلفة، حوليات جامعة الجزائر، الجزء الأول، رقم 11، أفريل 1998.

4)-أحمد بن مرسلي، الاتصال وأشكاله المختلفة، حوليات جامعة الجزائر، الجزء الأول، رقم 11، أفريل 1998.

5)- أحمد يوسف، سيميائيات التواصل وفاعلية الحوار، المفاهيم والآليات، منشورات مخبر السيميائيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران، ط1/ 2004.

- السيميائيات الواصفة، المنطق السيميائي وجبر العلامات، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، والمركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2005.

6)- إبراهيم إمام، فن العلاقات العامة والإعلام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968.

7)- أوليفي رومبول، لغة التربية، تحليل الخطاب البيداغوجي، ترجمة عمر أوكان، إفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، لبنان، سنة 2002.

8)- بيرغيرو، علم الإشارة ،السيميولوجيا، ترجمة منذر العياشي، دار طلاس ،ط1، 1988، من مقدمة مازن الوعر للكتاب.

9)- ابن جني، المحتسب، القاهرة، ج2 ص، 86، نقلا عن الحاج صالح عبد الرحمن، التحليل العلمي للنصوص.

- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، د،ت.

10)- رشدي أحمد طعيمة، دليل عمل في إعداد المواد التعليمية لبرامج اللغة العربية.

-تحليل المحتوى: مفهومه، أسسه واستخداماته، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

11)- سعيد بن كراد، السيميائيات: النشأة والموضوع، مجلة عالم الفكر، العدد3، المجلد 35، يناير، مارس، 2007.

12)- سمير محمد حسن، تحليل المضمون، القاهرة، عالم الكتب، 1983.

13)- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي ط2، سنة 2000، الدار البيضاء، المغرب.

14)- عبد الرحمن الحاج صالح، التحليل العلمي للنصوص، بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية، المبرز، عدد 1995/6.

15)- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، سلسلة الأنيس، موفم للنشر، الجزائر.

16)-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية.

17)- "لابوف: sociolinguistique,édition de minuit Paris, 1976

18)- محمد الحيرش، تداوليات التخاطب عند ميخائيل باختين، مجلة كلية الآداب بتطوان، جامعة الملك السعدي، العدد9ن سنة 1999.

19)- مريم فرنسي، في بناء النص ودلالته، محاور الإحالة الكلامية، دمشق، 1998.

20)- محمد شكري سلام، ثورة الاتصال والإعلام: من الإيديولوجيا إلى الميديولوجيا، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد 32، سنة 2003.

21)-محمد عبد القادر أحمد، طرق تعليم الأدب والنصوص، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1988.

22)- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عام المعرفة، رقم 265، المجلس الأعلى للآداب والثقافة والفنون، الكويت، سنة 2001.

23)- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، بيروت، لبنان، سنة 2003.

(24) Alpha Osmane Barry, les textes de méthodologie, htt:// www. Chaire- med. Ca

(25) Angé Gillon, Hollier, Larousse, Matceau et vie, Gand Larousse; Paris , 1963.

(26) E/ Benveniste, problèmes de linguistique générale, Gallimard, 1966.

(27) Catherine Kerbrat Orechioni, l'énonciation de la subjectivité dans le langage ,Paris, 1980,

(28) Christian Baylon, socio-linguistique, société, langue et discours, Paris, 1991.

(29) Claude Germin et Raymond le blanc, introduction à la linguistique générale , la sémiotique de la communication ,ed, des presses de l'université de montréal ,1983.

(30) Séminaires de Roger Mucchielli, l'analyse de contenu des documents et des communications 5^{ém} édition application pratiques

(31) Sophie Moirand, enseigner a communiquer en langue étrangère

الوقف القرآني في المصاحف

الأستاذ مبروك زيد الخير
جامعة الأغواط

أولاً : الوقف في مصاحف المشارقة والمغاربة :

الوقف في اصطلاح رسم المصحف حروف تضاف فوق النّص ترمز إلى مواضع الوقف عند القراءة [1]، وقد كان المصحف الأوّل الذي سمي إماما خلوًا من كلّ إشارة أو رمز، إذْ احتمى النّص القرآني بحفظ الحفاظ، وحساسية الملكة الذوقية عند حامليه وسامعيه، في عصر كان مؤهلا لإنتاج إبداعي شعري ونثري جدير بأن يحتج به في تقعيد النحو و الصرف والبلاغة، وسائر الفنون اللغوية.

والخط العربي، كما يؤكد إبراهيم الأبياري : «لم يكن عرف النقط المميّز للحروف في صورته الأخيرة كما لم يكن عرف شكل الكلمات، وبقي المصحف المرسوم

ينقصه النقط في صورته الأخيرة، وينقصه الشكل، وعاش يحميه حفظ الحفاظ له من اللّحن »[2].

والثابت تاريخيا أنّ كتابة المصحف كانت بالخطّ الكوفي في القرون الأولى، وهناك نموذج مصوّر أورده صاحب (**خطوط المصاحف**) بالخط الكوفي الخالي من الشكل والإعجام، يمثل افتتاحية واختتام (سورة طه)، وهو ورقة من مصحف طشقند التاريخي في القرن الأول أو القرن الثاني للهجرة، موجود بالمتحف التاريخي بمصحف طشقند [3]، وقد امتدت الكتابة بهذا النمط إلى غاية القرن الخامس، ثم ظهر الخط الثلث ليعمّر إلى القرن التاسع حيث ظهر خط النسخ، وهو أساس الخط العربي إلى يومنا هذا [4].

وأول ناقل للخط من صورة القلم الكوفي إلى صورة القلم النّسخي، هو الخطاط ابن مقلة ت[328 هـ] [5]، وتوالى من بعده الخطاطون، وقد امتلأت مكتبات العالم بأصناف شتى من المخطوطات من ضمنها مصاحف شهيرة ما تزال باقية إلى

يومنا هذا. وهناك مصاحف كثيرة احتضنتها القرون اللاّحقة وبقيت جميعها شاهدة على وثوق النّص، وتطوّر الخطّ، بما لا يتنافى مع حفظه وصحّته، وانتفاء التغيير أو التبديل عنه [6].

وأوّل عملية ضبط شكلي للمصحف كانت في عهد عمر أو معاوية على خلاف في الرواية، و على يد اللغوي الشهير أبي الأسود الدؤلي ت [69 هـ]، والذي بادر بنقط المصحف نقط إعراب، مايز فيه بين الحركات الصّوتية الضابطة للكلمات.

لقد انتقل النقط إلى المغرب و الأندلس من بلاد الرافدين، واستعملها النساخون الأولون في كتابتهم للمصاحف للتفريق بين الحركة و الهمزة والتشديد [7]، وهي طريقة فعالة لضمان الضبط وتوخيه ما أمكن لقد ظهر إعجام الحروف الذي به يفرق بين المتشابه منها بالبصرة أيضا في عهد عبد الملك بن مروان ويوعز الدكتور محمد قبيصي سبب ريادة العراق في هذا المجال التطويري لشكل الكتابة إلى مجاورة العراق

للسّريان الذين كانوا ينقطون كتابتهم (8).

هذا الإيعاز في رأينا، لا ينفي العبقرية المتميزة ذات التألق و التي اتسمت بها الحضارة الإسلامية التي طورت النقط و الشكل من صورته البسيطة النقطية إلى صورة الحركات وضوابط الخط كالهمزة والشدة والسكون والمدّ، وكانت ألمعية الخليل الفراهيدي ت [175 هـ] رائدة في هذا المجال التحسيني المقعّد للكتابة العربية في الأساس.

والمتتبع لمسار الخطّ العربي عامّة، وللرسم القرآني خاصة، يدرك بجلاء أنّ علامات الوقف والوصل والأداء، وما هو موجود في المصاحف من مُدُودِ وعلامات زائدة عمّا ذكرناه، هي نتاج مرحلة متأخرة لا عن التدوين الأول فحسبْ، بل حتى عن مرحلة التنقيط والشكل التي نوهنا بها سلفا، وهو بذلك مرتكز الإتقان الممتاز للضبط، وربما كان السبب في ملكة القراءة الجيّدة لدى القراء.

وعند التساؤل عن غاية تأخر الضبط إلى القرن الثالث وما بعده عند المشارقة، وإلى القرن العاشر عند المغاربة، ندرك أنّ ذلك كان بسبب قدرتهم على التمثل الذهني للمعنى، ممّا كان دافعا لتأخير الاهتمام بالضبط، إذْ تنضبط القراءة تلقائيا، ويحدّد وقوف القارئ على نهاية المعنى دون مشقة، وهذا لا يتأتى في ضبط الحرف أو ضبط الكلمة في الجملة، لأنّه يقتضي علما بكلام العرب واستعمالاتهم ممّا هو مظنة الخطأ.

لقد كانت المحاولات الأولى فيما يبدو متحفزة إلى تسريع عملية النّص القرآني في نموذج خطي مضموم بين دفتي المصحف الموحّد، الذّي يجمع الأمّة على كلمة سواء، ويضمن عدم التلاعب أو التحريف الذي طال الكتب السابقة حينما كان أحبار ورهبان أهل الكتاب [**يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً**] (9)، وعند النظر في نماذج صور مخطوطات المصاحف التي نقلها صاحب كتاب (**خطوط المصاحف عند المشارقة و المغاربة**

من القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجري) محمد بن سعيد شريفي، فسنجد أنّ مجموعة منها وخاصة في القرون الأولى، لم تكن تتضمن إشارة للوقف، رغم أنّها باستثناء مصاحف ما قبل عهد التنقيط- كانت متوفرة على الشكل وعلى علامات على الهوامش للأعشار والأخماس، وخصوصا من القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجري كما يشير الدارس[10]، بينما توفرت فيما بعد على الوقف، وهي النماذج المتوفرة إلى الآن في الصورة النهائية لضبط المصحف، التي شهدت تطورا كبيرا في الأعصر اللاحقة .

ومن النماذج التي دققنا فيها النظر وهي نسخ مصوّرة أو مخطوطات متوفرة في مكتبات الخواصّ ما يلي :

1) مصاحف المشارقة :

أ) مصاحف لا تتوفر على علامات الوقف عند المشارقة :

من هذه المصاحف الموجودة بالمشرق العربي مصحف طشقند، وهو يوعز إلى القرن الأول أو الثاني للهجرة، وهو مصحف خال

تماما من أي تنقيط أو شكل أو ضبط ومكتوب بخط كوفي أنيق، ولكنّه في الصورة البدائية للخط قبل أن تدخل عليه التحسينات الأخرى [11].

وهناك أيضا مصحف ابن البواب ت [391 هـ]، وقد عرض ثلاث ورقات منه تمثل سورة الفاتحة وصدر البقرة، وكذلك وجه الورقة أربعين والصفحة الأخيرة الموقعة من طرف الخطاط[12]، ويوجد مصحف أبي القاسم ت [499 هـ] [13]، وكذلك مصحف سماه مصحف سنة [428 هـ] مجهول الصاحب، وقد أخذنا منه وجه الورقتين 127 و175 وهو مصحف نادر لا يوجد نماذج له في المتاحف الآن [14]، وكذلك مصحف عبد الملك بن محمد الأصفهاني ت [499 هـ]، ونموذجه الثاني أكثر وضوحا لتعرف الوقف و تتبع مواقعه[15] .

وهناك جزء من مصحف لعثمان بن محمّد ت [505 هـ] وبه زخارف ونقاط وسط دوائر، ولكنّها عند مقارنتها بالمصاحف نجدها لا علاقة لها بالوقف [16]ونقل جزء من مصحف للإمام البيهقي ت [592هـ] [17] إلى جانب مصحف كان قد أوقفه الناصر بن محمد

قلاوون ت [714 هـ] وهو مصحف واضح وأنيق أرخّه صاحبه في سنة [730 هـ] [18].

أ) مصاحف تتوفر على علامات الوقف عند المشارقة :

- هناك مصحف عبد الرحمن بن أبي بكر ت [582 هـ]، وقد عثر منه على الورقة الثانية والعشرين والمائة، وقال محمد بن سعيد شريفي : « وتخلل النصّ حروف للوقف» [19].

- ويوجد مصحف عبد الرحمن بن محمد بن أبي الفتح ت [599 هـ]، ويوجد في ثناياه علامات بارزة للوقف وقد رمز له بالرمز (ط) [20].

- كما يوجد المصحف الفارسي المؤرخ سنة [635 هـ] [21]. ومصحف ياقوت المستعصمي ت [685 هـ] وقد قدم نماذج لا تتوفر على الوقف و هي نماذج مصورة غير مكتملة، بينما قدم نموذجا منسوبا إليه يرجع إلى سنة [689هـ] يحتوي على علامات للوقف بارزة فيه [22].

- وأشار الباحثون إلى مصحف الخجندي المؤرخ في [765هـ]، وقد رسم الحرف الذي يستحق الوقوف عنده وهو الكاف في الابتداء أو التوسط كجزء اللام [23]

- كما يوجد مصحف آخر من وقف خون بركة مؤرخ في [769هـ] [24] قال فيه صاحب (خطوط المصاحف) : «وفوق السطر توجد حروف أخرى لعلّها رموز الوقف»[25].

- ويوجد مصحف علي بن محمّد المكتب الأشرفي مؤرخ في [774 هـ] [26]، قال عنه سعيد شريفي : «ويمتاز هذا المصحف برسم نقطة فوق ألفات الوصل لتدل على كيفية الابتداء بالألفات عند الوصل »[27].

- وهناك مصحف (شاه ملك) من حفدة تيمورلنك مؤرخ في [871 هـ] [28] .

- وكذلك مصحف محمد بن علي السهلي، مؤرخ في [879 هـ] [29]، ويقول عنه صاحب (خطوط المصاحف) : « وتتخلّل السطور علامات للوقف » [30].

- ومصحف (شاذ بك بن عبد الله) مؤرخ في [884 هـ] [31]، قال عنه صاحب (خطوط المصاحف) : «ويتخلّله حروف باللون الأحمر »[32].

- ومصحف الشيخ حمد الله المؤرخ في سنة [900 هـ] [33].

- ومصحف الشبرواري مؤرخ في صفر سنة [945 هـ] [34]، وهو غير مصوّر بوضوح، ورغم أنّه مطموس نسبيا، إلاّ أنّ صاحب (خطوط المصاحف) يقول : « و يتخلّل النّص رموز أوقاف كتبت بالأحمر »[35].

- ومصحف درويش بن محمد بن مصطفى ددة المؤرخ في [968 هـ] توجد به علامات واضحة للوقف [36].

- ومصحف محمد بن عبد الله المؤرخ في [986 هـ] و المتضمن علامات صغيرة للوقف[37].

- ومصحف الخليلي التبريزي المؤرخ في [988 هـ][38]، قال عنه صاحب (خطوط المصاحف) بعد عرض إجمالي لمواصفاته وخصائصه: « واستعملت أحرف صغيرة للأوقاف»[39].

ج) مصاحف غير واضحة لاستبانة الوقف عند المشارقة :

هناك مصاحف غير مستبينة في خطها ولا في علامات الوقف فيها، نذكر منها :

- مصحف من وقف السلطان برقوق وهو من المماليك البرجية ت [801هـ] أرخّه خطاطه في [801هـ] .[40]

- ومصحف ابن الصائغ ت [845هـ] وهو كذلك مؤرخ في [801 هـ]، يتضمن المعوذتين ولا يستبين منهما الملاحظ الوقف.[41]

-وهناك مصحف مؤرخ سنة [831هـ] غير منسوب إلى خطاط معين، وهو مطموس لا تكاد حروفه تظهر.[42]

- ومصحف فارسي مؤرخ في [898هـ] غير منسوب إلى خطاط معين.[43]

- ومصحف مصطفى الأيوبي مؤرخ في [969 هـ] لم يصلنا منه إلاّ المعوذتان[44].

- ومصحف شاه محمود النيسابوري مؤرخ في [945 هـ] [45].

2) مصاحف المغاربة :

ترعرع الخط المغربي بمواصفاته الخاصة التي نلحظها عندنا، والمتميزة عن الخط المشرقي في رحاب جامعة القرويين على يد العلماء ، و في جوار دور العلم المغربية الشهيرة ، و اشتق

له كيانا متميزا « من الخط الكوفي الجاف » [46].

وقد أيدّ محمد سعيد شريفي (هوداس) فيما ذهب إليه من أن المغاربة منذ اتصالهم بالمشرق لم يستجلبوا الخط اللين، لأنهم تمكنوا أن يبسطوا الخط الكوفي و يكيفيوه للاستعمال. [47]

ويظهر أن الوقف يمكن أن يدرس في العينات المستوعبة لتطوره عبر القرون التي تساير تطور الخط المصحفي، وتأريخ كلّ مصحف، ويمكننا بعد الملاحظة و المتابعة والنظر أن نضع ثبتا لنماذج المصاحف الموفورة في مكتبات المغرب العربي وفقا لمنهجيتنا في التصنيف حسب وجود الوقف أو عدمه، وهي كالتالي :

أ) مصاحف لا تتوفر على علامات الوقف عند المغاربة :

- هناك نموذج منقوط غير مشكول، ولا يتوفر على علامات للوقف ولا لغيره ممّا يقتضيه ضبط الكتابة عادة، وهو معثور عليه في القيروان خلال القرن الرابع الهجري. [48]

- وهناك مصحف علي بن أحمد الوراق المؤرخ في [410 هـ] ولا يحتوي على علامات للوقف .[49]

- ومصحف آخر عرض منه صفحة واحدة لناسخ مجهول، ولكنّه مؤرخ في القرن الخامس الهجري.[50]

- ومصحف آخر مؤرخ في [703هـ] [51]، ومثله في نفس التاريخ مع اختلاف الناسخين لهما .[52]

- ومصحف آخر في العهد المريني منتسخ للخليفة عثمان بن يعقوب مؤرخ في [710هـ] [53].

- ومصحف السلطان أبي زيان محمد الثاني، ت [805 هـ] وهو مؤرخ في [801 هـ] [54]

- ومصحف وقف فاطمة بنت الشيخ الناصر مؤرخ في [844هـ] [55].

- ومصحف سعد بن إسماعيل الأنصاري مؤرخ في [895 هـ] .[56]

- ومصحف محمد بن عبد الرحمن بن عيسى، مؤرخ في [982 هـ] [57] وقد نوه به محمد سعيد شريفي، وأشار في كتابه (خطوط المصاحف) إلى خلوه من الوقوف بقوله :

«فإذا رجحنا نسبته إلى القرن العاشر فإننا لا نجرؤ على نسبته إلى المغرب، لخلوه من وقف الهبطي ».[58] ، وقد تردد في نسبته إلى المغرب أو الأندلس لعدم تأكده من ذلك .

ب) نماذج مصاحف تتوفر على علامات الوقف عند المغاربة :

امتازت المصاحف المغربية دون المشرقية بالجرة المرسومة على ألف الوصل، لتدل على الحركة السابقة، وبوضع نقطة بارزة دالة على كيفية الابتداء بألف الوصل عند الوقف، وقد ورد منها جملة من المصاحف، نذكر منها ما يلي :

- هناك مصحف لعبد الله بن محمد قطوس ، وهو مصحف واضح أنيق، وقد أرّخه صاحبه في [557هـ][59] ، ونذكر أن صاحب (خطوط المصاحف) قد أشار في معرض التعليق على هذا المصحف إلى ما يحتويه من مميزات تطبق على رواية ورش من قراءة نافع، من ذلك قوله : «يختصُّ رسمها بجرة الوصل التي ترسم على ألفها دالة على الحركة السابقة، وبنقطة توضح كيفية البدء بألفات الوصل عند الوقف »[60].

- وهناك مصحف مؤرخ في [598هـ] غير منسوب إلى خطاط بعينه [61].

- ومصحف مستنسخ بصورة جميلة أنيقة لخزانة مريم السعدية [62]، قال عنه صاحب (خطوط المصاحف) : «يتخلّل النّص وقف الهبطي المرسوم باللون الأزرق »[63].

ومصحف من وقف الأمير محمد عبد القادر ت [975 هـ] وهو مؤرخ في [968هـ][64]، ويلتقي هذا المصحف مع سابقه في نمط الكتابة و طريقة الوقف. قال محمد سعيد شريفي تعليقا عليهما : «ويتحد المصحفان في حجمهما وعدد سطورهما والمّدني في البسملة وفي آخر السورة و رسم الوقف»[65].

ج) نماذج مصاحف غير واضحة لاستبانة الوقف عند المغاربة:

- هناك مصحف لا يستبان وقفه ولا خطه، مؤرخ سنة [558هـ][66].

- ومصحف آخر يحمل نفس المواصفات، ولايستبان منه الوقف، مؤرخ في [564هـ][67].

- ومصحف آخر، مؤرخ في [573هـ].[68]

- ومصحف آخر، مغاير وهو مؤرخ في عام [595هـ].(69)

- ومصحف لعمر المرتضى ت [665 هـ]، وهو مؤرخ في [654هـ](70).

- ومصحف يعزي لمحمد بن مفضل مؤرخ في [686هـ].(71)

- ومصحف أرخ في [724هـ]غير منسوب إلى واحد بعينه.(72)

و من خلال هذا التصفح و الاستقراء لما هو موجود لدينا، فإننا نؤكد بأنّ ما أوصل إلينا هذه المصاحف، إنّما هو العناية بالشكل والضبط، فقد روى ابن كثير أنّه رأى مصحفا لأحد الأئمة بطبرية عام [518هـ] فرآه كتابا جليلا، بخط حسن مبين.(73)

ويذكر المقرّي أنّ عبد المؤمن بن علي استجلب أحد المصاحف العثمانية من قرطبة، ليستقر كتحفة ثمينة رائعة بخزانة فاس سنة [745هـ]، وأورد أوصاف العناية به، وكيف أنّه صنع له صندوق عجيب وضع فيه، ولكنّه لم يذكر وصفا

دقيقا لخطّه، واَكتفى بالتنويه بطريقة حفظه .[74]

ومن خلال التفحص للمصاحف القديمة و الصور المنسوخة من المخطوطات، عند صاحب (خطوط المصاحف) وغيره[75]، وجدنا أن المصاحف الأولى كانت في مجملها خالية من علامات الوقف، وقد وضعها العلماء في القرون اللاحقة، تسهيلا للقارئ، وتمكينا له من التبصر بمواطن الوقف ، قال صاحب (التبيين) : «هي علامات اصطلاحية اجتهادية، وضعها العلماء تسهيلا على قارئ القرآن، ليتنبه إلى أماكن الوقف الجائزة و الممنوعة، ولكل مصحف اصطلاحات اتفق عليها طابعوه ».[76]

والرموز الموجودة في المصاحف الشرقية منسوبة إلى السجاوندي، ووردت أيضا في هذا المجال رسالة منسوبة للشيخ محمد صادق الهندي، بعنوان (ألطاف البرهان في أوقاف القرآن) [77]، ويظهر أنها مخصّصة للعلامات و مواضعها .

أما المصاحف المغربية فقد بقيت خالية منها إلى قرابة القرن العاشر، و في أوائل هذا القرن انتشر وقف الشيخ محمّد بن جمعة الهبطي الصماتي ت [930 هـ] بفاس، وقد لفت نظرنا في ترجمة الأستاذ عبد الله كنون للإمام الهبطي ذكره جملة من تآليفه(78)، ولكنّه لم يشر تلميحا ولا تصريحا إلى تأليفه في الوقف(79) إلاّ إذا اعتبر ذلك من تحصيل الحاصل، غير أن صاحب (خطوط المصاحف) يذكر في ثنايا دراسة وصفية لورقة من مصحف مخطوط بالرسم العثماني والخط المغربي، ما يؤكّد ذلك، فيقول : «وخلوه من تراكب التنوين، ووقف الهبطي وهي خصائص لم نعهدها قبل القرن الثامن»(80).

وقد تفنن الخطاطون والمبدعون في إبراز المصحف في أبهى حلة، وكان ذلك شغلهم الشاغل وربّما نوعواْ الشكل العام للمصحف من نسخة إلى نسخة، ولكنهم كما يشير عبد المجيد وافي - يحافظون حفاظا دقيقا على النّص القرآني، وعلامات التوقيف و التنصيص.(81)

وقد تتبعنا الوقف من حيث رموزه المشهورة في المصاحف الميسورة لدينا فوجدناه كما يلي:

الرّمز	دلالته في الرسم القرآني	مثاله من القرآن الكريم	السورة	رقم الآية
مـ	وقف لازم (في غير ورش)	فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ مـ .إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ	يس	76
لا	وقف ممنوع	أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ لا وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ	الصافات	152-151
ج	وقف جائز	وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ج بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمِ	البقرة	88
صلى	وقف جائز والوصل أولى	أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْـــآخِرَةِ صلى فَــلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ	البقرة	86
قلى	وقف جائز والوقف أولى	مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ قلى فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً	الكهف	22
∴ ∴	تعانق الوقف إذا وقف في أحدهما لا يصح الوقف على الآخر[82]	ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ ∴ فِيهِ ∴ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ	البقرة	02
°	فوق حرف علة يدل على كونه زائدا فلا ينطق به في الوصل ولا في الوقف	رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفاً مُطَهَّرَةً	البيّنة	02
٥	فوق ألف بعدها متحرك يدل على زيادتها وصلا لا وقفا.	لَكِنَّـا٥ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً	الكهف	38
س	السكت يسيرا حال الوصل	بَلْ س رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ	المطففين	14
۞	بداية الأجزاء والأحزاب والإنصاف و الأرباع	وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۞ قُلْ مَـــنْ يَرْزُقُكُـــمْ مِــنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ	٣٤ سبأ	الحزب 44 آية 23
(٢)	دائرة مخلاة فيها رقم الآية تدل على انتهاء الآية و رقمها	وَالذَّارِيَاتِ (١) ذَرْواً فَالْحَامِلاتِ وِقْراً (٢)	الذاريات	2 - 1
ص	علامة الوقف الوحيدة في ورش	وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ص	النحل	19

- ثانيا : الوقف في مؤلفات القدامى و المحدثين :

بدأ الاهتمام بهذا العلم منذ بدايات عصر التأليف، نظرا لاعتماد الأقدمين عليه

في تحقيق النّص المرسوم وضبط القراءة، وقد تناوله أصناف من العلماء منهم القراء المتخصّصون، ومنهم الفقهاء والمحدثون، ومنهم اللغويون والنحاة.

ويمكننا أن نتتبّع بدقة الإسهامات الفعالة في هذا الفنّ، والتي أثرى بها ذووها المكتبة القرآنية واللغوية أيّما إثراء، مؤكدين على أن وجودها منذ انبثاق حركة التأليف في العهود الأولى يدعم رأينا القاضي بأهمية هذا الموضوع، وكونه جديرا بالعناية و الدّرس، خاصّة وأنّ المؤلفين حرصواْ على أن يدلي كلّ منهم بدلوه في هذا المضمار، ولم تخل بيبلوغرافيا التصانيف اللغوية و القرآنية على العموم عند علماء العربية الأقحاح، ومنظريها المشاهير، من تأليف في الوقف والابتداء، مع اختلاف في التسميات، وطرائق التناول للموضوع، وإنْ كانت تؤول إلى مطمح مشترك هو ضبط النص القرآني، وتلمس معانيه المخبوءة في طيّات السياقات المتلاحقة ضمنه، من بدئه إلى منتهاه.

والإحصاء الاستقرائي لهذا التراث الزاخر في الوقف يطلعنا على الكثير من التآليف التي ضاعت في غمرة الزمان، وطواها إهمال الإنسان في ذاكرة النّسيان، فبقيت منوّها بها عند العلماء في الكتب المحفوظة الشهيرة، على أنّ منها ما تمكنّ القدماء و بعض المعاصرين من نشره مرفقا بالتحقيق، أو مطبوعا كما نقل دون تحقيق، وجميع ذلك كان مبدئيا أرضية خصبة لكلّ دراسة في هذا الموضوع.

إنّ هذا الإنتاج الوفير، قد وجد بالموازاة مع حركة التأسيس لمختلف العلوم اللغوية، وعلوم القرآن والبلاغة والنقد، فعطى جانبا مهما منها، غايته العناية بالقرآن المقدّس، واستثمار مضامينه، وذلك من خلال الفهم العميق للمعنى، والتذوق الرفيع للمبنى.

والكتب المؤلفة في هذا المجال ، يمكن أن نصّنف بعض ماعثرنا عليه من عناوين لها حسب الترتيب الأبجدي كما يلي :

1) الإبانة في الوقف و الابتداء :

- ألفه أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي، ت[408 هـ] [83]

2) الإقتداء في معرفة الوقف و الابتداء :

- ألفه أبوبكر النكزاوي، ت[689 هـ] [84].

3) الاهتداء في الوقف و الابتداء :

- ألفه أبو القاسم موفق الدين اللخمي الشريشي، ت[629 هـ] [85].

- وثان ألفه عثمان بن سعيد المشهور بأبي عمر الداني، ت[444 هـ] [86].

- وثالث ألفه أبو الحسن علي بن محمد الهمذاني السخاوي، ت[643 هـ]، يقول محقق (جمال القراء) عبد الكريم الزبيدي بأنّ عنوانه هو : (علم الاهتداء في معرفة الوقف والابتداء) [87].

- ورابع ألفه أبو الخير محمد بن محمد المعروف بابن الجزري، ت[833 هـ] قال عن الوقف:«واستقصيته في كتاب الاهتداء في معرفة الوقف والابتداء» [88].

4) كتاب أوقاف القرآن :

- ألفه أبو عبد الله الساجوندي الغزنوي المتوفى في أواسط المائة السادسة، قال ابن الجزري في ترجمته: «وله كتاب الوقف والابتداء الكبير وآخر صغير وكان من الكتاب المحققين»(89) وكتابه الأوقاف (مخطوط) (90).

- وثان ألفه الحسن بن محمد بن الحسين النخمي النيسابوري، ت[850 هـ] (91).

5) الإيضاح في الوقف و الابتداء :

- ألفه أبو بكر بن الأنباري، ت[328 هـ]، قال بأنّه سمعه ابن برنجال من أبي عبد الله التجيبي عن الشعيري عن مؤلفه (92).

- وثان ألفه أبو عبد الله الساجوندي الغزنوي المتوفى خلال القرن السادس (93).

6) تحفة العرفان في بيان أوقاف القرآن:

- ألفه أحمد بن مصطفى بن خليل عصام الدّين شكبري زادة، ت[968 هـ] (94).

7) اختصار الوقف على كلاّ وبلى ونعم:

- وثان ألفه مكي بن أبي طالب، ت[437 هـ] (95).

8) علم الاهتداء في الوقف و الابتداء:

- ألفه علي بن محمد السخاوي، ت[643 هـ]، وهو مطبوع ضمن كتابه (**جمال القراء**) [96].

- وثان ألفه محمد بن علي بن همام المعروف بابن الإمام، ت[75 هـ] [97].

9) **القطع و الائتناف :**

- ألفه أبو جعفر النحاس، ت[328 هـ]وقد اشتهر هذا الكتاب وذاع وصار عمدة الدّارسين و المنقبين في هذا الباب، قال الزركشي و هو يتكلم عن هذا البحث:«وقد صنّف فيه الزجاج قديما كتاب (القطع والائتناف)» [98]، والمشهور أن مؤلف هذا الكتاب هو النحّاس لأنّه التصق باسمه وشاع.

10) **المرشد في الوقف و الابتداء :**

- ألفه أبو محمد العماني المقرئ ، المتوفى في القرن السادس[99].

11) **معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف و الابتداء :**

- ألفه محمد خليل الحصري ، وهو من مقرئي القرن العشرين ، يعرف بأنه

شيخ المقارئ المصرية، ذاع صيته في مصر و العالم الإسلامي[100].

12) كتاب المقاطع والمبادئ:

- ألفه أبو حاتم السجستاني، ت[255 هـ][101].

- وآخر ألفه أبو العباس الفضل بن شاذان، ت[310 هـ]، قال عنه ابن الجزري : «أستاذ متقن مشهور، صاحب المقاطع و المبادئ»[102].

13) المكتفى في الوقف والابتداء :

- ألفه أبو عمر الداني، ت[444 هـ][103].

14) منار الهدى في بيان الوقف والابتداء :

- ألفه أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني، المتوفى خلال القرن الثاني عشر الهجري[104].

- وآخر ألفه عبد الله بن مسعود الفاسي المغربي من رجال القرن الثاني عشر،

له (مختصر للمنار) بعنوان (أوائل الندى المختصر من منار الهدى)[105].

15) نظام الأداء في الوقف والابتداء :

- ألفه أبو الأصبع عبد العزيز المعروف بابن الطحّان، ت[559 هـ][106].

16) كتاب وقف التمام :

- ألفه أبو رويم الليثي ، وهو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، ت[169 هـ][107].

- وآخر ألفه يعقوب ابن اسحاق بن زيد الخضرمي البصري. ت[205 هـ][108].

- وثالث ألفه سعد بن مسعدة الأخفش الأوسط، ت[221 هـ][109].

- ورابع ألفه أبو الحسن روح بن عبد المؤمن الهذلي، المتوفى عام [234 هـ][110].

- وخامس ألفه نصير بن يوسف بن أبي نصر، أو المنذر البغدادي النحوي، لم يذكر تاريخ وفاته[111].

- وسادس ألفه أحمد بن جعفر الدينوري، ت[289 هـ] [112].

17) كتاب الوقف و الابتداء :

- ألفه أبو نعيم ضرار بن صرد بن سليمان، ت[129 هـ] [113].

- وثان ألفه أبو عمرو بن العلاء، ت[154 هـ] [114].

- وثالث ألفه حمزة بن حبيب الزيات الكوفي التميمي، ت[156 هـ] [115].

- ورابع ألفه أبو جعفر محمد بن أبي سارة الكوفي الرؤاسي، ت[187 هـ] [116].

- وخامس ألفه أبو زكرياء يحي بن زياد الفراء، ت[207 هـ] [117].

- وسادس ألفه أبو محمد خلف بن هشام البزّار، ت [229 هـ] [118].

- وسابع ألفه أبو عبد الرحمن بن أبي محمّد اليزيدي البغدادي، ت[229 هـ] [119].

- وثامن ألفه أبو جعفر محمّد بن سعدان الضّرير الكوفي، ت[231 هـ] [120].

- وتاسع ألفه أبو عمرو الدّوري، وهو حفص بن عمر بن عبد العزيز، ت[237 هـ] (121).

- وعاشر ألفه أبو العباس أحمد بن يحي المعروف بثعلب، ت[291هـ] (122).

- وحادي عشر ألفه أبو أيوب التّميمي، سليمان بن يحي البغدادي المعروف الضبيّ، ت[291هـ] (123).

- وثاني عشر ألفه أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان، ت[291هـ] (124).

- وثالث عشر ألفه أبو بكر بن الأنباري، ت[328 هـ]، ذكر له صاحب (الفهرست) كتابا بهذا العنوان (125).

- ورابع عشر ألفه أبو عبد الله المقرئ، المتوفى حوالي [340 هـ] (126).

- وخامس عشر ألفه أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم بن يعقوب، ت[354 هـ] (127).

- وسادس عشر ألفه أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، ت[368 هـ] (128).

- وسابع عشر ألفه أبو الفتح عثمان بن جني، ت[392 هـ] (129).

- وثامن عشر ألفه محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي، ت[505 هـ]،وكتابه مخطوط إلى حد الآن[130].

- وتاسع عشر ألفه أبو عبد الله الساجوندي الغزنوي، المتوفى وسط المائة السادسة ت[289هـ][131].

18) كتاب الوقوف :

- ألفه شيبة بن نصاح المدني، ت[130 هـ]، ذكر ابن الجزري أنّه أول من ألّف في الوقوف[132].

- وثان ألفه أبو بكر البغدادي المعروف بوكيع، ت[350 هـ][133].

ويظهر أن أهم هذه الكتب جميعا ثلاثة : أحدها قديم ألفه أبو جعفر النّحاس ت[911هـ]، والثاني ألف بعده بأمد وقد ألفه المقرئ الألمعي أبوعمرو الداني، ت[444 هـ]، والثالث للأشموني الذي عاش بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر، على اختلاف بين مترجميه وسماه (**منار الهدى في الوقف و الابتداء**) .

أمّا كتاب النحاس المسمّى (**القطع والائتناف**) فقد أوعز إليه أحمد نصيف الجنابي نظرية النظم في قسمها النحوي المتّصل بالأساليب، وهو بهذا يخالف جميع الباحثين في رؤيتهم للسبق الذي حازه عبد القاهر الجرجاني ت[471 هـ] في هذا المجال [134].

لقد انبرى الجنابي فدرس كتب النحاس بعمق وروية، فأبان بمنهجية علمية أهميتها، ودورها في التأسيس اللغوي الرصين، وقد أبان ذلك في دراسته لكتاب النحاس (**إعراب القرآن الكريم**) وذلك بمجلة (المورد العراقية) بصورة مفصلة دقيقة [135]، كما أنجز بحثا مهما حول كتابه (معاني القرآن) نشر بالمجلة نفسها [136]. وقد اعتنى الجنابي بالمنهج الذي ارتضاه النحاس، وتميّز به في كتابه (**القطع والائتناف**)، فأشار إلى أنّه أعطى السياق القرآني ومعانيه صورة واحدة هي أفضل من سواها، وهذا السياق هو العلاقة النحوية و الرابطة اللغوية بين أجزاء الجملة القرآنية، ومالها من علاقة بالمعنى العام، فلا يقف القارئ إلاّ حيث يتم المعنى ويمكن أن تتصل أجزاء

الجملة، فإذا لم يراع القارئ ذلك فقصّر عن الوصول إلى موضع الوقف أو وصل حيث يجب أن يقف فتجاوز الموضع،فإنّه بذلك مجانب للمنطق النحوي، مجانف للصواب. (137)

والرأي الذي نركن إليه هو أنّ ما عند النحاس ت[338 هـ] توطئة لما عند الجرجاني ت[471 هـ]، ودور النحاس إنّما كان التمهيد لنظرية النظم في بعض جزئياتها أو تعليلاتها، فلما جاء الجرجاني كوّن نظرة كلية رائدة، جمعت فأوعت، وحصرت الفكرة بكلّ أبعادها و دلالتها ورسّت منهجها وأسلوبها وجزئياتها المرتبطة بالمنهج. (138)

وقد أكدّ الجنابي أنّ الغاية المتوخاة منها هي جعل النظرية آيلة إلى بلورة صورة للمفاضلة بين المعاني التي ينتظمها علم النحو. (139)

وأما كتاب (**المكتفي في الوقف و الابتداء**) فهو لأبي عمرو الداني ت[444 هـ] الذي أشاد به علما ومكانة ابن خلدون في (**المقدمة**) فقال بأنّه بلغ الغاية في علم القراءآت، وانتهت إليه رواياتها وأسانيدها، وتعدّدت تآليفه فيها

حتى اشتهر في الأمصار، وانتشر ذكره وسار.[140]

وقد أخذ أبو عمرو الداني عن السابقين، فصرّح بأنّه اقتضبه عن أقاويل المفسرين، وكتب القراء و النحويين، واجتهد في جمع شتاته، وتمييز صحيحه، وإيضاح مشكله، وحذف الزائد، واختصر وقرب المعاني ما استطاع إلى ذلك سبيلا .[141]

لقد حققه (جايد زيدان مخلف) وحصل به على شهادة الماجستير في الدراسات اللغوية من جامعة الأزهر بالقاهرة عام [1977م][142] ، وقد أثبت بما لا مجال فيه للشك بأنّه متأثر إلى حدّ كبير بكتاب النحاس الآنف الذكر، لكونه سابقا له في الزمان، وكون الداني لا يستنكف أن يذكر أنّه أخذه عن السابقين و لخصّه تلخيصا دقيقا جمع فيه شتات ما عندهم[143] ، وقد ألفه حين انتشرت كتب النحاس، وتداول أهل العلم كتابه فدار في الحلقات و المعاهد العلمية في مختلف أصقاع العالم الإسلامي، ولم تكن مكتبة أبي عمرو الداني لتخلو من سفر مهمّ مشهور كهذا الكتاب .

وأما كتاب (**منار الهدى في الوقف والابتداء**)، فهو كتاب من الأهمية بمكان، وقد جاء تأليفه في القرن الثاني عشر، حيث نضج هذا العلم واستوى على سوقه، وأهميته تكمن في أمرين أحدهما يتعلق بالمؤلف ، وثانيهما بالمضمون .

أمّا ما يتعلق بالمؤلف، فإنه نال مكانة مرموقة في العلم وحاول فيه أن يجمع الآراء التي تضمنها كمٌّ هائل من التآليف ذات الأهمية والقيمة فيما سبقه، من مثل كتب النحاس، وأبي زكريا الأنصاري، وابن الإمام وابن القطاع، وما عند اللغويين القدامى ممّا تزخر به المكتبة العربية، وفي هذا يقول محققه بأنّه خلاصة عامّة لأغلب الكتب التي سبقته، والتي ألفت في هذا المضمار، وذكر بأنّه ما زال يعتبر منذ قرن المرجع الجامع للوقف والابتداء، والموئل للتحقيق عند الاختلاف في نوع من أنواع الوقف، أو في موضع من مواضعه في القرآن الكريم، فيكون فاصلا مشفيا للغليل لكلّ من رامه او التجأ إليه من العلماء وطلبة العلم.(144)

وأما ما يتعلق بالمضمون فقد ذكر فيه باباً بعنوان (**فوائد مهمّة تحتاج إلى صرف الهمة**) ، أورد في هذا الباب فصولا حول ذكر الأئمة الذي اشتهر عنهم هذا الفن الجليل، وحول ماهية الوقف، وتنوع الوقوف، ومراتب الوقف، وذيل ذلك كله بجملة من التنبيهات حول اتباع ما رسم في المصحف العثماني قطعا ووصلا، وفي مختلف الأحوال المرسومة فيه .[145]

ومع تمكنه وخدمته للعلم الشريف، وإلمامه بهذا المبحث الهام فقد دبجّ في مقدمته ببيتين ينمان عن تواضعه الجمّ، إذ يقول فيهما :

يَا مَنْ غَدَا نَاظِرًا فِيْمَا كَتَبْتُ وَمَنْ * أَضْحَى يُرَدِّدُ فِيْمَا قُلْتُهُ النَّظَرَا

سَأَلْتُكَ اللهَ إِنْ عَايَنْتَ لِي خَطَأً * فَاسْتُرْ عَلَيَّ فَخَيرُ النَّاسِ مَنْ سَتَرَا [146]

أمّا في الدراسات الحديثة فإن الوقف القرآني قد تناوله الكثير من الدارسين ولكن في ميادين متغايرة، وكان المرتكز الهام في هذا المنحى هو تأثير الوقف في

سوق المعنى النحوي، وهو أمر كانت بذوره موجودة عند القدامى وخاصة عند النحاس ت[328 هـ] ، وأبي عمرو الداني ت[444هـ]، و أبي زكرياء الأنصاري ت[775 هـ]، ومكي بن أبي طالب ت[437 هـ] ، وابن الإمام ت[745 هـ].

ومن أهم المعاصرين الشيخ أحمد مالك حماد الفوتي الأزهري صاحب (**مفتاح الأمان في رسم القرآن**)، وهو مطبوع في السنغال بدكار وأعيد طبعه بالدار البيضاء بالمغرب عام [1975م]، وقد أوفى موضوع الوقف من حيث الرسم حقّه من التناول والبحث.[147]

كما يوجد كتاب هام لإبراهيم بن محمد المارغني التونسي بعنوان (**دليل الحيران على مورد الظمآن في فني الرسم والضبط**) وهو كتاب نفيس في هذا الفنّ، وصاحبه متمكن محيط بالموضوع وقد عالجه بدقة.[148]

كما أنجز عبد اللطيف فايز دريان بحثا بعنوان (**التبيين في أحكام تلاوة الكتاب المبين**) وتناول فيه بإسهاب

موضوع الوقف في القرآن الكريم و ما يتعلق به من أحكام متنوعة عند المفسرين وعلماء القراءة، فأسهب في الوقف على آخر الكلمة وأحواله، كالوقف بالروم والإشمام، وأنواع الكلمة التي يتوقف عليها من حيث كونها ساكنة سكونا أصلياً، أو منونة، أو تنتهي بهمزة أو حرف مشدّد، أو بتاء التأنيث، أو بهاء السكت، أو ميم الجمع، أو هاء التأنيث، أو هاء الكناية، وتناول أحوال إثبات حروف المدّ وحذفها عند الوقف، وما يترتب على الوقف على الهمزة والوصل وما إلى ذلك.[149]

ومن كتب المعاصرين التي تناولت الوقف كتاب حمد بن موسى البشرويني المسمى (**التوضيح لرواية ورش**). وقد عرّج دون إسهاب على المعنى الموضوع في أحوال الوقف التي رآها ضرورية للتناول والشرح والإيضاح [150] .

ونخلص في الأخير إلى أنّ موضوع الوقف من الأهمية بمكان، وأن العلماء قدماء ومحدثين يؤكدن أهميته وإنْ اختلف الزمان، وتباعدت الشقة بين الفترات

والأقطار التي برز فيها؛ وإنّ الزخم الكبير الذي يلحظ عند علماء العربية والقراء الكبار عبر العصور، من الذين كتبوا في الوقف، وما رسوه أداءً وتمثيلا في مواقعه المختلفة من القرآن الكريم، يعطينا صورة عن القيمة الكبيرة التي يولونها لهذا الباب باعتباره أحد مؤشرات الضمان لحفظ كتاب الله من كلّ تحريف أو لحن، وضبط المرسوم والمقروء ضبطا علميا، له مبرراته المنهجية، وأصوله التقعيدية التي لا منأى للقارئ المجيد عنها، حتى ينقل النّص بأمانة علمية متناهية في الدقة .

الهوامش :

1) انظر محمد بن سعيد الشريفي . (خطوط المصاحف) . ص:38 .

2) إبراهيم الأبياري . (تأريخ القرآن الكريم) . ص:150

3) انظر (خطوط المصاحف) . ص:62

4) انظر .(تأريخ القرآن الكريم). ص:153

5) المرجع السابق نفسه . ص:155

6) انظر (خطوط المصاحف) . ص:70 وما بعدها

7) محمد قبيصي. (تدوين القرآن الكريم) . ص:51،50 .

8) المرجع السابق نفسه . ص:51

9) سورة البقرة : الآية .78

10) انظر محمد بن سعيد الشريفي . (خطوط المصاحف) ، قد اعتمد فيها على دار الكتب و الوثائق المصرية بالقاهرة، والمتحف الإسلامي التركي، ومكتبة السليمانية، ومتحف طوب كابو، ومكتبة الجامعة التركية، وجميعها باستنطبول بتركيا، وكذلك متحف طشقند بأوزباكستان، والمكتبة الوطنية بباريس فرنسا، ومدريد بإسبانيا، والأسكوريال، والخزانة العامة بالرباط، والمكتبة الوطنية بتونس، ومثلها بالجزائر، ومكتبات خاصة أخرى، انظر من ص:08 و ما بعدها.

11) انظر (خطوط المصاحف) . نقلا عن المتحف التاريخي بطشقند. ص:62 . شكل [05].

12) المرجع نفسه. وهي تمثل الأشكال [7، 8، 9] في الصفحات 73، 75، 78 على التوالي .

13) المرجع نفسه. أخذ عن مصحف بالمتحف البريطاني . انظر ص: 87.

14) المرجع نفسه. أخذ عن مصحف بمكتبة شستري - دبلن . انظر ص: 91.

15) المرجع نفسه. مأخوذ عن دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة . ص: 103.

16) المرجع نفسه. مأخوذ من المكتبة الوطنية بباريس - فرنسا ، انظر ص: 110.

17) المرجع نفسه. أخذ عن مصحف بمكتبة شستري - دبلن . انظر ص: 119.

18) المرجع نفسه. مأخوذ عن دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة. انظر ص: 163 . الشكل [37].

19) المرجع نفسه. مصور عن مصحف بمكتبة شستري - دبلن . انظر ص: 113، 114.

20) المرجع نفسه. وجه ورقة من مصحف عبد الرحمن بن محمد مأخوذة من مصحف الصيرفي، مؤرخ في [744هـ] شكل[21]. انظر ص: 122.

21) المرجع نفسه. مصور عن مجموعة موريتز . ص: 88 . شكل [23]، انظر ص: 132.

22) المرجع نفسه. انظر الصفحات : 137، 139، 142، 146، 148، وهي الأشكال : [25]، [26]، [27]، [28]، [30]، [31] .

23) المرجع نفسه. عن المتحف الإسلامي التركي بإستنطبول. شكل :[38]. انظر ص: 166.

24) المرجع نفسه. مأخوذ عن دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة. انظر ص: 169 . الشكل [39].

25) المرجع نفسه. انظر ص: 171 .

26) المرجع نفسه. مصوّر عن دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة. انظر ص: 173 . الشكل [40].

27) المرجع نفسه. ص: 174، وكذلك محاضرة مطبوعة بعنوان (خطوط المصاحف الشريفة) لسعيد شريفي، ألقيت بملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر [1404هـ - 1984م] مأخوذ عن دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة. انظر ص: 163 . الشكل [37].

28) (خطوط المصاحف) . مصور عن المتحف الإسلامي التركي باستنبول . انظر ص: 188 . الشكل [44].

29) المرجع نفسه. ظهور ورقة مصورة عن دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة. انظر ص: 191 . الشكل [45].

30) المرجع نفسه. ص: 190 .

31) المرجع نفسه. مصور عن المكتبة الوطنية بالجزائر . ص: 194 . الشكل [46].

32) المرجع نفسه. ص: 193 .

33) المرجع نفسه. مصورة عن دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة. ص: 205 . الشكل [49]. و في نموذج آخر في ص : 221 مصور عن نفس الدار غير ظاهر الوقف، ص : 211، الشكل [51].

34) المرجع نفسه. مصورة عن المكتبة الوطنية بباريس، وهو ظهر الورقة : 349، ووجه الورقة : 350 . انظر الشكل [53]

35) المرجع نفسه. ص: 214 .

36) المرجع نفسه. مصور عن مكتبة السلطان أحمد الثالث باستنبول ، تركيا . ص: 217 ، الشكل [54] .

37) المرجع نفسه. مصورة عن المكتبة الوطنية بتونس. ص:222. انظر الشكل [56].

38) المرجع نفسه. نموذجان مصوران عن دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة. انظر الصفحتين : 224، 225.والشكلين[57]، [58] .

39) المرجع نفسه. ص: 223 .

40) المرجع نفسه. ص: 179 . الشكل [41]

41) المرجع نفسه. ص: 182 . الشكل [42]

42) المرجع نفسه. ص: 184 . الشكل [43]

43) المرجع نفسه. مصورة عن المكتبة الوطنية بباريس-فرنسا ، ص: 197. الشكل [47].

44) المرجع نفسه. مصوّر عن دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة. ص: 220 . الشكل [55].

45) المرجع نفسه. مصوّر من اسطنبول . نقلا عن مجلة (سومر)، مجلد 23 . ص: 228 . الشكل [59].

46) المرجع نفسه. ص: 245 .

47) المرجع نفسه. ص: 245 .

48) المرجع نفسه. مصورة عن المكتبة الوطنية بتونس. ص:248. الشكل [03].

49) المرجع نفسه. مصورة عن المكتبة الوطنية بتونس. ص:.250

50) المرجع نفسه. مصورة عن الخزانة العامة بالرباط . ص:.252

51) المرجع نفسه. مصورة عن المكتبة الوطنية بباريس-فرنسا . ص: 299. الشكل [18].

52) المرجع نفسه. مصورة عن المكتبة الوطنية بباريس-فرنسا . ص: 301. الشكل [19].

53) المرجع نفسه. مصورة عن الخزانة العامة بالرباط . ص:304. الشكل [20].

54) المرجع نفسه. عن الدار السابقة نفسها . ص:314. الشكل [22].

55) المرجع نفسه. مصورة عن نسخة بالمكتبة الوطنية بباريس-فرنسا . ص: 319. الشكل [24].

56) المرجع نفسه. مصورة عن نسخة بالمكتبة الوطنية بمدريد -إسبانيا . ص: 321. الشكل [25].

57) المرجع نفسه. مصورة عن المكتبة الوطنية بتونس. ص:336. الشكل [30].

58) المرجع نفسه. ص: 337.

59) المرجع نفسه. ورقتان مصورتان عن دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة. انظر الصفحتين : 260، 262 . والشكلين [7] و[8].

60) المرجع نفسه. ص: 265.

61) المرجع نفسه. مصورة عن نسخة بالخزانة العامة بالرباط - المغرب . ص:282. الشكل [14].

62) المرجع نفسه. مصورة عن الخزانة العامة بالرباط - المغرب . ص:327. الشكل [27].

63) المرجع نفسه. ص: 328.

64) المرجع نفسه. مصورة عن الخزانة العامة بالرباط - المغرب . ص:331. الشكل [28].

65) المرجع نفسه. ص: 332.

66) المرجع نفسه. مصورة عن المكتبة الوطنية بتونس. ص:267. الشكل [10].

67) المرجع نفسه. مصورة عن المكتبة السابقة نفسها . ص:273. الشكل [11].

68) المرجع نفسه. مصورة عن الخزانة نفسها . ص:276. الشكل [12].

69) المرجع نفسه. مصورة عن مجموعة بمكتبة خاصة لإحدى العائلات بمدينة المدية - الجزائر. ص:279. الشكل [13].

70) المرجع نفسه. مصورة عن نسخة بالخزانة العامة بالرباط - المغرب . ص:293. الشكل [16].

71) المرجع نفسه. مصورة عن الخزانة السابقة . ص:294. الشكل [17].

72) المرجع نفسه. مصورة عن الخزانة نفسها . ص:307. الشكل [21].

73) ابن كثير . (فضائل القرآن) . دار الأندلس ، بيروت [د.ت] . ص:29.

74) المقرئ . (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) .ج605/1 وما بعدها .

75) انظر عبد المجيد وافي . مجلة (منار الإسلام) . عدد 1 السنة 5 . 1400هـ -1979م . كذلك محمد المنوني . بحث بعنوان (المصحف الشريف بالمغرب). مجلة معهد المخطوطات المغربية . مجلد 15. ج1 سنة 1969. ومخطوطات لمصاحف قديمة بمدينة الأغواط .

76) عبد اللطيف فايز دريان . (التبيين) .ص: 565.

77) المرجع السابق نفسه. ص: 565.

78) ذكر له عبد الله كنون مؤلفات منها : (الإشادة بمعرفة مدلول الشهادة) ، و (ألفية في النصح والإرشاد)، و(نظم باب العدة).

79) عبد الله كنون . (النبوغ المغربي في الأدب العربي) . المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت . ط2. 1961. ج251/1، 252

80) محمد سعيد شريفي .(خطوط المصاحف) . ص: 308.

81) عبد المجيد وافي. مقال : (الذكر الحكيم و أربعة عشر قرنا من الزمان).مجلة منار الإسلام عدد 1 السنة 5 . 1400هـ -نوفمبر 1979، عدد خاص . ص: 62.

82) التعانق هو المراقبة وأول من نبه على المراقبة في الوقف، أبو الفضل الرازي ، أخذها من المراقبة في العروض، وتكون عروض المضارع والمقتضب، وهو أن يكون الجزء مرة "مفاعيل"ومرة "مفاعيلن" ، انظر السيوطي (الإتقان في علوم القرآن) ج241/1

83) الأشموني .(منار الهدى في بيان الوقف والإبتداء) ذكر أنه « مخطوط في خزانة القرويين بفاس، تحت رقم : 1054كتب، سنة [542 هـ] » . ص: 05

84) قال ناشر (منار الهدى) : «له كتاب الاقتداء (الاقتضاء) في معرفة الوقف والابتداء، مخطوط،

بمكتبة الأزهر ، رقمه (122) .10989كتب . سنة 1126» ، انظر (منار الهدى) . ص:07..

85) المصدر نفسه . ص: 07

86) ابن الجزري . (غاية النهاية في طبقات القراء). نشر : ج.برجستراسر، دار الكتب العلمية -بيروت. ط3 ، 1402هـ، 1983م. ج1/.503

87) السخاوي . (جمال القراء وكمال الإقراء) . تحقيق عبد الحكيم الزبيري. دار البلاغة. ط1، 1413هـ ، 1993م ، بيروت لبنان. ج337/2 وما بعدها.

88) ابن الجزري . (النشر في القراءات العشر). ج224/1

89) ابن الجزري . (غاية النهاية في طبقات القراء). ج2/.157

90) قال في مقدمة (منار الهدى) :« وله كتاب أوقاف القرآن مخطوط بمكتبة الصائغ بالموصل، رقم 191، والمكتبة المحمدية بالجامع الزيواني بالموصل، رقم 219/420 ، ومكتبة النبي شيث بالموصل، رقم 154» . ص:08.

91) عادل نويهض . (معجم المفسرين). ج1/145-.146

92) حققه محي الدين عبد الرحمن رمضان عام 1971 برعاية مجمع اللغة العربية بدمشق. وانظر المقري (نفح الطِيْب)، ج2/.508

93) الأشموني . (منار الهدى) ذكر أنه مخطوط بدار التربية الإسلامية ببغداد، ومكتبة عباس حلمي القصاب رقم 11. (المقدمة) ص:.08

94) نفسه . ص:08

95) رسالة حققها حسين نصّار. ونشرت لمجلة كلية الشريعة ببغداد، العدد 3 سنة 1967 الصفحات من 67 إلى 133.

96) انظر السخاوي (جمال القراء) . ج/352.

97) أحمد نصيف الجنابي . مقال (أهمية كتاب القطع والائتناف) . مجلة المورد . مجلد 8 عدد2، ص : 52 .

98) الزركشي (البرهان في علوم القرآن) . ج1/.342

99) اختصره شيخ الاسلام أبو يحي زكرياء الانصاري بعنوان (المقصد لما في المرشد) طبع في بولاق في 1280هـ وبمصر في 1305هـ، كما طبعته دار المصحف دمشق.

100) عبد اللطيف فايز دريان.(التبيين). ص:.675

101) ابن الجزري .(غاية النهاية) ترجم له ولم يذكر له تأليفا في الوقف، انظر ج320/1، ولكن الجنابي ذكر أنّه ت[500 هـ] ذكره في كتاب (الإيضاح) في القراءات انظر مقاله في مجلد المورد مجلد عدد 02، ص:.50

102) ابن الجزري .(غاية النهاية). ج1/.352

103) حققه جايد زيدان مخلف في رسالة ماجستير. وطبع على نفقة وزارة الأوقاف العراقية.

104) طبع بدار المصحف بدمشق دون تحقيق، وذلك عام 1403هـ ، 1983م.

105) ذكر ناشر الأشموني أنه مخطوط بالأزهر، تحت رقم : 1283بنيت، 43671كتب ، عام 1283هـ ، (منار الهدى) ص:.08

106) المقري ت[1041 هـ]، (نفح الطيب) ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، 1388هـ-1968م.

107) ابن النديم . (الفهرست) ، ص: 175.

108) نفسه . ص: 175.

109) نفسه . ص: 174، 175.

110) انظر المرجع نفسه . ص:175، كذلك (غاية النهاية) حيث ترجم له ولم يذكر له تأليفاً في الوقف .

111) انظر المرجع نفسه . ص:175، لم يذكر له صاحب (غاية النهاية) تأليفا في الوقف، ولكنه قال : «كان من الأئمة الحذاق ولاسيما في رسم المصحف وله تأليف » ج341/2.

112) أحمد نصيف الجنابي . مقال (أهمية كتاب القطع والائتناف النحاس وأثره) مجلة المورد، مجلد 8. عدد 2. 1399هـ ، 1979، ص: 50 .

113) ابن النديم . (الفهرست) ، ص: 173.

114) قال ناشر (منار الهدى) : « له كتاب الوقف والابتداء ، رواه الخطيب البغدادي»، (المقدمة) ص:05. وترجم له صاحب (غاية النهاية) ولم يشر إلى الكتاب المذكور، انظر ج1/.288

115) ابن النديم . (الفهرست) ، ص: 146.

116) الزركلي خير الدين . (الأعلام) . ج6/.271

117) انظر ابن النديم . (الفهرست) ، ص: 173.
قال أحمد ديرة : «ذكره ابن خلكان و القفطي و البغدادي»، وهو من الكتب المفقودة »، انظر (دراسة في النحو الكوفي) له ، دار قتيبة دمشق ، ط1. 1991م . ص:98
118) المصدر نفسه : 173.
119) نفسه : 173.
120) نفسه : 316.
121) نفسه : 173.
122) نفسه : 334.
123) نفسه : 173.
124) نفسه : 173.
125) نفسه : 173.
126) ذكر ناشر (منار الهدى) أنه مخطوط في مكتبة شهيد علي باشا الملحقة بالمكتبة السليمانية بتركيا، رقم 31 (62 ورقة) كتب سنة [60هـ] ، انظر (منار الهدى)، ص:07.
127) ابن النديم . (الفهرست) ، ص: 146.
128) نفسه : 282.
129) نفسه : 95.
130) عادل نويهض (معجم المفسرين).ج612/2، 613.
131) ابن الجزري . (غاية النهاية في طبقات القراء). ج157/2. وكذلك (منار الهدى) ، [المقدمة، ص:08]
132) نفسه، ج331/1.
133) ابن النديم . (الفهرست) ، ص: 38.

134) انظر أحمد نصيف الجنابي . مقال : (نظرية النظم النحوي) . مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق. ج1/.24

135) مجلة المورد ، مجلد 6. العدد 2. صادرة في 1397هـ/1977م . بغداد - العراق .

136) مجلة نفسها ، مجلد 6. العدد 2. صادرة في 1397هـ/1977م . بغداد- العراق .

137) انظر أحمد نصيف الجنابي . مقال : (نظرية النظم النحوي) . مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق. ج1/مجلد 53 ، ص:.30

138) انظر المرجع نفسه : ص:.31

139) انظر الجرجاني . (دلائل الإعجاز)، ص:.35

140) انظر ابن خلدون. (المقدمة) ، ص: .531

141) انظر (المكتفي في الوقف و الابتداء) . ص: 101.

142) انظر مختار بوعناني ، (مجلة اللغة والأدب) ، جامعة الجزائر ، عدد 6. 1415هـ/1995م، ص:.127

143) انظر الجنابي . مقال : (أهمية كتاب القطع والائتناف وأثره) . مجلة المورد ، مجلد 8، عدد 2، ص:.49

144) انظر الأشموني . (منار الهدى) . [المقدمة . ص:08] .

145) نفسه . ص:08 و ما بعدها.

146) نفسه . ص:.04

147) انظر (مفتاح الأمان في رسم القرآن)، الدار السنغالية - دكار، ودار الكتب . الدار البيضاء - المغرب 1395هـ/1975م.

148) انظر (دليل الحيران) ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1415هـ / 1995م .

149) انظر (التبيين) . دار المعرفة. بيروت - لبنان . ط1 . 1420هـ/1999م. ص:361 وما بعدها.

150) انظر (التوضيح في رواية ورش) . مطبعة غرداية - الجزائر.

دلالة التناص في القرآن الكريم:
(دراسة تطبيقية)

د. عرابي أحمد

ملخص البحث:

إن البحث في كتاب الله تعالى، و فهم مقاصده التي جاءت لهداية الناس إلى ما فيه صلاح حالهم في دنياهم و آخرتهم، يتطلب التدبر في دلالة ألفاظه لتحديد مقصدية صاحب هذا الخطاب؛ إنه أُمر كلّف به العلماء و الباحثون، و يجب أن لا يكون هذا التدبّر مخالفا لما جاء به القرآن، من عقائد صحيحة و ما حثّ عليه من أخلاق فاضلة، و البحث المطلوب هو ما يُوصل إلى الغاية الشريفة، و كل ذلك مرتبط بالبحث بدلالة الألفاظ و التراكيب و السياقات التي من خلالها يُوقف على المقاصد.

و قد يُؤدي هذا التأمل في الخطاب القرآني إلى التعدد في دلالته على

المعنى، و يتعلق الأمر فيما يدل عليه الكلام، من ظاهر و باطن، فقد يُسمع اللفظ أو يُقرأ فيتبادر منه إلى ذهن السامع أو القارئ بحسب الوضع اللغوي، فإذا تدبّره و تأمله فُهم منه مقاصد خفية و أغراضا مطويّة و هذا الخفي قد يُختلف فيه، و لا يُدرك إلا بشيء من الجهد و البحث، و هذا ما نحاول بسط المعنى فيه تحت مفهوم (دلالة التناص في القرآن).

مفهوم التناص:

عُرّف التناص اصطلاحا بأنه: "الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص -أو الأجزاء- من نصوص سابقة عليها"(1).

و عُرّف هذا المفهوم أيضا بأنه: "تفاعل النص في نص بعينه"(2).

و من أصناف التناص مايلي:

1. **الإستشهاد:** و هو الشكل الصريح للتناص، و هذا المفهوم ينطبق على علوم القرآن الكريم كالعام و الخاص و المقيد ... إلخ.

2. النصيّة الواسعة:

و هي علاقة النص الأصلي الأول أو السابق أو القديم و النص الواسع عليه (الجديد)، ويرتبط هذا بمصطلح الناسخ و المنسوخ في القرآن الكريم و الكتب السماوية الأخرى و الكتاب والسنّة ... إلخ.

و تعتمد دلالة التناص على إلغاء الحدود بين النص و النصوص الأخرى أو الواقع أو الشخصيات، فيصبح النص المركزي المتحدّث عنه غنيا بالمعاني و الدلالات.

و بالنسبة لدلالة التناص في الخطاب القرآني، هو أن يكون نص ما قرينة بتحديد المعنى في نص آخر، وهو بمثابة القرينة الدالة على ترجيح المعنى على غيره، و لعل هذا ما جعل إمام الحرمين **الجويني** يقول: "إن القرآن الكريم يعتبر نصا واحدا من فاتحته إلى خاتمته"، و هو ما ذهب إليه العلماء أن القرآن يفسر بعضه بعضا.

و أريد توضيح هذه الفكرة اعتمادا على دراسة تطبيقية على مجموعة من الآيات الكريمات على ضوء النقاط الآتية:

1. دلالة التناص و المجاز.
2. دلالة التناص و السياق.
3. دلالة التناص بين الإطلاق و التقييد.

1. دلالة التناص و المجاز :

المجاز هو ما اتفق في اللفظ واختلف في المعنى، وقد عرفه الشوكاني (1250هـ) بأنه: "اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر وضعا أولا"[3]، وقال عنه أيضا: "هو كل لفظ احتمل معنى من المعاني المختلفة أو اسما من الأسماء على اختلاف المعاني على وجه لا يثبت إلا واحد في الجملة مراد به".[4]

ومن أمثلته في النصوص الشرعية قوله تعالى: **وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ**... الآية] .[5] قالوا في قوله: " وإنه لفسق "اشتركت بين كونها للحال أوالإستثناء، فقد رجح الشافعية ومالك

كون الواو للحال، ورأوا أن النهي إنما على الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها، والحال بأنها فسق أي أهل عليها غير اسم الله، كالذبيحة للصنم، ولذا قالوا إنما هو عن الذبيحة التي لم يذكر عليها اسم الله مطلقا، سواء ذكر غيره من الأصنام أولم يذكر، وعلى هذا فمتروك التسمية عمدا حرام أكله". (6)

قد يختلف الناس: هل اللفظ الوارد في النص على الحقيقة أم على المجاز؟ومن ذلك-مثلا- قوله تعالى:[... **أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ**... الآية]. (7) فلفظ اللمس في الآية يحتمل اللمس باليد، ويكون مرة كناية عن الجماع فمن أخذ على ظاهره قال بأن اللمس من مفسدات الوضوء، ومن أدخله في المجاز وهو بمعنى الجماع، فعنده أن اللمس ليس من مفسدات الوضوء:" قال الهراسي:" حمله قوم على الجماع وقوم على الجس باليد فأما قراءة اللمس فظاهرة في الجس والملامسة، من حيث إنها على صنيعة المفاعلة ". (8) لأن في الآية الأولى قراءتين،

(لمستم)، والثانية: (لامستم)، ففي القراءة الثانية اقتضت الصيغة الصرفية للفعل المشاركة لأنه على وزن (فَاعَلَ)، فهذه قرينة تدل على معنى الجماع لأن الملامسة إذا وقعت من إثنين ترجع إلى معنى الجماع.

رد ابن العربي دلالة هذه الصيغة على معنى الجماع، باحتكامه إلى دلالة السياق، حيث قال:" ...وأن قوله: (أولامستم) أفاد اللمس والقبل، فصارت ثلاث جمل لثلاثة أحكام، وهذه غاية في العلم والإعلام، ولوكان المراد باللمس الجماع، لكان تكرارا وكلام الحكيم يتنزه عنه...".(9)

وهذا أصل من الأصول التي أشرنا إليها سابقا، ومنها الأخذ "بالأحوط"، وترجيح العام على الخاص وسد باب الذريعة وكل هذه القواعد لها أثر في ترجيح أحد التأويلات في النص نفسه. فاللغة العربية هي لغة القرآن، وبها نزل، وهي أيضا لغة السنة التي جاءت مبينة، له ،وألفاظ اللغة العربية ذات

دلالات متنوعة، ومنها ظاهرة المشترك اللفظي، وهو لفظ "وضع لمعنى، ثم وضع لغيره"[10]، وقد ورد في كلام العرب وفي القرآن الكريم، فمن القرآن قوله تعالى: **إِنَّ ٱللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**].[11]

فالآية يستدل بها على جواز استعمال اللفظ المشترك في معنيين، فإن الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار، وأن الله أراد في كلامه المعنيين."وإذا وقع المشترك في الكلام البليغ فلا بد أن يقع معه من القرائن اللفظية أو الحالية ما يدل على المراد منه، وإلا كان استعماله مخلا بالإبانة، لأن الكلام حينئذ يكون مهملا للجهل بمعناه".[12] إلا أن هذه القرائن قد يقع فيها الإختلاف بين المؤولين، ولو أخذنا على سبيل المثال قوله تعالى:**وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ...** الآية][13] "فقد اختلف في دلالة لفظ "نكح" الوارد في الآية هل هو حقيقة في الوطء أم في العقد، فمن قال: إن المراد به الوطء

حرم من وطئت ولو بزنى، ومن قال: إن المراد به العقد، لم يحرم الزنى الزواج، ومن مسائل الفروع التي اختلف فيها سبب دلالة هذا اللفظ على الاشتراك اختلافهم في وطء أم الزوجة في الزنى، هل يحرم على الواطئ الزواج بابنتها؟ ونتيجة لتحديد الدلالة يترتب الحكم الفقهي، فبعضهم حلل وبعضهم حرم. وكل من يذهب إلى ترجيح أحد الحكمين لا بد أن يستدل بمرجحات ليثبت بها ما يراه، وقد تكون هذه الأدلة إما داخلية متعلقة بالنص أو خارجية عنه.فقد رجح الرازي دلالة اللفظ على الوطء بأدلة خارجية حيث قال:

1-"(فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره) أضاف النكاح إلى الزوج والنكاح المضاف إلى الزوج هو الوطء لا العقد، لأن الإنسان لا يمكنه أن يتزوج بزوجة نفسها لأنه لو كان المراد بالنكاح في هذه الآية العقد، لوجب أن يحصل تحليل العقد وحيث لم يحصل علمنا أن المراد من النكاح في هذه الآية ليس العقد". (14)

2-قال الرازي: "(الثاني): قوله تعالى:[**وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ**... الآية] (15)، والمراد بالنكاح هاهنا الوطء لا العقد، لأن أهلية العقد كانت حاصلة أبدا". (16)

3-"قوله تعالى:[**الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ** ... الآية] (17) "فلو كان المراد ههنا العقد لزم الكذب". (18)

4-قوله -عليه الصلاة والسلام-:"ناكح اليد ملعون"، ومعلوم أن المراد ليس هو العقد بل هو الوطء، فثبت بهذه الوجوه أن النكاح عبارة عن الوطء، فلزم أن يكون قوله تعالى:[ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم] أي ولا تنكحوا ما وطئهن أباؤكم، وهذا يدخل فيه المنكوحة والمزنية...". (19)

واحتج الرازي بدلالة لفظ:نكح" على العقد بأدلة ذكرها منها قوله:

1-"من قوله-عليه الصلاة والسلام-:"النكاح سنتي" ولا شك في أن الوطء من حيث كونه وطئا ليس سنة له، وإلا لزم أن

يكون الوطء بالسفاح سنة له، فثبت أن النكاح سنة، وثبت أن الوطء ليس سنة، ثبت أن النكاح ليس عبارة عن الوطء...". [20]

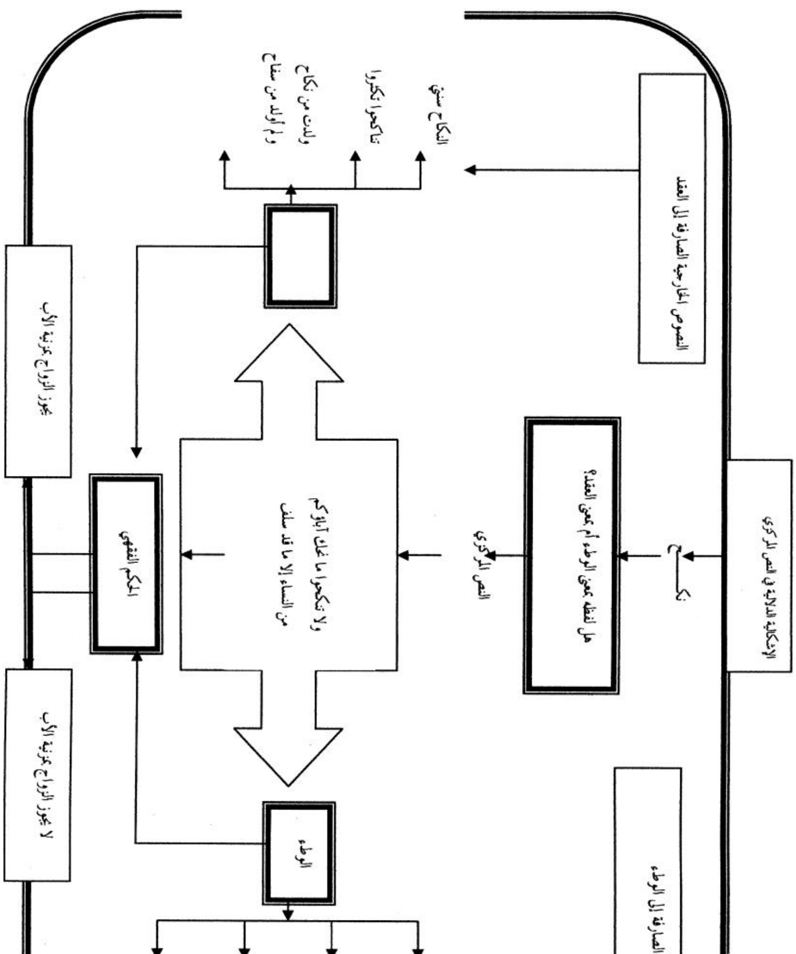
2-"...كذلك التمسك بقوله عليه الصلاة والسلام:"تناكحوا تكثروا"، ولو كان الوطء مسمى بالنكاح، لكان إذنا في مطلق الوطء". [21]

3-"...قوله -عليه الصلاة والسلام-:"ولدت من نكاح ولم أولد من سفاح" أثبت نفسه مولودا من النكاح، وغير مولود من السفاح، وهذا يقتضي ألا يكون السفاح نكاحا، والسفاح وطء فهذا يقتضي أن لا يكون الوطء نكاحا". [22]

واستدل الرازي ـوهو أشعري ـ(606هـ) في المنهج الذي سار عليه، أي أنه على دلالة اللفظ، بالنظر إلى جميع النصوص التي تدور في الموضع نفسه أو المعنى، ومراعاة السياقات التي يدور فيها اللفظ، والغرض من ذلك هو استخلاص الرأي الصائب، إلا أن هناك قضية هامة يجب

الإشارة إليها وهي أن اللفظ المشترك قد يرجح في النص على معنى معين، ثم يرجح في نص على معنى آخر، واللفظ ينطبق على هذا المعنى أو ذاك، والسياق اللغوي يجب أن يكون له إعتباره في كل نص.

ومجمل القول، إن هذه المعالجة للدلالة المشتركة على المعنى المرجح يمكن أن نسميه بالدلالة: "النصوصية"[23]، ومفهومها أن تكون كل مجموعة من النصوص قرائن للنص المركزي، وتقابلها في الرأي الثاني أيضا نصوص كقرائن صارفة. والمخططة التالية توضح وتلخص الآراء المتباينة السابقة:


الإشكالية الدلالية في النص المركزي
نكح
هل اللفظ يعني الوطء أم يعني العقد؟
النص المركزي
النصوص الخارجية السابقة إلى العقد
النكاح سنتي
تناكحوا تكثروا
ولدت من نكاح ولم أولد من سفاح
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف
الحكم الفقهي
يجوز الزواج من زوجة الأب
لا يجوز الزواج من زوجة الأب
الوطء
السابقة إلى الوطء

2. دلالة التناص و السياق:

يمكن أن يكون تعريف (أستيفن أولمان) للسياق من أهم وأوضح التعاريف الحديثة للسياق، فقد ذكره في كتابه دور الكلمة في اللغة حيث قال:" كلمة السياق (CONTEX) قد استعملت حديثا في عدة معان مختلفة، والمعنى الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي أي :" النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم" بأوسع معاني هذه العبارة. إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل - لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل والقطعة كلها،

والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه -كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق به الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن". [24]

وهذا المفهوم لا يبتعد كثيرا عن مفهوم علمائنا الأقدمين, وتحدث الزركشي عن دلالة السياق وبين أهميته في ضبط الدلالات فقال:"...دلالة السياق، فإنها ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته، وانظر إلى قوله تعالى:[**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**] [25] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير". [26]

إلا أن هؤلاء العلماء لم يناقشوا مفهوم نظرية السياق كنظرية لها أصول وقواعد، وإنما مارسوها من الناحية التطبيقية، وخاصة على نصوص القرآن

الكريم. فقد أشار الشاطبي إلى ذلك عندماتعرض إلى دلالة اللفظ بين العموم والخصوص فقال:" فالحاصل أن العموم إنما يعتبر بالاستعمال، ووجوه الاستعمال كثيرة, ولكن ضابطها مقتضيات الأحوال التي هي ملاك البيان وإن قوله تعالى: **[تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا... الآية]**، [27] لم يقصد بها أنها تدمر السموات والأرض والجبال ولا المياه ولا غيرها مما هو في معناها....". [28]

ومقتضيات الأحوال ما هي إلا القرائن المقيدة لدلالة النص، وهي هنا القرائن العقلية وتسمى" المخصصات "العقلية والنقلية"."...وكل تخصيص لابد له من مخصص عقلي أونقلي أو غيرهما، وهو مراد للأصوليين..." . [29]

وقد طبق الشاطبي دلالة اللفظ من خلال السياق بالقرائن المنفصلة، والمتصلة وناقشها تحت عنوان المعنى المراد بحسب السياق فقال:" ومثال ذلك أنه نزل قوله تعالى:[**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ... الآية]** [30] الآية, فقال عليه الصلاة

والسلام - أنه ليس بذاك، ألا تسمع إلى قول لقمان: [**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**][31] وفي رواية فنزلت: "إن الشرك لظلم عظيم". وهذا ربط لدلالة لفظ الشرك الوارد في هذا النص بنص آخر في سورة أخرى، وهو ربط بين السياق بالكتاب كله: كما أشار إلى ذلك أستيفن في النص السابق.

وقال الشاطبي معلقا وشارحا: "...وقد فهموا فيها مقتضى اللفظ، و بادرت أفهامهم فيه, وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم, ولولا أن الاعتبار عندهم ما وضع له اللفظ في الأصل لم يقع منهم فهمه".[32]

ويعني هذا أن فهم اللفظ حسب ما وضع له من المعنى قد لا يؤدي إلى المعنى المقصود إذا لم يربط بالسياق.

ولهذا شرح الشاطبي هذه الآية باعتبار دلالة السياق لا باعتبار المعنى الأصلي فقال: "فأما قوله تعالى: [**الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ...الآية**].[33] فإن سياق الكلام يدل على أن المراد بالظلم

أنواع الشرك على الخصوص، فإن السورة من أولها إلى آخرها مقررة لقواعد التوحيد، وهادمة لقواعد الشرك وما يليه...".[34] وهذا منه نظر في دلالة اللفظ نظرا غير مستقل عما سبقه وعما لحقه، سواء ضمن السورة أم ضمن الكتاب كله. وهو ما يقتضيه مفهوم السياق قديما وحديثا.

ومن خلال هذه الأمثلة تحدد دور السياق، وتحويله لدلالة اللفظ الأصلية لا إلى دلالة ثانوية، تحددها مقصدية المتكلم وما يريده من خطابه، قال الشاطبي في ذلك:" والقاعدة في الأصول العربية؛ أن الأصل الاستعمالي إذا عارض الأصل القياسي كان الحكم للإستعمالي".[35]

ولاشك أنه يقصد بالحكم الاستعمالي دلالة الألفاظ والتراكيب، من خلال السياق، إلا على ما تدل عليه أصلا، ومثل لذلك بقوله:" كما تقول: فلان يملك المشرق والمغرب والمراد جميع الأرض...".[36]

وهذا الفهم احتج به ابن الزبعرى على- النبي صلى الله عليه وسلم-. قال

الشاطبي: "فقد أجاب بعض الناس عن اعتراض ابن الزبعري فيها بجهله بموقعها، وصاروا في الموضع أن النبي -صلى الله عليه وسلم -قال له: " ما أجهلك بلغة قومك يا غلام؟ لأنه جاء في الآية: إنكم وما تعبدون"و"ما" لما لا يعقل، فكيف تشمل الملائكة والمسيح، والذي على أصل مسألتنا أن الخطاب ظاهره أنه لكفار قريش ولم يكونوا يعبدون الملائكة ولا المسيح، وإنما كانوا يعبدون الأصنام التي كانوا يعبدون فلم يدخل في العموم الاستعمالي غير ذلك، فكان اعتراض المعترض جهلا منه بالسياق، وغفلة مما قصد في الآيات وما روي من قوله: ما أجهلك بلغة قومك يا غلام؟ دليل على عدم تمكنه من فهم المقاصد العربية وإن كان من العرب، لحداثته وغلبة الهوى عليه في الاعتراض أن يتأمل مساق الكلام حتى يهتدي للمعنى المراد، ونزل قوله: [**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**][37] بيانا لجهله" .[38]

احتج بدلالة اللفظ "ما" وهي لغير العاقل والمسيح والملائكة عاقل لا تدخل

عليهم "ما" وهو إخراج بدلالة اللفظ والحجة الثانية وهي دلالة السياق أوالمساق أومقاصد العربية كما سماها الشاطبي، ويقابلها مقام الحال وهو أن الآية تتحدث عن عبادة الأصنام التي عبدها العرب.

ويقع تعارض معين بين دلالة اللفظ على الأصل ودلالة السياق، فيحدث الخلاف الذي قد يؤدي إلى ما يمكن أن تسميه بالجدل الدلالي بين اللفظ ودلالة السياق، والإشكالية تتمثل في "أن العرب حملت الألفاظ على عمومها الإفرادي، مع أن سياق الاستعمال يقتضي خلاف ما فهموا..." (39) ومثل الشاطبي بمجموعة من النصوص منها قوله تعالى:[**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى** ... الآية] .(40) قال :"... فإنها نزلت فيمن ارتد عن الاسلام، بدليل قوله تعالى: [**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**... الآية] .(41) ثم إن عامة العلماء استدلوا بها، على كون الاجماع حجة وإن مخالفه عاص، وعلى أن الابتداع في الدين مذموم، ومثله قوله تعالى:[...**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ**

بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ... الآية] (42) مع أنها نزلت في اليهود، والسياق يدل على ذلك، ثم إن العلماء عمموا بها غير الكفار، و قالوا كفر دون كفر". (43)

و يكون هذا الفهم للنصوص، هو إدخال لم يعنه النص من باب الإحتياط في الدلالة، وخوفا أن يقع المؤمن بما وصف الكفار به، وهو ما يسمى بالمعنى الزائد على دلالة اللفظ أو دلالة السياق.

لم يكن بين المسلمين اختلاف في مفهوم التأويل، إلا حين هبت ريح الفلسفة اليونانية التي نقلت إلى العربية فتمسك بها أصحاب الفرق، ونبتت بينهم نابتة علم الكلام الذي من أظهر سماته علم التأويل، ولكي نثبت ما صدر من حكم على تلك العلاقة بين الكلام والتأويل نسوق مناظرة وقعت بين واصل بن عطاء وعمر بن عبيد، قال واصل: "لم قلتم من أتى كبيرة من أهل القبلة استحق اسم النفاق؟ لقد وطنت دلالة التناص عن طريق التناص القرآني في الاستدلال بها على بعض المصطلحات العقائدية وتثبيت

وجهات النظر التي لها علاقة بالعقيدة، وعن ذلك -مثلا- تلك المناظرة التي وقعت بين واصل ابن عطاء وعمر بن عبيد... فقال تعالى:[**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**]. (44) فكان كل فاسق منافقا، إذا كانت ألف المعرفة ولامها موجودتين في الفاسق قال واصل: أليس وجدت الله تعالى يقول: [...**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**] . (45)

وأجمع أهل العلم على أن صاحب الكبيرة من أهل القبلة استحق اسم ظالم، كما استحق اسم فاسق أفلا كفرتم صاحب الكبيرة من أهل القبلة بقوله تعالى: [...**وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**] (46)، فعرف بألف ولام التعريف في قوله: **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ... الآية] (47) كما قال في القاذف [...**فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**] (48) فسميته منافقا لقوله تعالى:[...**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**] (49) ثم قال:"يا أبا عثمان أيهما أولى أن

نستعمل في المحدثين من أمتنا ما اتفق عليه أهل الفرق من أهل القبلة. أم ما اختلفوا فيه؟ فقال عمرو:"بل ما اتفقوا عليه أولى، فقال واصل:" ألست تجد أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقا والحسن يسميه منافقا فاسقا والمرجئة تسمية مؤمنا فاسقا، فالواجب أن يسمى بالإسم الذي اتفق المختلفون عليه وهو الفسق ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التي اختلفوا فيها، فهذا أشبه بأهل الدين، فقال عمرو: ما بيني وبين الحق عداوة، والقول قولك، فليشهد علي من حضر أني تارك للمذهب الذي كنت عليه، أو أذهب إليه قائلا بقول أبي حذيفة، وأني قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب". (50)

فرد النصوص بعضها إلى بعض كقرائن مساعدة على تحديد المعنى أو الحكم، هو من أصل التأويل في القرآن الكريم، وهذا ما فعله واصل بن عطاء في هذه المناظرة، ومن هنا كان السياق أهم آلية من آليات التاويل التي وظفها علماء الشريعة في البحث عن معاني النصوص ومقاصدها،

وربطوا هذه الآليات. وأسسوها على الأدلة العقلية والقواعد الأصولية، وكان الغرض من ذلك في الحقيقة أن يأخذوا على عاتقهم الدفاع عن الإسلام، عقيدة وشريعة أمام خصوم الإسلام، وهؤلاء الخصوم كانوا يعتمدون الفلسفة أساسا لتهديم الدين. وهذه الفلسفة أساسها العقل،فأراد علماء الشريعة أن يستعملوا السلاح نفسه فحاولوا إزاحة الحواجز الفكرية ورد الشبهات الإيمانية عن طريق عرض العقيدة الإسلامية عرضا ملفتا للنظر.

وكانت حجتهم في نهجهم هذا المسلك: أن معرفة الله واجبة بالنظر دون غيره وهو ما كان يراه الأشاعرة والمعتزلة، إلا أن حصر معرفة الله في النظر تضييق على عباد الله، وحصر للطريق إليه، بل أن يعلم وجوده كخالق، ومديرا لهذا الكون، تكون بالفطرة ضرورة، أما دعوة القرآن الناس إلى النظر فهذا موجه إلى الجاحدين والمتكبرين، لكي يعرفوه ويعترفوا به، فلا شك أن النظر واجب على هؤلاء، وهو النظر الفطري وإلا فهو تكليف لتكثير من الناس بما

لا يطيقونه، وخاصة إذا كان النظر بالمفهوم الذي يراه المتكلمون في الاستدلال على الله.

يعتمد علماء الشريعة والتأويل على العقل في إثبات العقائد، بالإضافة إلى ذلك اتخذوا من القرآن سندا، حتى لا يذهب بهم الشطط بعيدا إلى الخروج عن جادة القرآن الكريم، وهو مايسمى بـ"القرائن اللغوية"، ويعتمد على النصوص القرآنية. وهم يرون أن الجمع بين الأقيسة العقلية والتأويل جائز إن لم يكن واجبا، شريطة ألا يخالف نصا في الدين أو أصلا من أصوله، بل يجب أن يؤيده، وهذا هو الغرض الذي من أجله استخدم التأويل، واعتمادهم على أن الشريعة معقولة المعنى ولها أصول يرجع إليها، ولاقتناعهم بذلك لم يحجموا عن تأويل النصوص على أساس القرائن اللفظية أوالمعنوية في النص نفسه.

ولتوضيح هذا الاتجاه نسوق المثال التالي من خلال قوله تعالى:[**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ**

اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ]. (51)

والمسألة التي يثيرها النص القرآني هي: هل المؤمنون يرون ربهم في الآخر أم لا؟ فالذين ينفون الرؤية تأولوا النص، واستدلوا على ما فيه من قرائن، ثم دعموا وجهة نظرهم تلك بقرائن خارجية، وهي نصوص أخرى أو أصول اتفقوا عليها وهو ما فعله من يخالفهم في ذلك، وكل فريق يوظف الأدلة السياقية في تأويل الآية.

فقد استدل النافون للرؤية بالقرائن الآتية:

1-"أن موسى -عليه السلام- لما أفاق قال: "سبحانك"، وهذه الكلمة للتنزيه، فوجب أن يكون المراد منه تنزيه الله تعالى عما تقدم ذكره والذي تقدم ذكره رؤية الله تعالى(...) فثبت بهذا أن الرؤية على الله ممتنعة" (52) والقرينة اللفظية المعتمدة في ذلك هي لفظ "سبحانك".

2-و"أنه لما أفاق قال:" تبت إليك"، ولولا أن طلب الرؤية ذنب لماتاب منه، ولولا أنه ذنب ينافي الإسلام لما قال:وأنا أول المؤمنين"[53].والقرينة المعتمدة هنا هي لفظ "تبث".

3-"ما نقل عن أهل اللغة أن كلمة (لن) للتأبيد... ".[54]

فلن تنفي في الإستقبال المؤبد، فيكون نفيها دائما في الدنيا والآخرة.

4-و"أنه تعالى نفاها عن موسى كليمه ومتى ما نفاها عن كليمه فغيره أحق بنفيها عنه".[55]

5- و"منها قوله تعالى:[**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ** ...الآية][56] لأنه نفى إدراك الأبصار له تعالى مطلقا، فهي نفي لإدراك كل بصر".[57]

6-و"ما كان طلب الرؤية من موسى إلا ليبكت قومه الذين دعاهم سفهاء وضلالا، وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر...فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك".[58]

7-و"أن موسى -عليه السلام- حين سأل الرؤية لم يكن يعلم أنها غير جائزة على

الله، ومع الجهل بهذا المعنى قد يكون المرء عارفا بربه وبعدله وتوحيده".(59)

8-و"قوله تعالى:"فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا"، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لاثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله وأوليائه في دار كرامته...؟ ".(60)

9-و"أنه تعالى علق رؤيته بإستقرار الجبل، ثم جعله دكا، فنبه بذلك على أن رؤيته لا تقع لتعليقه إياها بأمر وجد ضده على طريق التبعيد المشهور في مذاهب العرب، وهو أنهم يؤكدون الشيء بما يعلم أنه لا يقع على جهة الشرط، لكن على جهة التبعيد كما يقول قائلهم: إذا شاب الغراب أتيت أهلي، وصار القار كاللبن الحليب كما قال تعالى:[...**وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**...الآية](61) فكذلك قوله تعالى:[...**فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي** ...الآية](62) ثم جعله الجبل دكا بين به انتفاء الاستقرار، دليل على أن الرؤية لا تقع على وجه".(63)

وأما المثبتون للرؤية فقد استدلوا بالأدلة الآتية:

1-"إن سؤال موسى يدل على إمكانها، لأن العاقل فضلا عن النبي لا يطلب المحال، فكيف يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته، أن يسأل ما لا يجوز عليه، وهو من أعظم المحال".[64]

2-كما أن "لن" لو قيدت بالتأبيد لم يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت قال تعالى:[**وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا** ...الآية] .[65] مع قوله:[**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ**...الآية] [66] ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك في قوله تعالى:[...**فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي** ...الآية] [67] فثبت أن "لن" "لا تقتضي النفي المؤبد".[68]

قال البغدادي:" فإن قيل فقوله لن تراني يدل على نفي الرؤية أبدا لأن حرف لن على التأييد قبل هو على تأييد النفي في الدنيا...".[69]

"لأن الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية، أو الرؤية المقيدة بالإحاطة والأول باطل، لأنه ليس كل من رأى شيئا يقال: إنه أدركه كما يقال أنه أحاط، وقد سئل ابن عباس -رضي الله عنه- عن ذلك فقال:"ألست ترى السماء؟ قال: بلى. قال: أكلها ترى؟ قال:لا. فدل قول ابن عباس على أن مطلق الرؤية لا يتضمن الإدراك". (70)

وقال أبو حيان:"اختلف المفسرون في الإدراك في هذه الآية، ما هو، قيل: الإدراك هنا الرؤية، وبه قال جماعة من الصحابة، وقيل الإدراك هنا هو الإحاطة بالشيء، وليس بمعنى الرؤية، وهو قول جماعة من الصحابة أيضا". (71)

وقال ابن المنير الأسكندري (ت 683 هـ): "والذي يريده أن الإدراك عبارة عن الإحاطة...فالمنفى إذا عن الأبصار إحاطتها به عز وجل، لامجرد الرؤية...". (72)

3-"أنه لو كان الأمر كذلك لقال موسى أرهم ينظروا إليك ولقال الله تعالى: لن

تروني، فلما لم يكن كذلك بطل هذا التأويل". (73)

4-"أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح نجاة ابنه أنكر سؤاله، وقال: [**...فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ...الآية] . (74)

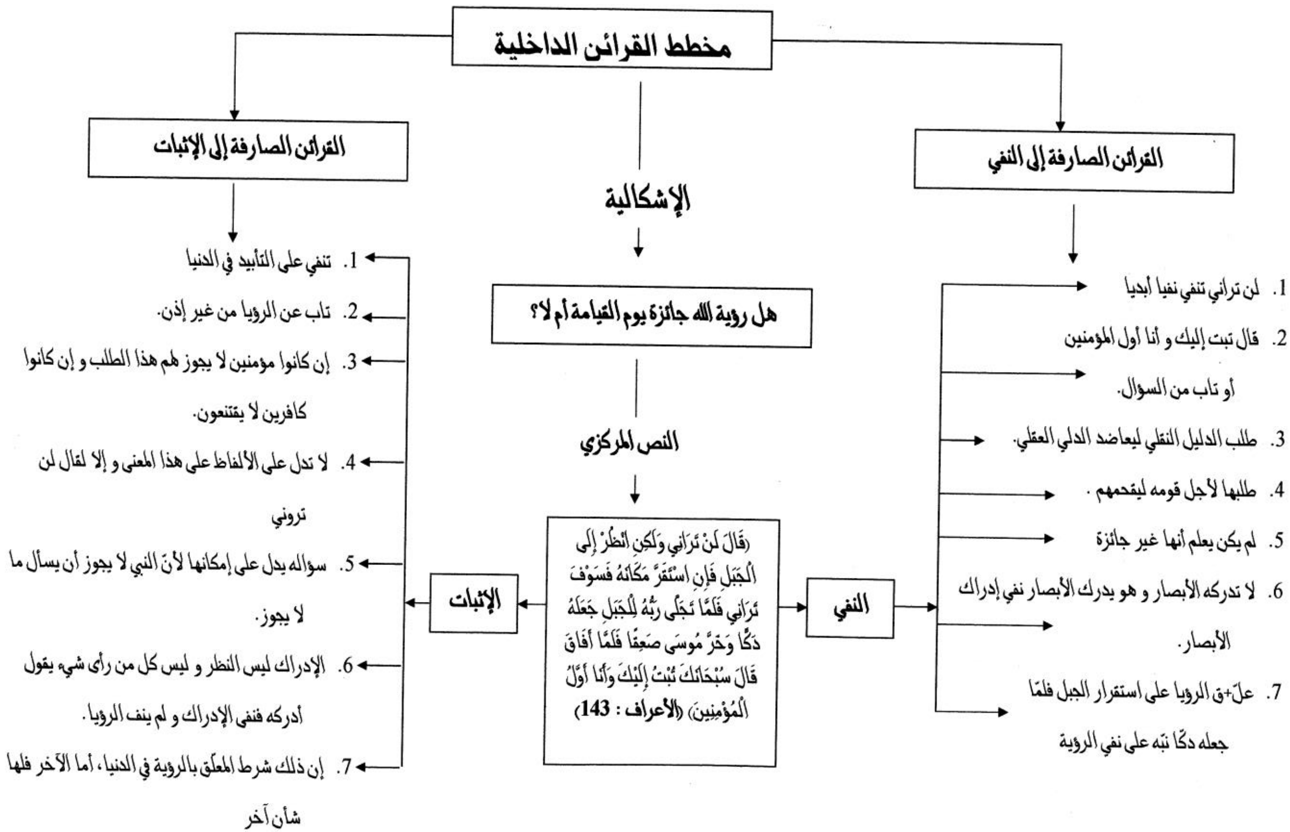
5-"أنه تعالى قال:"لن تراني"، ولم يقل إني لا أرى أولا تجوز رؤيتي، أو لست بمرأى والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كمه حجر فظنه رجل طعاما. فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح، أنه لا يؤكل، أما إذا كان طعاما صح أن يقال: إنك لن تأكله، وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار، لضعف قوى البشر فيها رؤيته تعالى". (75)

6-"إن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبة كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه وقد جمعوا بينهما". (76)

فهذه المجموعة من القرائن المختلفة جاءت وكأنها على شكل عقد مناظرة بين النافين للرؤية والمثبتين لها، وهذا من توظيف السياقات النغوية بقرائنها المختلفة سواء كانت منفصلة أم متصلة، لثبات ما يعتقده كل مؤول . فكانت كل فرقة تبحث عن آية أو قرينة لغوية أو دلالة سياقية، تجد فيها حجة على الفرقة التي تخالفها.

وكان قصد الجميع مساندة تلك العقائد بأدلة نقلية أساسها الدلالة اللغوية ومحاولة التوفيق بينها وبين الأدلة العقلية، ولما جاء الأشاعرة حاولوا رد الاعتبار للأدلة السمعية، لكنهم لم يعطلوا الدليل العقلي الذي لا يعارض نصا أو أصلا من أصول العقيدة الإسلامية.

وقد وضعت مخططة تلخص دور السياق و أثره في تأويل النص القرآني وهي كالتالي:


مخطط القرائن الداخلية
القرائن الصارفة إلى النفي
الإشكالية
القرائن الصارفة إلى الإثبات
هل رؤية الله جائزة يوم القيامة أم لا؟
النص المركزي
﴿قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف : 143)
النفي
الإثبات
1. لن تراني تنفي نفيا أبديا
2. قال تبت إليك و أنا أول المؤمنين أو تاب من السؤال.
3. طلب الدليل النقلي ليعاضد الدلي العقلي.
4. طلبها لأجل قومه ليقحمهم .
5. لم يكن يعلم أنها غير جائزة
6. لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار نفي إدراك الأبصار.
7. علّ+ق الرؤيا على استقرار الجبل فلمّا جعله دكّا نبّه على نفي الرؤية
1. تنفي على التأبيد في الدنيا
2. تاب عن الرؤيا من غير إذن.
3. إن كانوا مؤمنين لا يجوز لهم هذا الطلب و إن كانوا كافرين لا يقتنعون.
4. لا تدل على الألفاظ على هذا المعنى و إلا لقال لن تروني
5. سؤاله يدل على إمكانها لأنّ النبي لا يجوز أن يسأل ما لا يجوز.
6. الإدراك ليس النظر و ليس كل من رأى شيء يقول أدركه فنفى الإدراك و لم ينف الرؤيا.
7. إن ذلك شرط المعلّق بالرؤية في الدنيا، أما الآخر فلها شأن آخر

نستخلص من هذه المخططة أن ظاهرة التعدد والاحتمال في الدلالة اللفظية للكلمة الواحدة لم توضع للتعريف بمعانيها، بل لتوظيفها في النظم ولا تفيد شيئا حتى تضاف إلى ما بعدها، ويضاف إليها ما قبلها، وهي جزء من الكلام و لأجل ذلك نسجل الملاحظات التالية:

- إن تعدد الوظائف والمعاني للمبنى الواحد أو المفردة يكون بتعدد القرائن التي يشتمل عليها السياق.

- وإن قراءة النص بدون أن يتبادر إلى ذهن القارئ المعنى الذي وضع له ذلك اللفظ يدل على وجود ما يثير الانتباه، ومن هنا تبدأ عملية التأويل والبحث عن المعنى المقصود من الظاهر، وإيجاد مخرج لما يكتنفه من ملابسات.

- كما أن الاختلافات وتعارض الاستنباطات لدى القراء للنص الواحد يرجع إلى ما تعتمده كل فرقة من قواعد وأصول يراعيها المؤول وهو يتأمل النص القرآني. حتى أننا نجد في كثير من

الأحيان أن تلك الأصول تلعب دورا في توجيه الخطاب القرآني.

3 . دلالة التناص بين الإطلاق والتقييد (77)

إذا نظرنا في نصوص القرآن الكريم فإننا نرى بعضها جاء مطلقا، وبعضها جاء مقيدا أي أن النص قد يقيد بأحد المقيدات اللغوية كالصفة أو الخبر أو الحال في قضية من القضايا الفقهية أو الشرعية وقد يأتي نص آخر في المسألة نفسها ولكن بدون أن يتصف اللفظ بأحد المقيدات السابقة فكأنه تعقد مقارنة بين النصيين، ويجب أن يكون هناك لقاء بينهما في سبب الحكم، أو في الحكم نفسه، أو في كليهما، فقيد حكم المطلق بالمقيد وهو ما يسمى بتضييق دلالة اللفظ المطلق والتقليل من انتشاره.

لذا لابد من وجود قواعد وضوابط توضح العلاقة بين المطلق والمقيد، وتبين مدى تأثير أحدهما في الأخر، فإذا ورد اللفظ مطلقا في نص شرعي، وورد اللفظ نفسه في نص شرعي آخر، فهل يعمل بكل منهما على حاله؟ أم يقيد المطلق بالقيد الذي ورد في المقيد؟

فالواقع اللغوي، أن المقيد هو مطلق لحقه قيد أخرجه عن الإطلاق إلى التقييد، مثل رجل، ورجال وكتاب، وكتب، وطالب وطلاب فإنها ألفاظ تدل على فرد شائع في جنسه أو أفراد غير معينة، دون ملاحظة العموم أوالإستغراق، وإنما المقصود هو الماهية أو الحقيقة بحسب حضورها في الذهن بقطع النظر عن تقييدها بصفة من الصفات، فيكون المطلق مساويا للنكرة ما لم يدخلها عموم.

ومثال المقيد لغة كقولنا: طائر أبيض، ومصري مسلم وتلميذ جزائري، فقد قيد هنا بما يقلل شيوعه، ويقتصر على بعض أنواعه.

يلجأ المتلقي في كثير من الأحيان إلى تأويل الخطاب حسب ما تقتضيه المصلحة التي يراها مصلحة في نظره، ولهذا وجدناهم يتجاوزون الدلالة الأصلية للألفاظ حتى عند المفسرين وعلماء الأصول ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى:[**وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا** ... الآية][(78)]. وقال تعالى:[**وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ**... الآية .[(79)] "جاءت الرقبة مطلقة في

كفارة الظهار في الآية الأولى ومقيدة بالإيمان في كفارة القتل في الآية الثانية: "ومن الواضح أن الحكم في الآيتين واحد،وهو إعتاق رقبة، ولكن السبب مختلف إذ السبب في الآية الأولى هو إرادة المظاهر العود على إختلاف في معنى العود- والسبب في الآية الثانية هو القتل الخطأ". (80)

فالذين لا يقولون بحمل المطلق على المقيد ذهبوا إلى إعمال المطلق في مكانه والمقيد في مكانه ففي كفارة الظهار تجزئ الرقبة الكافرة عملا بالإطلاق، وفي كفارة القتل الخطأ لا تجزئ إلا الرقبة المؤمنة عملا بالتقييد.

اهتم أصحاب التأويل والمفسرون وعلماء الكلام بدلالة النص القرآني على المعنى، واتفقوا على أن النص في القرآن الكريم لايمكن أن يعتمد على معناه مستقلا عن غيره من النصوص الأخرى، ويهمنا في هذا الجانب الزاوية اللغوية والدلالية لأنها طريقة وآلية من الآليات الهامة التي وظفها العلماء أثناء البحث عن المقاصد المستنبطة من الخطاب، ومنها ظاهرة الإطلاق والتقييد في

دلالة الألفاظ إذ لايمكن فصلها عن مقصدية النص القرآني ولابد من ربطها بأغراض الشريعة ومقيداتها وشروطها، ويبين الشاطبي هذه المسألة بقوله:" ومنها أن هذه المسألة إذا فهمت حصل بها فهم كثير من آيات القرآن وأحكامه، كقوله تعالى:[**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا** ...الآية]،[81]...وقوله : [**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**...الآية] ،[82] وما كان نحو ذلك، من أنها ليست على ظاهرها بإطلاق، بل بقيود تقيدت بها، حسبما دلت عليه الشريعة في وضع المصالح ودفع المفاسد".[83]

فلو أخذنا دلالة النص على الظاهر لحللنا كل ما خلف الله، ولكن الشريعة قيدت عموم مثل هذا النص السابق، بمقيدات أخرى من مصادر الشريعة الإسلامية. فالجملة العربية تتكون أصلا من مسند ومسند إليه، و:" إذا اقتصر في الجملة على ذكر المسند إليه والمسند. فالحكم مطلق والإطلاق يكون حينما لايتعلق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه ليذهب السامع فيه كل مذهب ممكن".[84]

ويعنى ذلك أن اللفظ إذا لم يقيد بلفظ آخر احتمل التأويل وتعدد معناه، ولهذا قيل:" وإذا زيد عليهما-(يعني المسند والمسند إليه)- شيء مما يتعلق بهما أو بأحدهما فالحكم مقيد..." (85)

ولا يتحقق الإطلاق والتقييد إلا إذا كان هناك نصان بينهما مشابهة ما في المبنى أو في المعنى والموضوع، أو أي سبب يقتضي المقارنة وحتى ولو تمت هذه المشابهة بينهما فهل يجوز أخذ المعنى منهما معا، وقد يكون ذلك على حسب أحدهما ولهذا قيل: " ومنهم من يضيف في ذلك حتى أنه ليجعل الأصل فيها عدم الحمل إلا إذا وجد مقتض للحمل، فيعمل به، نظرا لأن كل نص شرعي حجة في ذاته فيعمل به كما ورد، فتقييد النص المطلق تطبيق من غير أمر شرعي" (86)

ومن أمثلته -أيضا- وجوب صيام شهرين متتابعين في كفارة القتل الخطأ في قوله تعالى:[...**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ** ...الآية] (87)؛ ووجوب صيام ثلاثة أيام من غير اشتراط التتابع في قوله:[...**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ**

فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ...الآية] [88] فالحكم مختلف ففي الآية الأولى صيام شهرين، وفي الثانية صيام ثلاثة أيام، والسبب مختلف ففي الأولى القتل الخطأ، وفي الثانية الحنث في اليمين:"فلا يحمل المطلق في الثانية على المقيد في الأولى.

يقتضي التقييد بين النصين تضييع الحكمة من معاقبة القاتل الذي يجب عليه أن يصوم شهرين متتابعين، وهذا لعدم تساوي الإثم والمخالفة، وألا يصبح القاتل كمن حلف حانثا وذلك لايقبله عقل ولا شرع، ومن هنا نلاحظ أن ظاهرة الضمائم في النصوص تقوم على أسس عقلية وشرعية تحقيقا للمصلحة التي أراد صاحب أن تحقق عبر سلوكات المكلفين.

ومن خلال الأمثلة التي سقناها يتبين لنا أن ظاهرة الإطلاق والتقييد تشبه من حيث الدلالة ظاهرة العموم والخصوص، فقد عرضنا في البحث السابق إلى آليات الخصوص اللغوية المنفصلة التي تفارق النص ذاته، أما من حيث الإطلاق والتقييد فإنها تقوم على علاقات النصوص بعضها بالبعض الأخر، وتتلاقى من حيث الدلالة مع العموم والخصوص أيضا -كما رأينا-.

ونوقشت ظاهرة الإطلاق والتقييد في القرآن الكريم من حيث الجواز وعدمه.

تعامل العلماء مع هذه الظاهرة اللغوية على أساس القاعدة التالية:" إن وجد دليل على تقيد المطلق صير إليه وإلا فلا، والمطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده، لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب، والضابط أن الله تعالى إذا حكم في شيء بصفة أو شرط، ثم ورد حكم أخر مطلقا، نظر فإن لم يكن له أصل يرد إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به، وأن كان له أصل غيره لم يكن رد أحدهما بأولى من الأخر." (89)

إن تحديد دلالة اللفظ في النص بالنسبة للقرآن الكريم لاتكفي ولو وضعت إليها العناصر السياقية التي اشتمل عليها ذلك النص، ولهذا يتطلب البحث في ضبط معنى اللفظ في نص ما أن يعرض على نص آخر أو مجموعة من النصوص الدينية أي الكتاب والسنة، أي تحديد دلالة اللفظ عن طريق آلية التناص. إلا أن هذه الظاهرة الدلالية اتسمت بالجدل عنه العلماء. قال نصر حامد أبو زيد في ذلك. "إن جدلية

العموم والخصوص أو الاطلاق والتقييد تكشف عن تعامل الفقهاء مع النص القرآني بوصفه نصا واحدا، وإذا كانت الآيات ترتبط من حيث النزول بوقائع ومناسبات تكشف عن معناها ودلالتها، فإن استثمار الأحكام من النص يتعامل مع النص بوصفه وحدة دلالية واحدة، ولقد امتدت هذه النظرة لوحدة النص إلى مجال الآيات التي لها علاقة بالأحكام الشرعية الفقهية، ولذلك يجمع علماء القرآن بين النصوص الخاصة بالأحكام وبين غيرها من النصوص عند حديثهم عن ظاهرة الإطلاق والتقييد". [90]

و يزداد الأمر وضوحا بضرب الأمثلة التالية:

قال الله تعالى في شأن عدة المرأة المتوفي عنها زوجها: [**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**... الآية][91]. فلفظ أزواج مطلق عن التقييد، هل هن مدخول بهن أم غير مدخول بهن؟ ولم يرد هذا اللفظ في نص آخر مقيدا بشيء من ذلك". [92]

فعلى المفسر عند تفسيره لهذا النص أن يعمل بهذا اللفظ على إطلاقه ومن هنا كان الحكم في ذلك:"أن الرجل إذا توفي عن زوجته فعلى زوجته أن تعتد عدة الوفاة:"أربعة أشهر وعشرا" سواء أكانت الزوجة مدخولا بها أم لا".(93)

إن هذا الحكم الفقهي المستنبط من النص القرآني يدل على مراعاة نفسية المكلفين بتطبيق الخطاب وفهمه، لأننا نعلم أن المرأة غير المدخول بها لاتحتاج إلى براءة الرحم، فعدتها شرعت من أجل مراعاة المشاعر النفسية لأهل الميت، مما يشجع على المعاملة الطيبة واحترام مشاعر الناس ولهذا قيد النص بالقرائن الاجتماعية المبنية على التعامل بالحسنى.

وقد يكون المطلق في دلالته على التخيير أي أن الإطلاق في النص ليس ملزما فمن أردا أن يأخذ بالعزيمة فليأخذ بالإطلاق،ومن أراد أن يأخذ بالرخصة أو بالأحرى دلالة النص على الظاهر وهذا الفهم متروك لظروف المكلفين وما تقتضيه مصلحتهم.

قال الله تعالى في شأن المريض والمسافر في رمضان: [...**وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**... الآية][94]؛ فلفظ أيام مطلق عن التقييد بزمن أو بشرط كالتتابع، فظاهر النص: "فعدة من أيام أخر"، يقتضي إيجاب العدد فقط لا إيجاب التتابع، وليس في نص أخر ما يفيد ذلك، فالقضاء يتم في أيام متتابعات أو متفرقات على حد سواء في جميع أيام السنة سوى شهر رمضان".[95]

وقد تقتضي مصلحة المكلف أن يعجل بالقضاء وبالتتابع حتى لاتضيع منه الفرصة لأنه قد تفاجئه الموت فيقضي نحبه، والصيام مازال في ذمته، لأنه يضمن استمرار حياته فلهذا كان العمل بالعزيمة أحوط من العمل بالرخصة إلا إذا تحققت الضرورة.

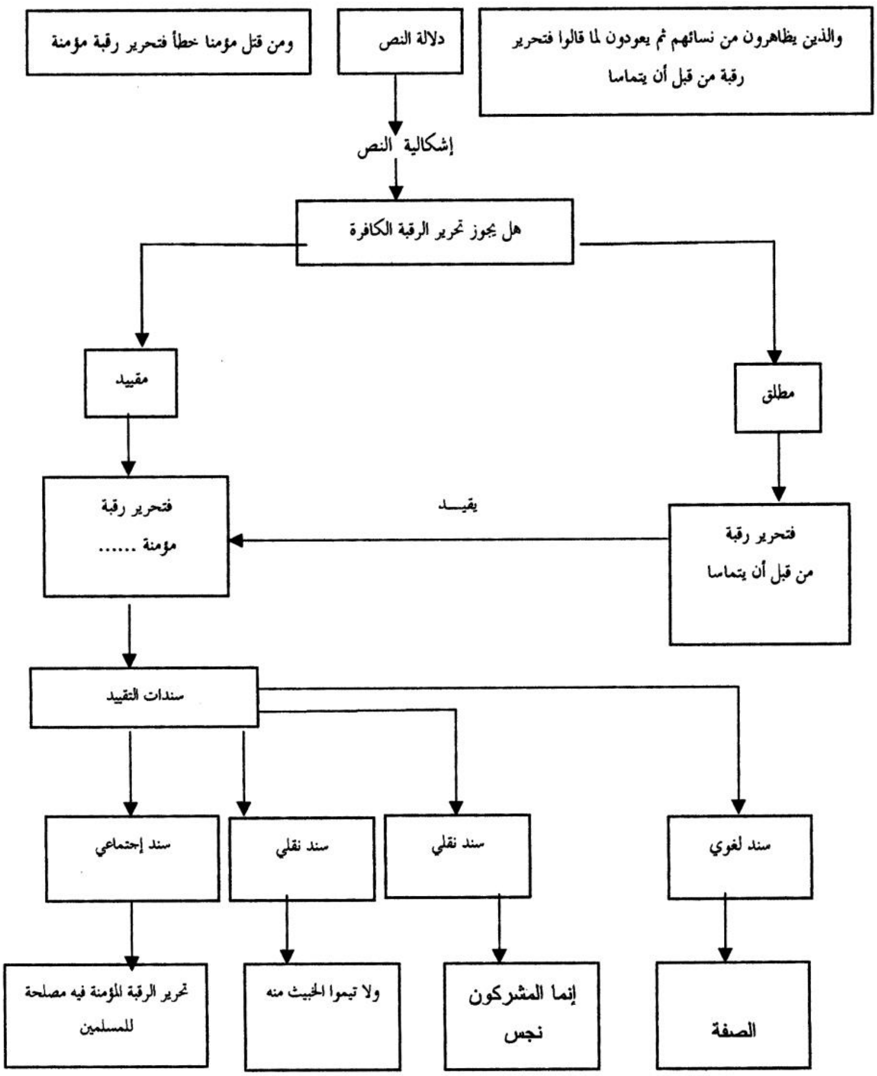
ويرحج تحرير الرقبة المسلمة بالقرينة الاجتماعية، التي تقتضي ألا تذهب أموال المسلمين إلى غيرهم من المشركين والكفار، فالمسلم أولى بغيره بهذا العتق، ولأن الرقبة الكافرة قد تكون على حساب الإسلام والمسلمين لأن الكافر لايؤمن جانبه، وهذا تقييد للنص بالقرينة الإجتماعية، لأن مقاصد الشريعة

الإسلامية آليات موجهة لدلالة النص وترجيح أحد محتملاته.

رجح الرازي دلالة التقييد في آية الطهارة التي ورد فيها لفظ (الرقبة) مطلقا وهي قوله تعالى:[...**فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا**...الآية] فقال: " وقال الشافعي لابد وأن تكون مؤمنة ودليله وجهان (الأول): أن المشرك نجس لقوله تعالى:[**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ** ...الآية].(96) وكل نجس خبيث بإجماع الأمة...(الثاني): أجمعنا على أن الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالإيمان فكذا ههنا والجامع أن الإعتاق إنعام، فتقييد بالإيمان يقتضي صرف هذا الإنعام إلى أولياء الله وحرمان أعداء الله، وعدم التقييد قد يفضي إلى حرمان أولياء الله، فوجب أن يتقيد بالإيمان تحصيلا لهذه المصلحة".(97)

استدل الرازي على ترجيحه لتقييد النص المطلق بأدلة نصية، ولكن في إطار مقصدية النص وما تراعيه الشريعة من مصالح العباد وهذا تحكيم للسياق الاجتماعي الذي لا ينكر دوره في ترجيح الدلالة، ويمكن توضيح الدلالة

بواسطة ظاهرة الإطلاق والتقييد على النحو التالي:



إن النظرة السابقة للشافعي والرازي في ترجيحهما لتقييد النص مراعاة للمصالح الإجتماعية في المجتمع تدل على أنهما كانا ينظران إلى النص من خلال الغايات التي أنزل من أجلها، وقد ذهب الإمام مالك إلى ترجيح الإطعام في كفارة اليمين على الصيام لأن فيه مصلحة للفقراء وسد حاجاتهم، ويدل هذا الفهم على أن النص القرآني لا يمكن عزله من حيث المقصدية عن الواقع الذي يعيش فيه المخاطب، وكان الأصل الذي بنى عليه هذا الفهم لدى هؤلاء العلماء هو أن التشريع الإسلامي جاء لرعاية مصالح البشر بكفالة ضرورياتهم وتوفير حاجياتهم وتأمين تحسيناتهم.

ويدل ذلك على واقعية الخطاب القرآني وما يقترحه من حلول لحل المعضلات الإجتماعية في إطار المبادئ والقيم التي رسمها النص للمتلقي المؤمن.

اعتبرت ظاهرة التقييدعند الأشاعرة وغيرهم، وسيلة لحل كثير من الإشكالات الدلالية التي تطرحها بعض النصوص من القرآن الكريم، ولولاها لوقع المفسر أوالمؤول في حرج وحيرة قد لايجد لها منفذا سواء كانت آلية التقييد نص مثله أوبالقرينة العقلية أو الشرعية أو اللغوية، وعلى سبيل المثال قوله تعالى:{ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا** ... الآية]؛[98] "فإنه لو قيل نحن نرى من يطلب الدنيا طلبا حثيثا ولا يحصل له منها شيء".

قلنا: قال الله تعالى: [**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ** ... الآية] ،[99] فعلق مايريد بالمشيئة بالإرادة [100].

وعلق نصر حامد أبو زيد على تقييد الواقع لدلالة النصوص، بقوله:" وإذا كان المسلمون جميعا على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية قد أجمعوا على أن قدرة قاهرة غالبة لاينقص منها شيء، فإن معنى ذلك أن كل شيء يقع في العالم إنما يقع بمشيئة الله، وذلك باستثناء الفعل الإنساني الذي اختلفوا حوله اختلافا معروفا

شائعا. وعلى ذلك فقد اعتبر العلماء هذه المشيئة الإلهية (نصا) يقيد كل ماورد في القرآن من الوعود المطلقة التي لاتتحقق عادة مع توفر شروطها...". [101]

قال الكلبي:"نوته منها" أي نؤته منها ما قدر له لأن كل أحد لابد أن يصل ما قسم له" [102]. وقال الزمخشري:"ومن كان عمله للدنيا أعطى شيئا منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم وفرغ منه". [103]

ونرى كلا من الكلبي والزمخشري فسر الآية على أساس التقييد متأثرا كل منهما بالعقيدة الإسلامية التي تقرر أن كل إنسان لا يأخذ من الدنيا إلا ما كتب له في الأزل.وهذا المعنى مستقى من نصوص أخرى من الكتاب والسنة. وبالإضافة إلى هذا التقييد القائم على الفكر العقائدي، يوجد مقيد أخر وهو قوله تعالى:[**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ** ...الآية]. [104] فعلق النص ما يريده بمشيئة الله وإرادته، فهذه قيدت الإرادة الإنسانية التي وردت مطلقة في الآية الأولى.

ومثل ذلك قوله تعالى:[**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ...الآية] .(105)

قال الكلبي إن قلت: "نجد كثيرا من الداعين لا يستجاب لهم؟ قلت: إنما لم يستجب لهم لإنتفاء شرط الإجابة، إذ شرطها طاعة الله وأكل الحلال وحضور القلب، أو لأن الداعي قد يعتقد مصلحته في إجابة دعوته، والله يعلم أن المصلحة في تأخيرها، أو يعطيه بدلها".(106)

وقيدت الآية بهذا التأويل الذي قام على فكرة القارئ الذي يتعامل بها مع النص، وقد إكتسب هذه الفكرة من نصوص أخرى، وهي مقيدات للنص نفسه ومنها
-مثلا- قوله تعالى:[**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ...الآية] .(107)

وقال الزمخشري:"أدعوني :"أعبدوني، والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله تعالى:[**إن الذين يستكبرون عن عبادتي**] والإستجابة: الإثابة، وفي تفسير مجاهد: أعبدوني أثبكم".(108)

فإذا كانت دلالة لفظ " إدعوني" بمعنى أعيدوني، فإن النص لايحتاج إلى مقيدات وإذا

كان استجب لكم بمعنى أثبكم، فهنا يتخلص القارئ من مشكلة التقييد باعتماد على معنى يحتمله اللفظ في النص المقروء.

وهذه المقيدات لها أصولها في الشريعة الإسلامية وهي طريقة من الطرق التي يستند عليها العقل الإسلامي، وذلك بتوسيع دلالة النص، ومفهومه ليضم إلى جانب القرآن الكريم، السنة النبوية ويهدف في النهاية إلى درء التعارض الذي يقع في الظاهر بين ما تقرره النصوص، وما هو حاصل في الظروف الإجتماعية، مما يدل على أن عقل العالم المفسر أو الفقيه يكون حاضرا، في إكتشاف دلالة النص إكتشافا شموليا ليصل إلى فهم النص ومقصودية المتكلم والبحث عن الأدلة والآية التي بها يدفع التعارض بين النصوص أو بينها وبين العقل بصفته قارئا للنص القرآني، وقراءته هذه تعتبر خطابا آخر مبسطا، يتلقاه عامة الناس، بالتوظيف والتطبيق، فهي رسالة ثقيلة ينهض بها لأنه يعتبر مبلغا ثانيا بعد النبي -صلى الله عليه وسلم -.

ويدل هذا على أن وظيفة السياق: قراءة دقيقة وشاملة ينهض بها المتلقي أوالمرسل إليه في إطاره الحضاري والإجتماعي وعلاقة ذلك الجهد بحواره مع النص وهو فعالية فكرية تعمل على تحديد هوية الكلام، فلا يعتمد السياق في وظيفته على تحديد دلالة الألفاظ الموضوعة ضمن النص إذ هذه الأخيرة لا تستطيع الوفاء بكل أبعاد المعنى، لأن ذلك يفسح المجال واسعا للتأويل، وقد لا يصل المؤول إلى نتيجة.

ومن هنا كانت ضرورة الإستعانة بآليات أخرى ضمن النظرية السياقية، وهذه الآليات من حق القارئ والعالم المجتهد أن يضعها لنفسه في إطار منهج يتعامل به مع النصوص، وهو يسعى إلى فهمها وتحديد دلالتها والوقوف على مقاصد صاحبها. وهو ما فعله الأصوليون وهو ما نلمسه في تلك القواعد التي ضبطوها ليتعاملوا على أساسها مع نصوص الشريعة الإسلامية.

ويقوم السياق القرآني على قاعدة المقاصد أو المقصدية المستهدفة في الخطاب الإلهي وهو ما يرمي إليه النص من أحكام ومقاصد

ومعتقدات فالكلام الصادر من البارئ سبحانه وتعالى إلى المخاطبين في مقتضيات وأحوال خاصة تراعي في تحليله وفهم عناصره الأساسية المخاطب والمخاطب وأسباب النزول وظروفها، وما عبر عنه الشاطئ:"بالمقاصد ومقتضيات الأحوال". (109)

تقوم هذه الأصول عندهم على منطق اللغة العربية وهديها، فكانت هي الطريق الموصلة إلى إستنباط الحكم من الكتاب والسنة يقول ابن خلدون(ت 808هـ) :"إن هذا الفن وهو علم الأصول" من الفنون المستحدثة في الملة، وكان السلف في غنية عنه، بما أن استفادة المعاني من الألفاظ لا يحتاج فيها إلى أزيد مما عندهم من الملكة اللسانية فلما انقرض السلف وذهب الصدر الأول وانقلبت العلوم كلها صناعة.

احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام من الأدلة فكتبوها فنا قائما برأسه سموه أصول الفقه". (110) وقال في موضع آخر متحدثا عن ضرورة علم أصول الفقه باعتبار العلوم التي احتواها هذا العلم مبنية على أسس علم اللغة

والنظرية السياقية فقال:" ولايكفي فيه معرفة الدلالات الوضعية على الإطلاق، بل لابد من معرفة أمور أخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة.." .(111)

بعد أن بينا أحوال المطلق والمقيد نقول أنه لا خلاف بين العلماء أن المطلق على إطلاقه، إذا لم يكن هناك قيد يقيده وأن المقيد يعمل به بقيده، ولا يخرج المكلف من العهدة إلا بذلك، و ورد الخلاف-كما أينا- في دلالة المطلق والمقيد فيما إذا ورد لفظ مطلق في نص، ثم ورد مقيدا في نص أخر، وإذا كانت علاقة النصوص فيما بينها علاقة تداخل وتضام كما تتداخل القرائن وتتعارض، فإن هذه النصوص لها علاقة بالواقع الذي يعتبر جزءا قويا من مفهوم النص و ما ذاك إلا تطبيقا لمفهوم التناص في القرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم على رواية ورش

- حرف الألف -

2 ـ أبحاث في اللغة، سليمان الأشقر، دار المعرفة الجامعية سنة 1995م

3- أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف

الفقهاء، مصطفى سعيد الخن مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية، سنة 1392هـ-1976م.

4- أحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق محمد علي البجاوي، الطبعة الثانية، 1387هـ-1967م .

5-أحكام القرآن الهراسي ، عماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،الطبعة الثانية، سنة1405هـ-.1985

6-الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي على هامش الكشاف.

7-أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمان العك، دار النفائس، الطبعة الثانية سنة 1406 هـ 1986 -م .

8-أصول الفقه الإسلامي، علي حسبه الله، دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة سنة 1383 هـ - 1964 م.

-حرف الباء-

9-البرهان في علوم القرآن، الزركشي بدر الدين عبد الله، دار المعرفة للطباعة و النشر ، الطبعة الثالثة، بيروت -لبنان، سنة 1977 م.

-حرف التاء-

10- تاريخ الجدل أبو زهرة، دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة: 1994م.
11-التبصرة في أصول الفقه، الشيرازي، شرح و تحقيق حسن هيتو، دار الفكر دمشق، بيروت سنة 1980م
12-التفسير الكبير، محمد فخر الدين الرازي ، دار الفكر بيروت الطبعة الثانية، سنة 1398هـ-1978م.
13-تفسير مقاصد القرآن ، حسن البنا ، دار الشهاب، باتنة -الجزائر.
14- التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري، سربل داغر، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلد 16، العدد01، القاهرة، 1997م.

-حرف الجيم-

15- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد السيد الهاشمي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، الطبعة الاولى، سنة 1420هـ 1999 م.

-حرف الدال-

16-دور الكلمة في اللغة ، استيفن اولمان، ترجمة و تقديم و تعليق كمال بشر دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع.

-حرف الكاف-

17- كتاب التسهيل لمعلوم التنزيل، محمد بن

أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي بيروت -لبنان، الطبعة الثالثة، سنة 1401هـ-.1981
18-الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع سنة 1399هـ-1979م.

-حرف الميم-

19-المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، عواد بن عبد الله المعتق مكتبة الرشد ، الرياض، الطبعة الثالثة سنة 1417هـ -1996 م.
20-مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة، سنة: 1998م.
21-مقدمة بن خلدون أبو زيد ، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان ،
22-مشارق أنوار العقول ، عبد الحميد السالمي، حققه و خرج أحاديثه عبد الرحمان عميرة، تصحيح و تعليق الشيخ أحمد بن حمد الخليلي دار الجيل بيروت-لبنان، سنة 1400هـ-1980م.
23-الموافقات في أصول الشريعة ، أبي اسحاق

الشاطبي ، ضبط إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، سنة 1422 هـ-2001م

-حرف النون-

24-النهر الماد من البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق عمر الأشقر دار الجيل ، بيروت لبنان، (بدون تاريخ).

-حرف الفاء-

25-فتح الرحمان بكشف ما يلتبس في القرآن أبو يحي زكرياء الأنصاري تعليق و تحقيق الشيخ علي الصابوني ، دار القرآن الكريم، بيروت الطبعة الأولى سنة 1403هـ-1984م.

-حرف الشين-

26- شرح العقيدة الطحاوية لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي النشر ليوسف بن موسى بن محمد أبو المحاسن، جمال الدين الملطي الطبعة الثالثة المكتب الإسلامي للطباعة و النشر.

الهوامش

1 - التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري، شربل داغر، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد 16، العدد 01، القاهرة، 1997، ص: 127.

2 - نفسه، ص: 128.

3-إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت. لبنان سنة (1399هـ-1979م) ص:19.

4-المصدر نفسه، ص : 19.

5-الأنعام: 121

6-النهر المار من البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي تحقيق د/عمر الأشقر، ج366/2

7- المائدة:06

8-أحكام القرآن، محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، سنة: (1405هـ- 1985م)، ج50/3 .

9-أحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق على محمد البجاوي، الطبعة الثانية، سنة: (1387هـ-1967م)، ج444/1

10-أصول التشريع الإسلامي، علي حسب الله ص : 217

11- الأحزاب : 56

12-أصول التشريع الإسلامي، علي حسب الله، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، سنة: (1383هـ-1964م)، ص: 218.
13- النساء : 22
14-تفسير الرازي ،ج178/3.
15-النساء: 06
16- التفسير الكبير، الرازي ،ج178/3.
17- النور: 03.
18-تفسير الرازي، ج178/3.
19-المصدر نفسه، ج178/3.
20- المصدر نفسه، ج178/3.
21- المصدر نفسه ج178/3.
22- المصدر نفسه ج179/3.
23- هي أن يكون نص ما قرينة موجهة للمعنى في نص آخر أو مجموعة من النصوص تعامل كقرائن على دلالة النص المركزي وهذه مسألة إجتهادية في مجال المصطلحات الدلالية. أنظر الجدول ص: 32.
24- دور الكلمة ، ستيفن أولمان،ترجمة و تقديم و تعليق كمال بشر، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، ص:68.
25 - الدخان: 49.
26 -البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، سنة (1391هـ-1972م)، ج200/2، 201.
27 -الأحقاف: 25

28 - الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي ضبط وتخريج إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت -لبنان، الطبعة الخامسة، سنة (1422هـ-2001م)،ج243/3.

29 - المصدر نفسه ، ج242/3.

30 - الأنعام: 82.

31 - لقمان : 13.

32 -الموافقات, الشاطبي، ج243/3.

33 - الأنعام: 82 ..

34 - الموافقات, الشاطبي، ج246/3.

35 - المصدر نفسه، ج239/3.

36 -المصدر نفسه، ج238/3.

37 - الأنبياء: 101.

38 - الموافقات ، الشاطبي، ج248/3.

39 - الموافقات الشاطبي ج249/3. هامش

40 - النساء: 115.

41 - النساء 48.

42 - المائدة: 44.

43 - الموافقات الشاطبي ج253/3.

44- النور : 04.

45- المائدة : .45

46- البقرة :254.

47- المائدة :45.

48- آل عمران : .82

49-التوبة: 67.

50-تاريخ الجدل. أبو زهرة، ص:216.
51- الأعراف : 143.
52-التفسير الكبير، للرازي،ج288/4.
53-المصدر ، نفسه، ج288/4.
54-المصدر ، نفسه، ج4/. 288
55-مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السالمي: ج390/1.
56- الأنعام : 103.
57-الكشاف، الزمخشري، ج113/2..
58-المصدر نفسه، ج 113/2.
59-التفسير الكبير، للرازي ج286/4.
60-المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، عواد بن عبد الله المعتق. ص:131
61- الأعراف:40.
62- الأعراف : 143
63-المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، عواد بن عبد الله المعتق، ص: 130.
64-التفسير الكبير ، للرازي ج286/4.
65- البقرة : 95
66- الزخرف: 77
67- يوسف: 80
68-المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها. عواد بن عبد الله. ص:132.
69-أصول الدين للبغدادي ص:100.
70-المعتزلة وأصولهم الخمسة ص:129.

71-النهر المار من البحر المحيط أبو الحيان، ج452/2.
72-كتاب الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي ، هامش الكشاف، ج42/2
73-التفسير الكبير للرازي ،ج286/4.
74- هود: 46.
75-المعتزلة وأصولهم الخمسة، ص : 131.
76-شرح العقيدة الطحاوية، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الصحاوي ،الشرح ليوسف بن موسى بن محمد أبو المحاسن جمال الدين الملطي الطبعة الثالثة. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ص:206.بتصرف.
77-ينظر المستصفى من علم الأصول، الغزالي، ج180/2،190.
78- المجادلة: 03.
79- النساء: 92.
80- أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء مصطفى سعيد الخن، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، سنة: (1402هـ -1982م) ص: 261.
81 -البقرة: 29.
82 -الأعراف: 32.
83 -الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ج359/2.
84 - جواهر البلاغة في المعاني والبيان، السيد أحمد الهاشمي، ص: 141.
85 -المرجع نفسه، ص: 141.
86 -أصول الفقه الإسلامي، محمد مصطفى شلبي، ج400/1.

87 -النساء: 92.

88 -المائدة: 89.

89 - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج15/2.

90 -مفهوم النص، دراسة في علوم القران، د. ناصر حامد ابو زيد، ص:214، 215.

91 -البقرة: 234.

92 -أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، ص: 411.

93 -المرجع نفسه، ص:412.

94 -البقرة: 185.

95 -أصول التفسير وقواعده، عبد الرحمن، ص: 412.

96 -التوبة: 28

97 -التفسير الكبير، الرازي، ج111/8.

98 -الشورى: 20.

99 -الإسراء: 18.

100 -البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج16/2.

101 - مفهوم النص، دراسة في علوم القران، .نصر الحامد ابو زيد، ص: 215.

102 -كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، الكلبي، ج19/4.

103 -الكشاف، الزمخشري، ج466/3.

104 -الاسراء : 18.

105 -البقرة: 186.

106 -فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القران ابو يحي زكرياء، الانصاري، ص: 53، 54.

107 -غافر: 60.

108 -الكشاف، الزمخشري، ج433/3.

109 -الموافقات، الشاطئ، ج241/2.

110- مقدمة ابن خلدون،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، سنة 1413هـ -1993م، الطبعة الأولى ص: 360.

111- المصدر نفسه، ص: 164.

العربية العلمية المستخدمة
في نشرات الأدوية

أ/ جويدة معبود
جامعة الجزائر

Y

إن العلاقة التي تربط المريض بالطبيب، وكذلك تلك التي تربط المريض بالصيدلي هي علاقة مهمة جدا، سواء من حيث تشخيص المرض أم من حيث فعالية العلاج الذي يقدم، وحتى تتحقق هذه الفعالية في جانبها التواصلي، يستحسن، إن لم نقل يجب على الطبيب أن يتحاور مع مريضه باللغة التي يفهمها لضمان نجاح عملية التبليغ. وبما أن من مهام الطبيب وصف دواء لعلاج مريض ما فبطبيعة الحال فإن المريض سيحتاج إلى وسيلة إضافية لمعرفة كيفية استعمال هذا الدواء والمتمثلة عادة في نشرات الأدوية، ولعل لطبيعة اللغة المستخدمة في هذه النشرات، من حيث اختيار الأسلوب

والمصطلحات للتعبير عن كيفية استعمال الدواء، أهمية كبرى لأنها تؤدي دورا كبيرا في تبليغ المعلومات بطريقة صحيحة وخاصة وأن الأمر يتعلق بحياة أفراد المجتمع بكل شرائحه.

فالنشرة الدوائية هي عبارة عن مطوية تحتوي على معلومات وإرشادات حول تركيبة الدواء والأعراض التي يعالجها وكيفية استعماله، وكمية التناول وتحذيرات من سوء استعماله• ويعني مما سبق أن الهدف من وضع هذه النشرات هو إرشاد المريض لكيفية استعمال الدواء من أجل العلاج بلغة سليمة وسهلة وواضحة.

ولكن ما لوحظ في أغلب هذه النشرات لم يحقق الهدف المنشود منها وينطبق هذا الحكم على نشرات الأدوية العربية ونخص بالذكر النشرات الجزائرية والسورية والأردنية، وقد تأكدت لي هذه الحقيقة في بحث جامعي خاص بهذا الموضوع بعد مقارنتي للنشرات السابقة فيما بينها وكذلك بعد مقارنة النشرات الدوائية مع المعجم الطبي الموحد[1].

وقبل التعرض إلى الدراسة الميدانية التي أجريتها أرى أنه من المفيد الوقوف عند تعريف المصطلح العلمي والشروط التي يجب أن يتصف بها، لأن هذه النشرات تتضمن قسما كبيرا منها.

المصطلح العلمي:

ورد في المعجم الوسيط: أن " المصطلح هو اتفاق طائفة على شيء مخصوص ولكل علم اصطلاحاته"[2]. وإن الحاجة إليه قائمة في كل لغة نظرا للمتغيرات الجديدة والتطور المستمر الذي يشهده العالم في شتى ميادين الحياة.

وأما وصف المصطلح بالعلمي هنا، فيقصد به أن الحديث يدور حول المصطلحات التي يتفق عليها العلماء للدلالة على المعاني المتصلة بالعلوم على اختلاف أنواعها مثل: العلوم الاقتصادية والطبية[3] وما يهمنا في مقالنا هذا هو العلوم الطبية وما يتصل بها من مصطلحات. والمصطلح الطبي عند إدريس العلمي هو:" مفردة من الاصطلاح الطبي، أي كلمة من مجموع مفردات خاصة بالطب "[4].

أقسامه وأنواعه:

يمكن تقسيم المصطلح الطبي إلى قسمين اثنين هما:

- مصطلح طبي عام: وهو المصطلح الذي يدخل في التخصصات الطبية كلها، وليس حكرا على تخصص دون الآخر ومثال ذلك: مصطلح "مرض" الذي يستعمل في كل التخصصات فقد يكون المرض وراثيا أو تنفسيا...

- مصطلح طبي خاص: وهو المصطلح الذي يدخل في تخصص من تخصصات الطب المختلفة[5].

ويمكن أن يكون المصطلح الطبي إما بسيطا مكونا من كلمة واحدة أو مركبا من كلمتين أو أكثر وله أنواع وهي:

- المصطلح الطبي العادي: وهو المصطلح المكون من كلمة واحدة أو أكثر ومن أمثلة ذلك: الالتهاب " Inflammation"، التنفس "Respiration "...

- المصطلح الطبي المختزل أو المختصر: هو صيغة أخرى غير اللفظة المفردة أو المركبة، وفيها تختزل العبارة الاصطلاحية في رمز واحد يصاغ من مجموع حروفها أو مقاطعها الأولى مع اختصار كتابته والنطق به إن كان مكونا من عدة كلمات.

- المصطلح المرمز: هو المصطلح الذي يتكون من مجموعة رموز أو صيغ تعبر عن مفهوم علمي معين ومن أمثلة ذلك: H2O الذي يرمز به إلى "جزئ الماء"(6).

شروطه:

إن المواصفات المصطلحية العامة والدقيقة تقتضي أن يحمل المصطلح مفهوم مدلوله، ويوافقه معنى ومبنى، وهذا يتطلب بادئ ذي بدء، أن يستوعب المصطلح مفهوم المصطلح لغويا وموضوعيا، قبل أن ينقل من لغته الأصلية إلى العربية، فلا يصح مثلا أن نضع "رد فعل" مقابل "Réaction" في سياق كيمياوي، حيث المقابل الصحيح هو " تفاعل"، ولا أن

نقول انصهار مقابل "Fusion " في سياق فيزيائي نووي حيث الصواب اندماج [7].وقد قال كمال السيد في هذا السياق: " نظرا للطبيعة العلمية المتخصصة للمصطلحات العلمية والتقنية وأن للدقة والتحديد الأهمية القصوى فيها، فقد كان المعيار الأساسي هو اختيار المصطلح العربي الذي يعبر بدقة وأمانة وموضوعية...عن المعنى والمضمون والمحتوى العلمي للمصطلح الأجنبي وينقل رسالته العلمية والفكرية بأقصى كفاءة"[8].

والدقة المصطلحية تفترض اجتناب الاصطلاح بلفظ واحد لمدلولات علمية مختلفة، فمن المعروف أن اللغة العربية تزخر بكميات كبيرة من الألفاظ المختلفة الدالة على المعاني المتقاربة، وهي حال كل لغة غنية معطاء بمعان عديدة للفظ الواحد ومع كل هذا لابد من التأكيد أن مما يربك الباحث في المجالات العلمية ويؤدي إلى الالتباس العلمي والغموض، أن ترد اللفظة الواحدة كل مرة بمعنى اصطلاحي غير المعنى الذي استعملت من أجله في موضع آخر وهو ما يسمى بالاشتراك

اللفظي ومن أمثلة ذلك استعمال مصطلح الدواء للتعبير عن "Drogue" و "Médicament"[9].

كما تفترض الدقة المصطلحية وجوب الاحتراز من استعمال عدة مصطلحات للدلالة على معنى واحد وهو ما أقرته ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية في مبدئها الثاني الذي نص على ما يأتي: "وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد، ذي المضمون الواحد، في الحقل الواحد"[10] وذلك بهدف تجنب ظاهرة الترادف التي تؤدي إلى الاضطراب في التواصل العلمي، اللهم إذا استخدمت للتفريق بين المفاهيم المتقاربة، حيث قال علي القاسمي في هذا السياق: "ولكن المترادفات تعد نعمة إذا استعملت للتفريق بين المفاهيم المتقاربة، وهي نقمة إذا وضع عدد منها مقابلا للمفهوم التقني الواحد إذ أن ذلك سيؤدي إلى اختلاف الاستعمال وتعدده"[11] ومن أمثلة الترادف نجد المقابلات التالية "الرشح"، "الزكام"، "إصابات البرد"

للتعبير عن المفهوم العلمي " Common cold".

إن الهدف من المقاييس السابقة هو الوضوح والدقة، أما الغاية البعيدة منها فهي تحسين عملية التواصل بين العلماء والعاملين في حقل المصطلحات.

وهناك مقاييس خاصة ببعض اللغات مثل المقاييس التي استخرجها العرب لاختيار مصطلحات لغتهم أو توليدها مثل تفضيل اتخاذ مصطلح عربي على المصطلح المعرب وهو ما دعا إليه جميل الملائكة في مقاله:" في أساليب اختيار المصطلح العلمي ومتطلبات وضعه" لكون أن المصطلح العربي أدعى للفهم والاستيعاب من المصطلح المعرب، غير أنه يرى ضرورة قبول الأسماء الشائعة لبعض الأعيان والجواهر كالعناصر والمركبات الكيمياوية والعقاقير استثناء من القاعدة مثل: (كلوريد البوتاسيوم، الفيتامين...) ريثما يتيسر ما يحل محلها (12).

تفضيل الصيغة الجزلة الواضحة وتجنب النافر والمحظور من الألفاظ فلا داعي للاصطلاح بالرجل (المفغوم) بدلا من الرجل (المزكوم)، ولا للاستعاضة بالعين (البخقاء) عن العين (العوراء) ففي كل ذلك مجلبة للنفرة فضلا عن خفاء المعنى على السامع.

ومن المقاييس المستحسنة في اللغة العربية أيضا نجد:

- تفضيل الكلمة المفردة لأنها تساعد على تسهيل الاشتقاق والنسبة والإضافة والتثنية والجمع، فضلا عن توفرها على شرط الاقتصاد اللغوي.

- تفضيل الكلمة الشائعة على الكلمة النادرة أو الغريبة إلا إذا التبس معنى المصطلح العلمي بالمعنى الشائع المتداول لتلك الكلمة (13).

- استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية وفق ترتيب مجمع اللغة العربية بالقاهرة، حيث قال الصيادي في هذا السياق: "... أما طريقته في وضع المصطلحات فهو يبدأ بالتنقيب عنها أولا

في كتب اللغة والعلم القديمة، فإذا وجدها اعتمدها وإذا لم يجدها، لجأ إلى الاشتقاق أو المجاز أو التصغير، أو نحو ذلك من القوانين اللغوية، حتى تكون ثروة مستمدة من أصولها ومواردها، فنستغني بها عن سواها...ويجيز المجمع استعمال الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب" [14]. تلك بعض المقاييس الخاصة باللغة العربية العلمية التي تهدف إلى المحافظة على نظامها.

الدراسة الميدانية:

اخترت عينة من النشرات العربية المستعملة في كل من الجزائر والأردن وسوريا والخاصة بالأمراض الجلدية والروماتزمية والحنجرية ورقمت النشرات بالنسبة إلى كل بلد وكل مرض، وقد عمدت إلى هذه الطريقة في الترقيم بغرض ذكر رقم النشرة التي ورد فيها كل مقابل عربي بعد جرده منها.

قمت بجرد المفاهيم انطلاقا من اللغتين الانجليزية والفرنسية مع

مقابلاتها العربية، بحيث يحمل كل مقابل عربي رقم النشرة التي ورد فيها.

صنفت المصطلحات الطبية التي استخرجتها من النشرات الدوائية إلى فئتين انطلاقا من المفاهيم المشتركة بين ثلاثة بلدان وبين بلدين، ورتبت المفاهيم السابقة ترتيبا ألفبائيا.

قارنت بين المصطلحات الطبية الواردة في نشرات الأدوية فيما بينها، ثم قارنت بين المصطلحات الطبية الواردة في نشرات الأدوية مع المعجم الطبي الموحد.

وفيما يأتي أمثلة لهذه المقارنة:

المفهوم الطبي:	المقابل العربي الخاص بكل مرض:			
	المصطلح العربي في المعجم الطبي الموحد 1983	المصطلح العربي في النشرات الأردنية	المصطلح العربي في النشرات السورية	المصطلح العربي في النشرات الجزائرية
Anti-rheumatic Antirhumatism	مضاد الرثية	مضاد للروماتـ	مضاد للرثية (	ضد الروماتـ

	زمية (9)	(5	يزم (8) (3)	ص50
Dysmenorrhea Dysménorrhée	عسر الحيض (2)	آلام الطمث (1)	آلام الحيض (8)	عسيرة الطمث ص240
Absorption Absorption	الامتصا ص (3)	الامتصاص (10)	امتصاص (11)	امتصا ص ص 5
Antipyretic Antipyrétique	مضاد للحمى (3)	خافض للحرارة (1)	مقاوم للحمى (2)	مضاد للحمى ص50
Infection Infection	التهاب (15) إنتان (12) (14) التعفن (7) (9) (15)	الإنتان (7) (9)	الالتهاب (1) الأمراض (8)	خمج ص 331
Pregnancy Grossesse	الحمل (2) (4) (6) (10)	الحمل (1) (6) (8)	الحمل (1) (7) (9)	حمل حبل ص 512
Atopic dermatitis	التهاب الجلد	التهاب الجلد	غير موجود	التهاب

Dermite atopique	الحساسية (9)	التأتبي (4) (5)		الجلد التأتبي ص224
Eczema Eczéma	إكزيما (9)	الاكزيما (11) (3)	الاكزيما (11) (2)	إكزيمة (نملة) ص243

تبين لنا من خلال المقارنة السابقة لعدد من المصطلحات الطبية وليس فقط التي وضحناها في الجدول أن هناك نسبة معينة من المصطلحات الطبية غير موحدة بين النشرات العربية، كما تبين لنا كذلك من خلال عملية المقارنة بين المصطلحات الطبية الواردة في مختلف النشرات الدوائية وبين المعجم الطبي الموحد أن هناك نسبة معينة من المصطلحات الطبية غير موحدة مما يدل أن ما وضعته منظمة الصحة العالمية واتحاد الأطباء العرب غير مستعمل كليا لدى الدول العربية. ومثل هذا الوضع يعد مناقضا لما يجب أن يكون عليه المصطلح العلمي وخاصة في مجال العلوم الطبية التي تحتاج إلى ضبط ألفاظها وعباراتها أكثر من العلوم الأخرى نظرا للانعكاسات

ذات الأثر السلبي على صحة الأفراد ويمكن رد هذه الاختلافات إلى الحالات الآتية:

وجود ظاهرة تعدد المقابلات العربية للمفهوم الأجنبي الواحد، وهو ما يسمى "بالترادف" ومثاله المفهومان "Respiratory tract" و "Anti-rhematic" اللذين تمت مقابلتهما ب " المجاري التنفسية، الطرق التنفسية، القناة التنفسية" و"ضد الروماتيزمية، مضاد للرثية، مضاد للروماتيزم" في الجزائر وسوريا والأردن.

وجدنا أحيانا أن المقابل العربي الواحد يطلق على مفهومين فتولد عن ذلك ما يسمى بالمشترك اللفظي وهذا ما يسبب اضطرابا وبلبلة، وفي هذا السياق تقول ليلى المسعودي:" إن المصطلحات الطبية في الاستعمال تفتقر إلى الدقة والضبط ... فأسماء الأمراض تظهر اضطرابا في المفاهيم ف" التهاب اللوزتين" و "الدفتيريا" يقابلان اسما واحدا وهو "Angine". مع أن مرض "الدفتيريا" أو "الخناق" أخطر بكثير من التهاب اللوزتين" (15).

الاختلاف في طريقة وضع المصطلح بين الترجمة والتعريب: مثل صياغة المصطلحات الآتية: "الجلد الفطري،ودارماتوفيت"، "فرط أشعار والهيبرتريكوز" وهي الأزواج المقترحة للمفاهيم الآتية: "Dermatophyte"، " Hypertrichosis".

طبيعة المصطلحات المتفق عليها:

إن المتأمل في المصطلحات المتفق عليها يلاحظ ما يلي:

- أن معظم المصطلحات التي وردت موحدة كليا وهي معروفة وشائعة عند كل من له علاقة بالمرض، مما ساعد على انتشارها وتداولها بين المرضى ومن أمثلة ذلك: الحمى، الأنف، حكة، الجلد في مقابل "Fever "، " Nose"، " Pruritis"، "Skin.

- وجود تلك المفاهيم وما يقابلها من مصطلحات في التراث اللغوي العربي ومن أمثلة ذلك المصطلحات التالية: الربو، الحمل، إسهال، الأنف، الأرق، الألم، غثيان(16)...ومثل هذه النتيجة توصل إليها الأستاذ الطاهر ميلة في دراسته لطبيعة

المصطلحات اللسانية المتفق عليها في مقاله: " مقارنة المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات بعينة من المسارد المصطلحية "[17].

ولمعرفة كيفية تعامل المرضى مع النشرات السابقة وتبيان الصعوبات التي تواجههم أثناء قراءتها بغرض حلها، عمدت إلى إجراء استبيان[18] وزعته على عدد من المرضى الذين تراوحت أعمارهم بين 18 و64 سنة.

وقد اشتمل الاستبيان على مقدمة بينت فيها الغرض منه، وركزت فيها على أهمية الإجابات التي سيدلي بها المرضى.

البيانات الشخصية:

أرفقت كل استبيان ببطاقة شخصية اشتملت على البيانات الشخصية الخاصة بالمرضى من حيث الجنس والسن وتكون الإجابة عن هذه الأسئلة بوضع علامة (x) في الإطار المناسب.

محاور الاستبيان:

اشتمل الاستبيان على ثلاثة محاور و14 سؤالا وتثمل هذه المحاور فيما يأتي:

- المستوى التعليمي للمريض ومدى تأثيره على فهم نشرة الدواء.

- نوع المرض واقتناء الدواء.

- نشرات الأدوية العربية وكيفية استعمالها.

اشتمل المحور الثالث على الأسئلة التالية:

- هل تستعمل النشرة الواردة مع الدواء بشكل منتظم؟

توصلت من خلال الإحصاء الذي قمت به إلى أن عدد المرضى الذين يستعملون النشرة الواردة مع الدواء يفوق عدد المرضى الذين لا يستعينون بالنشرة الدوائية لفهم كيفية استعمال الدواء، وهذا النوع الأخير من المرضى يعتمدون في ذلك على ما يقوله لهم الصيدلي أو يستشيرون بعض الأقارب، وقد تبين لي أن أغلب المرضى السابقين ممن لا يحسنون اللغات ومنهم بطبيعة الحال من يحسن قراءة هذه النشرة ولكن لا يعود إليها.

- ما هي اللغة التي تعود إليها أثناء قراءة النشرة الدوائية الجزائرية؟

لاحظت أن كل مريض يرجع في البداية إلى اللغة التي يحسنها فبالنسبة إلى المرضى الذين اعتمدوا على اللغة العربية في فهم محتوى النشرة الدوائية الجزائرية فقد واجهتهم بعض الصعوبات ومن بينها:

وجود بعض الأخطاء المطبعية مما يؤدي إلى عدم فهم المعنى المراد من الكلمة.

عدم ترجمة بعض المصطلحات والجمل وقد يصل الأمر إلى وجود فقرة بأكملها غير مترجمة مما يؤدي إلى خلل في النص المترجم.

أما بالنسبة إلى المرضى الذين يعتمدون على اللغة الأجنبية فرغم إتقانهم لهذه اللغة فقد واجهتهم بعض الصعوبات وأخص بالذكر مشكلة المصطلحات العلمية التقنية وهذا ما يدفعهم إلى

الاستعانة بمعجم متخصص لفهم المراد من المصطلح.

- ما هي اللغة التي تعود إليها أثناء قراءة النشرة الأردنية

لاحظت أن أغلب المرضى يعتمدون على اللغة العربية لفهم محتوى هذه النشرات وقد واجهتهم بعض الصعوبات، ولعل أهمها وجود بعض المصطلحات غير واضحة ومفهومة من قبل المرضى لعدم معرفتهم بها وعدم تعودهم عليها.

وبالتالي لا يمكن أن ننكر أو نتجاهل أثر هذا الأمر في فهم المريض لمحتوى النشرات الدوائية فمن المفروض أن تكون لغة هذه النشرات لغة بسيطة وواضحة لما لها من علاقة مباشرة بحياة الناس ولهذا أقترح ما يلي:

- ضرورة وجود هيئة تعمل على مراجعة النشرات المترجمة و تصحيحها قبل توزيعها على الصيادلة.

- أن يكون المترجم متخصصا وعارفا للغة المنقول منها واللغة المنقول إليها.

- ضرورة توحيد المصطلحات العلمية وخاصة إذا تعلق الأمر بالعلوم الطبية وبذلك نحافظ على سلامة العربية ووحدتها وعلى سلامة الأفراد في صحتهم وأمنهم. فنحن نحتاج إلى لغة وظيفية بسيطة وواضحة ودقيقة لنشر المعارف العلمية والتقنية في الأوساط العريضة من الجمهور، لأن بهذه اللغة نستطيع أن نرفع المستوى الثقافي والعلمي لتثقيف الجماهير، وقد سبق للمجلس الأعلى للغة العربية أن قام بمثل هذا العمل حيث أعد دليلا للمحادثة الطبية ليبلغ الأطباء معلوماتهم بلغة بسيطة يفهمها عامة الناس وهذا يدخل في إطار نشر اللغة العربية العلمية على نطاق واسع في أوساط الفئات الاجتماعية المختلفة.

فدليل المحادثة الطبية هو ثمرة عمل شارك في إعداده جمع من خبراء مختصين في الطب، وأساتذة جامعيين مختصين في اللسانيات بوجه عام والمصطلح بوجه خاص بغرض إثراء المكتبة العربية في الميدان الطبي، ومحاولة حل معضلة الاتصال بين الطبيب والمريض.

يتضمن هذا الدليل: المحادثة الطبية مبوبة حسب الأجهزة والحالات المرضية، ومعجم عربي-فرنسي وفرنسي-عربي للمصطلحات الطبية، ويحتوي فضلا عن ذلك على ملحقات لنماذج من الشهادات الطبية والاستمارات والتقارير الطبية والبرامج الصحية والصور التوضيحية لمختلف الأجهزة [19].

والباحث في دليل المحادثة الطبية يلاحظ أن المصطلحات التي بني عليها هي نفسها الموجودة في المعجم الطبي الموحد، مما يدل على اعتماد هؤلاء المختصين عليه في اختيار المقابلات العربية وهذا ما يجعل هذا الدليل تجربة جيدة في نشر العربية العلمية وتعميم استعمالها.

Y

الهوامش

(1): اتحاد الأطباء العرب، منظمة الصحة العالمية، المعجم الطبي الموحد، انجليزي-عربي-فرنسي (دت)، 1983.

(2): المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة، مطابع الأوقست، 1985، الجزء الأول، ص540.

(3): شحادة الخوري، دور المصطلح العلمي في الترجمة والتعريب، مجلة علامات في النقد، المجلد السابع، الجزء التاسع والعشرون، سبتمبر، 1998، ص181.

(4): إدريس بن الحسن العلمي وأمل العلمي، مفهوم المصطلح الطبي وعلمه، www.arabic/wata ص 3، تاريخ الحديث05-2007.

(5): المرجع نفسه، ص 4

(6): المرجع نفسه، ص 4

(7): انظر أحمد شفيق الخطيب، منهجية بناء المصطلحات وتطبيقاتها، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ص530، 532.

(8): كمال السيد محمد، الكتاب التقني المعرب، أوضاعه ومشاكله، بحوث ومناقشات ندوة التعريب، الاتحاد العربي للتعليم التقني، 1982، ص 76.

(9): انظر، جميل الملائكة، في أساليب اختيار المصطلح العلمي ومتطلبات وضعه، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد 30، 1979، ص 187.

(10): المبادئ الأساسية في منهجية وضع و اختيار المصطلحات العلمية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 75، الجزء 3، 1999، ص 556.

(11): علي القاسمي، مقدمة في علم المصطلح، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، 1985، ص 76.

(12): انظر، جميل الملائكة، في أساليب اختيار المصطلح العلمي ومتطلبات وضعه، ص 190.

(13): المبادئ الأساسية في منهج وضع واختيار المصطلحات العلمية، مجلة اللغة العربية بدمشق، ص 557.

(14): محمد منجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985، ص 73.

(15): ليلى المسعودي، المصطلح الطبي وتقاطع المجالات، اللسان العربي، مجلة يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي بالرباط، العدد 43، 1997، ص 37.

(16): انظر، ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، المجلد 10، 11 ص 4، 212، وكذلك التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان، بيروت، 1992، الجزء الأول، ص200.

(17): انظر الطاهر ميلة، مقارنة المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات بعينة من المسارد المصطلحية، الآداب واللغات، جامعة الجزائر، العدد 2، 2008، ص

(18): الاستبيان: " أداة من أدوات البحث معدة لجمع البيانات بهدف الحصول عن مجموعة من الأسئلة أو الاستفسارات المكتوبة في نموذج أعد لهذا الغرض ويقوم المبحوث بتسجيل استجاباته بنفسه" خير الدين علي عويس، دليل البحث

العلمي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص 71.

(19): انظر دليل المحادثة الطبية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربي، 2006.

توحيد مناهج اللغة العربية
في الأقطار العربية : "العوائق والحلول"

عبد الله أبو هيف (سورية)

مناهج اللغة العربية أصيلة ومتطورة في الموروثات اللغوية والثقافية، ومتعمقة في نظمها وقواعدها، وملتزمة برؤاها العلمية، وقوانينها اللغوية واللسانية بنى ووظائف، وممثلة لعناصر التمثيل الثقافي في مكونات الأعراف والطقوس والتقاليد والأديان والمعتقدات والأفكار، لتمتين الأسس الوطنية والقومية، وتجليات وعي التاريخ والذات العامة في مستوياته المختلفة، مما تفّعل عمليات المنهجية علمياً ومعرفياً من الصوتيات، والتشكيليات الصوتية، والنحويات، والمعجميات، والدلالات، إلى المنهجيات الحديثة العديدة كالتداوليات، والتركيبيات، والمعياريات

... الخ.

ما تزال العناية القصوى بتوحيد مناهج اللغة العربية في الأقطار العربية منشودة لمواجهة الفتن الداخلية والاستهدافات الأجنبية الخارجية خلاصاً من رؤى العوائق وتجلياً لرؤى الحلول لترسيخ اللغة العربية في الوجود الوطني والقومي بعامة والقضايا الثقافية والاجتماعية بخاصة.

1 - مناهج اللغة العربية :

يرتهن مفهوم المنهج بالبحث والنظرية والتطبيق إزاء القواعد اللغوية وطرائق الكشف عن طبيعتها وحقائقها ومنتوجاتها من جهة، ونظم تحليل المقدمات والمحتويات والنتائج نظرياً وعلمياً ومعرفياً ومعيارياً واستنتاجياً من طرائق الأطر النظرية والتحليلية والتطبيقية من جهة أخرى. وتقوم مناهج البحث اللغوي على النظم التالية :

- الصوتية : (اللفظ والجهر والصوت والجرس والحس و النطق .... الخ)
- التشكيلية الصوتية : (التنويع بين الصحيح والتعليل، التوظيف والتفريق، السياق والموقع، النبر و التنغيم .... الخ).
- الصرفية : (الصيغ والاشتقاق والإضافة والملحق والتصريف و الممنوع من الصرف) .
- النحوية : (المعرب، المبنى، المنسوخ، الضمائر، الأفعال، الأسماء، قواعد الاستصحاب، الترادف، الاقتراض، الإضافة، التيسير .... الخ).
- المعجمية: (الإيضاح، الشرح، الفروق، مواقع الكلمات والضمائر، التفسير، الحوسبة .. الخ).
- الدلالية: (المعنى، العلامة، الإشارة، السياق، الترادف، الاشتراك، الاشتمال، التضاد، التباين، الحقيقة والمجاز، الافتراض ... الخ).
- التداولية: (الفاعلية والتفعيل والتوظيف الظاهر والكامن).
- التركيبية: (الاشتقاق والتشكيل والتصنيف والأسلوبية).

- المعيارية : (التفريع والتصنيف والتعقيد والتركين القاعدي) .
- العلائقية : (اللفظ والملفوظية) .
- التحويلية : (المكونات والقواعد والبلاغة والإبلاغ) .
- التوليدية : (البنى و التفسير) .

لا فروق بين المناهج اللغوية الأصيلة وتطويراتها الحديثة، بل هي شديدة التواصل بين المكونات اللغوية، ومعطياتها التقنية نظرياً وتطبيقياً ضمن خصائص اللغة العربية وقضاياها، وتعتمد منهجية البحث في اللغة على المراحل التالية :

1-1 - التخطيط، فيما يخصّ إطار البحث وتفاصيله، وتحديد محتواه، وطرائق مناقشة موضوعه، واتجاهاته اللغوية والنقدية، وتفاصيل البنى والتحرير والتحليل، والنتائج، ووضع المخططات، والمواد المدروسة، والمصادر والمراجع ... إلخ

إن التخطيط من أبرز أسس المناهج،

وله شروطه في عون التعلم والتعليم اللغوي، عندما تراعى الدوافع في التعلم المدرسي، وعوامل النضج عند المتعلم في التعليم المدرسي أيضاً، والممارسة الواعية للخصائص اللغوية ونظمها ما بين المفاهيم القديمة والحديثة، وأهمها، برأي الباحث عيسى خليل محسن، تثبيت التخطيط بتطوير المناهج، وتعزيز مفاهيمها، ووظيفية المواد اللغوية التعليمية، وربط محتوى المناهج بواقع المجتمع، من حيث مشكلاته واحتياجاته وإمكاناته ومتطلباته، ومعايير ملاءمة المنهجية وأنواعها، بما لا تنقطع الخصائص اللغوية الدراسية وحاجات المتعلمين ومجتمعهم، ومقدراته على حل المشكلات والإشكاليات اللغوية، واستخدام الأساسيات في بناء المنهج اللغوي، لأن " تعلم الأساسيات يساعد على زيادة فهم التلاميذ، كما يدرسون من القواعد المقبولة، عند رجال التربية وعلم النفس حيث أن التعلم يكون أكثر فاعلية، عندما تكون المادة المتعلمة ذات معنى للتلاميذ " ([1]) .

لا شك في أن التخطيط اللغوي من أبرز أسس المنهجيات حماية لأطر التعلم اللغوي واشتراطاته فيما يخصّ الأشكال والمحتويات

1- 2 - العتبات النصية، كالعنونة الرئيسة، والعنوانات الداخلية، والإهداءات، ومفاتيح القول والكلام والنص، والهوامش والإحالات، والوثائق، والصور والملاحق، في الإلماح أو الإفصاح عن تركيبها وغموضها وتقديرها وهناك العتبات النصية الكامنة في منشورات المتناصات العالية، لأنها أعمق من مجرد التضمين المباشر.

1 - 3 - مجاوزة مشكلات البحث وإشكالياته، على أن المنهجية تتطلب الإضاءة العلمية والمعرفية للموضوع المدروس، إذ أن جوهر البحث هو تقصيه للمشكلة أو الإشكالية المدروسة، عند تناول الشكل والمحتوى، وأفادت دراسة " منهجية البحث " عند ماثيو جيدير، الأستاذ في جامعة ليون الثانية، أن " تتوقف الإشكالية على الموضوع المعالج ووجهة النظر المختارة لمعالجته، وكل

مجال دراسي يملك مجموعة من الإشكاليات المتواترة وشبه المستعصية، والتي ينبغي للباحث أن يأخذها بالحسبان حين يتناول نقطة معينة من المجال "([2]).

رأى اللغوي محمود فهمي حجازي أن المناهج اللغوية العربية مرتبطة بمجالاتها أولاً، كالأصوات، وبناء الكلمة، وبناء الجملة، والدلالة، وبمناهج علم اللغة الحديث ثانيا، كمعلم اللغة المقارن، والوصفي، والتاريخي، والتقابلي، وبعلم اللغة العام والعلوم الإنسانية ثالثاً، وفي مقدمتها علم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، إلى جانب طبيعة اللغة ووظيفتها، " ويشترك علم اللغة مع بعض العلوم الطبية فيما يتعلق بعلم أمراض الكلام وهكذا أدى تنوع المعرفة الإنسانية وانفجار المعرفة إلى زيادة حجم المعلومات المتاحة من جانب، وإلى ضرورة التعاون بين اللغويين وغيرهم من الجانب الآخر، فنشأت تخصصات جديدة "([3])

إن مجاوزة مشكلات البحث وإشكالياته محكومة بعلم اللغة العربية ومنهجياتها

ومعارفها وخصوصياتها شكلا ومحتوى.

1 - 4 - ارتهان تحرير البحث بقواعد الاتجاهات الدراسية والنقدية في علم اللغة، من المقارن والتاريخي، إلى النفسي والاجتماعي والجغرافي والوصفي والبنيوي والتوليدي والتحويلي والتوزيعي والدلالي والتداولي .. الخ وهذا هو مستند الرؤية العلمية في المنهجية، اهتماماً بالمنهج المقارن والتاريخي للإفادة في المناهج والاتجاهات الأساسية والمتطورة والحديثة، ولا يخفى أن هذه المناهج والاتجاهات لا تنقطع عن الموروثات وجهود المنهجية العلمية عند اللغويين العرب القدامى أمثال ابن جني، وابن الأنباري، وابن هشام، وعبد القاهر الجرجاني، وجلال الدين السيوطي، وابن قتيبة، وابن مضاء القرطبي، وسيبويه وغيرهم.

1 - 5 - العناية بالمقدمة أو التمهيد، وبالخاتمة أو الاستخلاصات والنتائج لتوضيح الموضوع المعالج، ففي المقدمة أو التمهيد تحدد أبعاد الموضوع

وطرائق بحثه وخصائص المنهج أو الاتجاه الملتزم، وفي الخاتمة أو الاستخلاصات والنتائج يفصح البحث عن مدى التقيد بالمنهجية العلمية والمعرفية.

1 - 6 - الالتزام بالنظرية والتطبيق في البحث المدروس وفق المنهجية المقررة، وقوام النظرية هو المفاهيم والمصطلحات والطرائق والقواعد والتيارات الدراسية والنقدية، وهناك العديد من المناهج والاتجاهات المعبرة عن النظريات وتطبيقها، كالتاريخي والمقارن والوصفي والوظيفي، والتحويلي التوليدي، والتداولي، وكلما تعمق البحث في المنهجية عند التقيد بهذا المنهج أو ذاك، تضاء البنى والأبعاد والرؤى والقضايا اللغوية، ففي المنهج أو الاتجاه الوظيفي على سبيل المثال تتكشف المعاني والمدلولات والقيم والعلاقات والقرائن والمباني وقواعد التعبير. وقد أظهر الباحث عطا محمد موسى في دراسته لمناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين أن " أبرز ما في النحو الوظيفي أنه ينظر إلى البعد

التداولي على أنه عماد اللغة، وأن الوظائف، بوحي من ذلك، تعتمد مفاهيم أولى لا مشتقة من بنيات أخرى، كما في النحو التحويلي، كما أن إسناد الحالات الإعرابية يتم في ضوء ثلاثة أنماط من الوظائف هي : التركيبية و الدلالية والتداولية إلا أن الأمر يقتضي الإشارة إلى بعض الصعوبات التي تعترض الأخذ بهذا المنحى على الرغم من أنه يتسم بالواقعية اللغوية "([4]).

يتطلب الالتزام بالنظرية والتطبيق تحديد المنهجيات المقررة للتعبير عن الوظائف اللغوية والثقافية، ولاسيما المفاهيم والمصطلحات والطرائق والقواعد والتيارات الدراسية والنقدية نحو ضبط منهجية البحث في اللغة العربية .

2 - الإطار النظري المنهجي :

يرتهن الإطار النظري المنهجي بالمنظورات والمعايير، وأساسها الرؤى العلمية والقوانين اللغوية واللسانية، وهي ملامح عامة وخاصة متأصلة في

الموروثات اللغوية العربية عند الجرجاني وأبي علي الفارسي وابن جني والسكاكي وابن جزم والسيوطي و أحمد بن فارس وغيرهم، ورسخ اللغوي عمار ساسي هذه الرؤى في المبادئ التالية :

أ - الانطلاق من أن اللغة نظام .

ب - اللغة ظاهرة اجتماعية، وترتبط البنية اللغوية فيها بوظيفة الاتصال التي تؤديها اللغة .

ج - تلازم اللغة والتفكير .

د - التتام بين النطق والتفكير ووظيفة الإبلاغ منذ بداءة نشأة الكلام الإنساني .

هـ- التلاقي بين المحسوس والمجرد، واكتمال أصوات اللغة وتعبير مفرداتها عن المجردات، وضبط نظام قواعدها الصرفية والنحوية والتركيبية .

و - توثيق الترادف اللغوي ألفاظاً وتسميات حسية وتفكيراً وإدراكاً بعد التركيز في تجريدات .

ز - تأليف النظام اللغوي في

مستوياته العديدة، ولاسيما البنى الصوتية والصيغ الصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية .

ح - دراسة النظام اللغوي وتطوراته من التاريخ والمقارنة والمفارقة إلى خصوصياته في التعبير عن عناصر التمثيل الثقافي. و "من أجل فهم أسرار إعجازه العلمي في الدراسة اللغوية لا بد من التعمق في فهم المنهج التاريخي العلمي في الدراسة اللغوية، مع تأكيد إنكار ظاهرة الترادف والبحث عن الفروق الدقيقة بين ما يظن أنه من المترادفات " ([5]) .

يتكامل الإطار النظري المنهجي بالمنظورات والمعايير في الأطراف اللغوية التالية :

2 - 1 - منظورات الإطار النظري المنهجي :

إنّ منظورات الإطار النظري المنهجي تستند إلى النظرية اللغوية العربية في مفرداتها وتراكيبها وقواعدها لإظهار تجليات الأشكال والمحتويات وفق

المصطلحية اللغوية، وتندرج التراكيب في الفعلية والاسمية والتوليدية والتحويلية والتراتيبية، وأرفقها اللغوي مازن الوعر بالتركيب الفعلي، والتركيب الاسمي ذي الخبر الفعلي، والتركيب الاسمي ذي الخبر الاسمي، والتركيب الكوني، و" هذه التراكيب الأربعة عرضة لتحولات عدة، بعضها لا يحتاج أبداً إلى ضابط، وبعضها الآخر يحتاج إلى ضابط، وذلك من أجل توليد تراكيب نحوية صحيحة "([6])

لا تنفصم منظورات الإطار النظري المنهجي عن العملية في اختيار المنهج أو الاتجاه الدراسي والنقدي ونمذجته الراصدة للجزئيات اللغوية وكليتها، ومن أبرزها المنهج الاستدلالي أو التجريبي أو التاريخي أو الجدلي القائم على التناظر والاصطلاحية والاستقراء، " ولا بد من منسق لهذه المناهج، بحيث ينتهي إلى قواعدها العامة وخصائصها وهذه المناهج ليست على ثبات دائم، فأدوات العلم وتطبيقاته وحاجاته في تغيّر وتطور، وبالتالي فعلى المناهج أن تواكب العلم، وتتجدد معه، وإلا فإنها تفقد خصبها "([7]) .

يعتمد الإطار النظري المنهجي في منظوراته على دقة البنية اللغوية ووظيفتها وأسسها الوطنية والقومية لتجليات وعي التاريخ والذات العامة في مستوياته المختلفة، ولا سيما تقصي الإشكاليات السياسية والاجتماعية والإنسانية في القضايا اللغوية، ولا تنفصل النظرية عن حسن ممارسة طرائق التحليل وترتيباته التاريخية والوصفية والبنيوية والتوزيعية والوظيفية والاجتماعية، والتوليدية التحويلية من خلال طرق الشرح بالشواهد : المنطقية والوظيفية والشكلية والتشبيهية والتحليلية والاشتمالية والتقليدية، وأبرز الشواهد هي القياسية والاجتماعية وتوثيقها في بحث صافية زفنكي عن تطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العربية الحديثة على سبيل المثال، وقد أضاء اللغوي أحمد مختار عمر هذه المنظورات في القضايا النظرية، فهناك " من رأى أنه قد تأخر تطبيق المنهج السياقي في المعجمات تطبيقاً شاملاً مستعصياً نظراً لحاجته إلى مسح لغوي شامل أو شبه شامل،

هذا المسح الذي تستخدم فيه الحواسيب والماسحات الضوئية، وإنشاء قواعد البيانات، وتجهيز ملفات الاقتباس، وهو مالم يتوفر للمعجمات العربية حتى الآن، والتي مازالت تعتمد على المسح البشري والجمع اليدوي "(8) .

ثمة إفادة للإطار النظري المنهجي عند الاهتمام بالقضايا الدلالية والمصطلحات والاتجاهات البحثية اللغوية في تواصلها مع الدلالة اللسانية على وجه الخصوص بدرس اللغوي منذر عياشي للسانيات والدلالة لتعمق المعالجة والممارسة في المنهجية اللسانية الباعثة الدلالة التصورية المستقلة عن السياقية العامة، وتدرس اللسانيات التداولية المضامين الدلالية انطلاقاً من ارتباطها بصياغتها التعبيرية . وقد " استحقت اللغة في إنتاجها للدلالة أن تكون موضوع دراسة يعكف عليها اللسانيون، وبها يشتغلون. ولقد كان الأمر كذلك قديماً، ولا يزال حديثاً. فتعددت الاتجاهات، وتنوعت المدارس، وتلونت المناهج، وكثرت أدوات التحليل سعياً وراء الوصول إلى الدلالة

اللسانية "[9] .

تطور الإطار النظري المنهجي في العلوم اللغوية باللسانيات التي تندغم مع الدلالية وأبعادها العميقة العديدة في المعاني وما وراءها، ولطالما ربط علماء اللسانيات، مثل مازن الوعر، تشابكات اللسانيات والمنهجية الجديدة للغة العربية، توكيداً في الحال نفسها لصلة القربى بين اللسانيات والتراث اللغوي العربي وإمكانية تطوير ما يضّمه هذا التراث العربي من نظرات لسانية بغية المساهمة في الحضارة الحديثة، إذ " لا يمكن تطوير هذه النظرات اللسانية في التراث العربي إلا من خلال منهج لساني جديد لفهم بنية اللغة العربية "[10] .

يدفع الإطار النظري المنهجي للمنظورات والسمات اللغوية إلى ثراء القواعد والوظائف لدى العناية باللسانيات والدلالية .

2 – 2 – المعايير في الإطار النظري المنهجي :

تأخذ المعايير مكانة عالية في الإطار النظري المنهجي، وأساسها التلقي، والتعليم، والقراءة، والتفكير، والكتابة، والاستماع والتحدث، أما محاورها الرئيسة فهي الكلمة والنحو (الجملة) والاستماع والتحدث، والقراءة والكتابة، ثم تعالقت مع مكانة تقنية المعلومات في المعايير العربية التربوية والتعليمية والشخصية، كاستخدام الحوسبات والشابكات " للحصول على معلومات، ولتطوير قدرة القراءة للفهم، والبحث عن المعلومات، وإعادة ترتيبها بأشكال مختلفة، وكذلك تلخيصها وأنظمة التعليم الجماعية أو الفردية التي يستخدمها المعلمون والطلاب لغرض: نشاط القراءة والكتابة المشتركة في الفصل أو مجموعات، حيث يشارك الجميع في التحليل أو التصويب أو إعادة صياغة نصوص تعرض على شاشة يراها الجميع، وممارسة الألعاب التفاعلية، فردية أو جماعية، أو أنشطة تطبيق أو تقييم كفاءة اكتساب المهارات "([11]) .

صار جلياً أن معايير اللغة العربية

مرتهنة بمعالجة التفاصيل، ومراحل الإعداد، والأهداف، ومستويات اللغة العربية ومهارات كتابتها وقراءتها وحديثها واستماعها في التأليف والحوار والمخاطبة والنجوى .

ثم تنفتح المعايير رحيبة مع اختيار المنهجية وتحديد موضوعاتها وطرائق تناولها ومعالجتها في النظرية ضمن آليات الوصف والتحليل والاستنباط عند اختيار الموضوع، ورسم خطته، واقتناء مصادره ومراجعه، وجمع المعلومات، وخصائص الكتابة في البنى، والمفاهيم، والتأليف، والتوليف، والاستنتاجات، و الأهم هو حصر أنواع المناهج المعتمدة في النظرية المدروسة، لأن " المناهج النصية وتفرعاتها كالبنيوية والسيميائية، والتداولية، واللسانية الاجتماعية، والموضوعاتية، والتلقي، وسوسيولوجيا النص، والتناصية، والنسقية تعتمد الوصف والتحليل، أو التاريخ أو المقارنة مما يعد جوهر المناهج السياقية، وهذا يعني أن الباحث في العلوم الإنسانية واللغة والأدب، توفرت لديه من الوسائل والآليات

الكثيرة، مما يسمح له بدراسة الظواهر المختلفة، وإيجاد الحلول لأسئلة كثيرة .. فكل منهج إذا ما استوعب يوفر للباحث الإحاطة بالظاهرة المدروسة بكل دقة وموضوعية "([12]) .

غدت المعايير نافعة في الإطار النظري المنهجي كلما تعمقت المنهجية اللغوية بالأبعاد الثقافية واللغوية ومعالجة الموضوعات والطرائق والآليات اللغوية .

2 - 3 - ضوابط المنظورات والمعايير :

ينظم الإطار النظري المنهجي مع الأهداف الضابطة للمنظورات والمعايير في التعليم بعامة والتلقي بخاصة، تواصلاً بين خصوصيات اللغة العربية، وبناء المنهجية، وعناصرها، وتنظيمها، وعواملها المؤثرة، وقد حدد اللغوي رضوان الدبسي المنطلقات المبنية على تنظيم المنهج في المكونات التالية :

- النظرة الشاملة للمنهج اللغوي، وامتدادها لشمول الحياة اللغوية التي يعيشها المتلقي والطالب، ومكوناته في الأهداف التربوية، والمحتوى، ومجموعة الفعاليات والمناشط في طرق التدريس والأساليب والوسائل والأدوات والمواد التعليمية، وطرائق التقويم لتحقيق الوصول للأهداف، ومناسبة المحتوى، ومدى الفعالية. وهناك وحدة فروع اللغة وتكاملها، لتكون دراسة القواعد والبلاغة في ظل القراءة، وترتبط الكتابة بما يشمل عليه من إملاء وخط وتعبير كتابي.

- ترابط منهج اللغة مع منهج المواد الأخرى، لأن العلاقة وثيقة بين اللغة والعلوم الأخرى.

- التركيز على الأهداف التعليمية للغة العربية في المجالات التدريسية، والمعرفية، والأدائية، والوجدانية في الاتجاهات والقيم.

- التمكن من طرائق التدريس والتعليم، في ترتيبات الاستماع والتحدث،

ووسائل تعليم القراءة والكتابة والقواعد، وجوهرها الطريقة القياسية .

- تقويم التعلم في وظائف عمليات التقويم وأسسها وطرائقها في الممارسة، لتنمية العملية الأساسية " من عناصر المنهج الأربعة : الأهداف، المحتوى، الأساليب، التقويم، وتمتد أثار عملية التقويم إلى كل عنصر من عناصر المنهج، فبالتقويم نكشف عن مدى تحقيق الأهداف ودرجته، وفي ضوء نتائج عملية التقويم قد يفيد النظر في هذه الأهداف، وفي المادة التعليمية نفسها، وفي الأساليب والوسائل "([13]) .

يندغم الإطار النظري المنهجي في إدراك قضايا اللغة العربية وفهمها وممارستها في الأصوات والصرف والنحو والدلالة بين مستويات البنى السطحية والبنى العميقة، وتتداخل قضايا النحو التحويلي على سبيل المثال، مع " قضية الأصل والفرع، وقضية الحذف والتقدير، وقضية إعادة الترتيب، وقضية الإحلال .. إلخ "([14]) .

درس اللغوي مصطفى النحاس أنموذجاً ضمير الفعل وقيمه الموقعية وآثاره التركيبية، وعلاقة الفعلية بين التصريف والنحو، والفواصل الصوتية في الكلام، وأثرها على المواقع النحوية، وعين المضارع بين الصيغة والدلالة، والاعتبار الصرفي وانعكاسه على علاقات الكلم في التركيب، والدلالات النحوية للحروف المصاحبة لبعض التراكيب، والبنية الشكلية للجملة الواقعة حالاً، والتفسير الداخلي لجمل المفعول معه عن سيبويه، " فالتركيب كلّه من الناحية الشكلية تركيب اسمي، ليس الفعل عنصراً فيه، لكن المعنى المتضمن داخل هذا التركيب هو معنى فعلي، أو يمكن أن نقول : إن التركيب الخارجي ينتمي لنمط رصفي معين، على حين ينتمي التركيب الداخلي لنمط آخر "([15]) .

تتكامل ضوابط المنظورات والمعايير بمقاربة اللغة العربية في منهجية المعلوماتية، ولا سيما أغراض الحوسبة والشابكات وتقاناتها دون الابتعاد عن المكونات الدلالية والتداولية، والنظم اللغوية : الصوتية، والتشكلات الصوتية،

والصرفية، والنحوية، والمعجمية، والاشتقاقية، والإلصاقية، والتصريفية الإسنادية، والتوزيعية، والربطية، من خلال آليات نمذجة هذه المكونات والأنظمة، بتعبير اللغوي صالح أبو صيني، بوساطة المدخلات، والإجراءات، والمخرجات، لضبط التقابل اللغوي، وتحليل الأخطاء والأغلاط، ومعالجة الأنظمة المشار إليها في اللغة العربية إزاء الحوسبة والشابكات وتتواصل هذه " الجهود في تصميم نماذج للعربية إنطلاقاً من تراثها وخصائصها، وفق تصور لساني محدد يمكّن من استقصاء أنظمتها وتحديد قواعد دقيقة لكل نظام " ([16]) .

بات واضحاً أن ضوابط المنظورات والمعايير في الإطار النظري المنهجي للغة العربية مبنية على خصائص اللغة العربية نفسها، وتثميرها في الأطر النظرية المنهجية المتطورة، وأولها رسوخ النظم الموروثة الأصيلة والحداثية، وثانيها إثراء النظم الحداثية بمقومات اللغة العربية الفصحى، وثالثها تنامى خصوصياتها في المعلوماتية .

3 - توحيد المناهج إزاء العوائق والحلول :

ظهرت العوائق اللغوية في الأقطار العربية مع الاحتلال الأوربي على وجه الخصوص، وحوربت اللغة العربية باستهدافات خارجية للهيمنة على العرب والمسلمين، غير أن غالبية الأقطار العربية واجهت هذه العوائق، ورسّخت الحلول الباعثة للرؤى الذاتية لغوياً وثقافياً واجتماعياً، وينتظم توحيد المناهج في المزايا التالية :

3 - 1 - وضع المصطلحات وتأليف المعاجم العلمية المتخصصة في اللغة العربية، ولاسيما صوغ المصطلح العلمي، وترتيب القرارات في أقيسة اللغة وأوضاعها، وترسيخ التعريب مع تأصيل الموروثات اللغوية، وتقدير جهود مجامع اللغة العربية في الترشيد، والتعريب، والتقويم، والتأليف العلمي، على " أن كثرة المصطلحات العلمية وتنوعها في لغة ما تدل على سعة هذه اللغة ورقيها وتقدمها لاحتوائها على المفاهيم العلمية والحضارية، وأن المجتمع الذي يتكلم

بهذه اللغة ذو ثقافة وحضارة "[17] .

أفادت الباحثة اللغوية فاطمة إبراهيم آل خليفة[18] أن المصطلحية والمعجمية تتلازم مع تدغيم التصحيف والتحريف عند البحث في التراث اللغوي وتحديثه وأساسه : ضبط الكتابة العربية بالنقط والشكل، وضرورة المشافهة في رواية اللغة، وتنقيح الأخطاء وجمعها في كتاب، وضبط كتابة الحروف بصورة ينفي عنها الاحتمال، ويفيد هذا البحث في تباين التصحيف والتحريف استناداً إلى المصطلحية والمعجمية بالدرجة الأولى .

3 - 2 - العناية بالتحليل اللغوي الاجتماعي لمواجهة المشكلات اللغوية والثقافية إزاء خلل عناصر التمثيل الثقافي من جهة، وأضرار اللهجات العامية واللغات الفئوية عند المناطق والأماكن والفئات الاجتماعية الخاصة من جهة أخرى وغالباً ما تسيء هذه المشكلات للقضايا اللغوية والثقافية عند تطبيق لهجة عامية أو لغة فئة اجتماعية بإغفال خصوصيات اللغة العربية ومنهجيتها .

لقد عالج اللغوي علي عبد العزيز الشرهان **تأثير التغير الاجتماعي على اللغة العربية في الإمارات العربية المتحدة، على أن التحليل اللغوي مرتهن بالاجتماعي والثقافي من خلال تحولات اللغة الدارجة في مجتمع متعدد اللهجات العامية واللغات المحلية أو المنقولة من حال لأخرى . وقد تأثرت هذه التحولات الدارجة بالمحكيات واللهجات العربية استناداً لتعدد القبائل على سبيل المثال . وتفاقمت المشكلة اللغوية بتدفق المهاجرين إلى الإمارات من الهند وباكستان وغيرهما،** حتى أن الأفراد المواطنين في تنشئتهم الاجتماعية يتفاعلون مع الكلام الأجنبي تحت وطأة هؤلاء المهاجرين، وهناك المحافظون على التربية مع أمهاتهم التزاماً باللهجة المحلية، فتكاثرت الضغوط على اللغة العربية، وهذه الحال منتشرة في غالبية الأقطار العربية، وفي إقامة الجاليات والجماعات العربية خارج الوطن العربي. ثم نادى الشرهان إلى مجاوزة تعدد الأنماط اللغوية، التزاماً بالخصوصيات

اللغوية: الأصوات الكلامية، الصرف، بناء الجملة، استعارة الكلمات، وضع اللغة، والترابط بين العهد الاجتماعي واللغوي الجديد بمعالجة وضعية اللغة، والتعدد اللغوي، وتعدد اللهجات، ونماذج الاتصالات، والتأثير على لهجة الإمارات، والتدخل اللغوي وتغيراته، و " في هذه الحالة إما أن تنسحب إحدى اللغتين، وتسيطر الأخرى، أو تتم تنمية لغة ثالثة تجمع بين اللغتين "([19])، و " ينبغي أن تولى اللغة اهتماماً أكبر، لأن الأفراد من مختلف الثقافات حينما يصبحون على اتصال مستمر، فإن تغيرات لاحقة في الأنماط الثقافية الأصلية يمكن أن تقع، ويمكن أن تلعب دوراً مؤثراً على المجموعة الأقل عدداً "([20]) .

ارتهن التحليل اللغوي الاجتماعي بقضايا النظرية اللغوية العربية، مثل قضايا النظر واللسان، والواضع والمتكلم والناظر، وذكر جهات من النظائر والفروق في كلام العرب، وذكر جهات من النظر والشعر الخارج عن المقاييس، ومن النظر والقرآن الكريم في دراسة اللغوي عبد

الرحمان بودرع، ويمتاز النحو بهذه السعة والمرونة أهلاً " لأنه يعتبر نحواً للسان، ونحواً للضرائر، وهوقريب من أن يكون نحواً للقراءات القرآنية، مع شيء من التجوز، لحرصه على ربط اللفظ بالمعنى، والمقال بالمقام والمتكلم والمخاطب، في أكثر من موقع "(21) .

تعمقت دراسة النظرية اللغوية في التعالق بين المفهوم والمنهج، عند الباحث محمد عبد العزيز عبد الدايم، من خلال دراسته لنظرية الصرف العربي انموذجاً، ما بين الواقع التراثي والواقع المعاصر، واحتياجات الدرس الصرفي العربي التي يكشف عنها الواقع المعاصر، مفهوماً ومنهجا، عند دراسة نماذج الجداول التصريفية، والعلامة، والميزان الصرفي، والعلامة بين نظرية الصرف العربية وتركيب العربية الصرفي، ثم تبين " أنه يمكن تمييز ثلاثة نماذج في التحليل الصرفي استخدمها الصرفيون العرب، وهي متظافرة فيما بينها للقيام بتحليل تراكيب الكلمات العربية. وقد سمى هذه النماذج الثلاثة بنموذج الجداول

التصريفية، ونموذج العلاقة، ونموذج الميزان الصرفي "([22])، كما أشرنا من قبل .

من الواضح أن التحليل اللغوي الاجتماعي مرهون بمواجهة المشكلات اللغوية والقافية كلما تعمقت الدراسة اللغوية المنهجية بالنظرية اللغوية .

3 - 3 - ضرورة الفهم اللغوي القرائي واستراتيجياته المعرفية على أن القراءة تتطلب التربية اللغوية والتنمية الثقافية بالحفاظ على أشكال اللغة وتشكلاتها الواضحة والكامنة كالرموز والبلاغة، ولا سيما علم المعاني، وفيوض المدلولات، وفعاليات التوظيف في التداولية والعلامية وغيرهما، وقوام هذا الفهم هو التربية والتعليم لرصد القراءة ومعرفيتها بإتقان المكونات اللغوية كالحروف، والكلمات، والجمل، والتراكيب، والبنى، والتأليف، لحسن الفهم اللغوي القرائي، وأوضح الباحث السعيد عواشرية أن هذا الفهم لا ينفصم عن إدراك معنى مصطلحاته ومعرفيته باعتماده على رؤى اللغويين

الأجانب والعرب ومفاهيمهم، والمقصود بالفهم القرائي بعامة هو " تجاوز مجرد تمييز واسترجاع الكلمات والجمل إلى استيعاب المادة المقروءة لاستخلاص معاني الكلمات الجمل، الفقرات، المعنى الإجمالي، الصريح والضمني "[23] .

إن حلول الفهم اللغوي القرائي واستراتيجياته المعرفية مندغمة بأوضاع اللغة وتطوراتها وتحولاتها وقواعدها واستعمالاتها دون التخلي عن طبيعة اللغة ومستوياتها اللفظية والتعبيرية .

3 - 4 - الاهتمام بأسلوب التمييز في اللغة العربية عند فهم المناهج اللغوية العديدة ما بين المناهج الموروثة والمناهج المعاصرة، فقد تطورت هذه المناهج بالمؤثرات الغربية، غير أن المنهجيات العربية شديدة التوصيف والتحليل والتعمق والتأويل والتحويل في مدارات اللغة التاريخية والاجتماعية والنفسية والإنسانية الداعمة لعناصر التمثيل الثقافي والخصوصيات اللغوية، مما ينفع كثيراً في تواصل المنهجيات بين

العرب والغرب، وقد حللت الباحثة اللغوية حليمة أحمد عمايرة الاتجاهات المنهجية عند القدماء والمحدثين، بالحرص على المناهج الوصفية، والوصفية الاجتماعية، والتحويلية، والمعيارية، والتاريخية، وقوامها المزايا التالية : التفريق بين اللغة والكلام، العلاقة بين الدال والمدلول، اللغة نظام، مبدأ المكونات المباشرة، التوزيعية، المُعْلم وغير المُعْلَم، النظم، القياس الوصفي، التعليل الوصفي، السياق اللغوي، السياق العاطفي، السياق الثقافي، التنغيم، العلاقة بين الفكر واللغة، ثنائية الكفاية والأداء، السليقة، الدلالة، التعليق، الجملة البسيطة والمركبة، الجُمَلُ المكتسبة، توحد المعنى وتعدد المبنى، عناصر التحويل، التقديم والتأخير، قواعد الحذف، التضييق، الزيادة، التوسعة، الإحلال، المعيارية في المنهجية، تأصيل ليس، تأصيل الاسم الموصول، تأصيل مُذ ومنذ، تأصيل لفظ الجلالة " الله "، تأصيل أداء النداء " هيا "، تحديد معيار

للحكم على الدخيل، تأصيل علاقة الجمع، تأصيل تاء التأنيث، الإعراب والبناء .. إلخ .

ثم دعت عمايرة إلى " إجراء مزيد من الموازنات بين المناهج الحديثة، ونظرية النحاه القدماء، وذلك بهدف الوصول إلى تشكيل قاعدة عريضة تتسم بروح الأصالة، وتتطلع إلى إيجاد نظرية لغوية ذات صبغة علمية مجدّدة "(24) .

أضاءت عمايرة أيضاً أسلوب التمييز في اللغة العربية في مسعاها التحليلي الإحصائي لتحقيق الأهداف التأصيلية والتعليمية والتاريخية التطورية، وتوصل بحثها إلى مزايا فهم المناهج اللغوية العديدة، إذ " يتحول الدرس اللغوي الإحصائي من ظاهرة فردية إلى دراسة مؤسسية تشترك فيها طاقات حاسوبية ممثلة في كليات الحاسوب والهندسة البرمجية، وطاقات لغوية ممثلة في باحثين من أقسام اللغة العربية والمجامع العربية "(25) .

يترسخ أسلوب التمييز في اللغة العربية بتأصيل المنهجيات اللغوية المعرفية وتحديثها في الوقت نفسه .

3 - 5 - أهمية إتقان اللغة العربية في التعليم، مثلما نادى المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر، شأن إتقان اللغة العربية، وبرمجة التعليم اللغوي، واللسانيات، ولسانيات النص، والنهوض بالتعليم في توسيع الاتجاهات المنهجية تأصيلاً وتحديثاً، وتركز الإتقان في المجالات التالية : ضرورة الاستمرار في موضوع إتقان اللغة العربية، وعدم الاكتفاء بالإعلان، بل بوضع آليات تعليمية، وتنمية الثروة اللغوية، والمقدرة على التعبير، وتشجيع المتكلمين على استعمال اللغة السليمة والفصحى داخل المدرسة وخارجها، وإيجاد مناخ للتحفيز على ترقية التعبير، وحسن اختيار الموضوعات التي تتلاءم مع محيط التلميذ وميولاته ومستواه الدراسي، وتنفيذها بمنهجية تراعي إتاحة الفرصة لمبادره المعلم وتمكين المتعلم من الاختيار، والاهتمام بجودة الوسيلة المسخرة لتدريس التعبير، ومدى مناسبتها

لكل طور، مع الاعتناء بتجديدها وتحديثها، وتأكيد حفظ النصوص على اختلاف أنواعها لتقوية الذاكرة، وتنمية الرصيد اللغوي والفكري، وترقية القدرات المختلفة كالاستنتاج والاستدلال، والعمل على ترتيب الموضوعات وتنظيمها، ومن ثم إثارة الدوافع إلى التعبير السليم بلغة عربية جميلة وجذابة ([26]) .

أرفق إتقان اللغة العربية في التعليم بالتدريبات كذلك في ورشات قواعد اللغة، والتعبير، والنصوص الأدبية، والبرامج التربوية والتعليمية . وهذا كله ذو فائدة كبيرة في حماية اللغة العربية وإتقانها .

3 - 6 - الاهتمام باللسانيات في تعليم اللغة العربية وتعلمها، لأن اللغة بالأساس لسانية . وقد نظمت جامعة المولى اسماعيل في مكناس (المغرب) يوماً دراسياً عن هذه القضية التعليمية لمعالجة المشكلات التي تعاني منها عمليات تعليم اللغة العربية وتعلمها، وتنظيم مناهج تعليم اللغة العربية

وتعلمها وتحقيق أهدافها، وإسهام اللسانيات في حلول مشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها، واعتنى اللغويون بضرورة تحديث النظر في تعليم اللغة العربية وحل المشكلات التي تعترض هذا التعليم، وما يرتبط بها، وعالجوا أيضاً اللسانيات التعليمية واقعاً وآفاقا، ولاسيما الإطار المنهجي لتعليم اللغة العربية وتعلمها ومناقشته، على أن المنهج الوظيفي هو منهج معروف في التراث العربي، و"غياب منهجية ألسنية تقتضي تبسيط القواعد، وتوضيح البنيات اللغوية وعناصرها عن طريق تمارين بنيوية تعوض التمارين التقليدية (استبدال، تحويل، إضافة)، وتركز على البنيات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية إذا لوحظ نقص في إتقان جانب من هذه الجوانب "([27]) .

ثم تناول لغويون آخرون الإطار المنهجي لتعليم اللغة العربية وتعلمها ومناقشته، واللسانيات الوصفية، وتعليم اللغة العربية الفصحى، **بما يفيد قضية اكتساب اللغة العربية والتعدد اللغوي،**

وتأصيل المفاهيم النحوية التراثية، وبذل الجهود في منهجية التعليم اللغوي.

تتعاضد العلوم اللغوية مع أساليبها ولسانياتها تعزيزاً للتعلم والتعليم والتفكير، وقرن الباحث فؤاد مرعي مفهوم الأسلوب بالقضايا التعليمية لترشيد القراء والمتلقين والمتعلمين، على أن الأسلوبية مدرسة للتفكير الشكلي، باستنادها إلى قواعد علم اللسان وامتناعها عن دراسة قضايا في علم الأدب، فهي لا تتعلق بالبناء اللغوي للنص الأدبي إثر ذلك، بل "تحكم على نفسها بالشكلانية، الأمر الذي يسعى إلى الكشف عن جوهر الحياة في النصوص الأدبية، وعن محتوى تلك النصوص الذي يقدم معرفة فنية حقيقية عن الحياة المعاصرة، ويؤكد المثل الاجتماعية الجديدة التي تفتح أمام البشرية آفاق الارتقاء إلى الأفضل" (28).

تتأصل اللغة العربية مع اللسانيات الحديثة عند ضبط المنهجية والمعرفية

والتعليمية في التواصل اللغوي تعليماً وتعلماً بالمنظورات الأصلية والحديثة .

3 – 7 – تتكاثف العوائق اللغوية في قضايا المعّرب والدخيل من جهة، والتعريب في مواجهة العولمة من جهة أخرى . إن المعّرب مرتبط بالمنهجية اللغوية للعربية، كما هي الحال في منظورات اللغويين العرب في الموروثات اللغوية ومعجمياتهم، عند نظم الكلمات المعّربة من الأسماء الأجنبية أو الأعجمية ومفرداتهم الخاصة، وتتداخل هذه الكلمات في الصوغ العربي ضمن عناصر النظام الصوتي العربي، حسب رؤية اللغوي ممدوح محمد خسارة، مثل الحروف والأصوات العربية، والبنية الصوتية للكلمة العربية، والإيقاع الصرفي للكلمة العربية، ويعني تطبيق هذا النظام الصوتي العربي على الاسم المعرب خلو الاسم المعرب من أي حرف أو صوت غير عربي، والتزام البنية الصوتية للكلمة العربية، كما أقرها اللغويون، وهي ألا

يزيد عدد أحرف الاسم المعرب على ثمانية أحرف، ووجود ائتلاف هذه الأحرف، وحركاتها، ووجوب خلوّها من التقاء الساكنين، ومنع بدئها بساكن، واشتراط الإيقاع الصرفي للاسم المعّرب، ومجاوزة اشتراط مطابقته الوزن العربي، لأن الأسماء الأعجمية لا توزن أصلاً، والتنبه إلى نقطتين إزاء إطلاق الدخيل على اللفظة، وهما أن القدماء لم يفرقوا تماماً بين المعّرب والدخيل، ووضع المعرب والدخيل والمولد في مستوى لغوي واحد، " أما الدخيل، بخروجه عن خصائص العربية وقوانينها، فقد بقي غريباً، لم يهيأ له الاندماج في المخزون اللغوي، وهو في طريقه إلى الزوال، وبقاؤه في العربية مرهون بتوفر البديل المولّد أو المعرب "([29]) .

ثم **لا ينفصم المعّرب عن التعريب في مواجهة ثقافة العولمة، وقد تفاقمت مشكلات الترجمة وافتراقها عن التعريب والمعرب ضمن أساليب الغزو الثقافي واللغوي، وهذا واضح في عمليات هدر**

اللغة العربية الفصحى بإغفال أصالتها في التاريخية والمقارنة، وبإثارة اللهجات العامية واللغات الفئوية وتغليبها على اللغة العربية، وهذا الإغفال الظالم وهذه الإثارة القاهرة لعناصر التمثيل الثقافي العربي والخصوصيات اللغوية الأصيلة مرتبطان بالهيمنة على العرب ومحاولات اختراق الوجود العربي .

لعلنا لا ننسى أيضاً التسييس الأجنبي في محاربة اللغة والثقافة العربية منذ مطلع القرن العشرين على وجه الخصوص، ونشير إلى أن هذه السياسة والتسييس في المظالم اللغوية والثقافية في غالبية الأقطار العربية، ففي سورية بخاصة، وبلاد الشام بعامة، حوربت اللغة العربية، مع تقسيم بلاد الشام إلى دول، وتقسيم سورية إلى أربعة دول، وقاوم السوريون هذا التقسيم حتى الاستقلال عام 1946، وسعى الفرنسيون إلى التمييز الثقافي واللغوي في غير محله ضمن هذه التقسيمات الجائرة. وحاربت فرنسا اللغة والثقافة في الجزائر منذ احتلالها عام 1830 حتى

استقلالها عام 1962، وقاومت تعلم اللغة العربية والتضييق على أصحابها والراغبين في تعلمها من جهة، وطمس معالم الثقافة العربية والقضاء عليها من جهة أخرى، بتعبير محمد العربي الزبيري في كتابه " الغزو الثقافي في الجزائر" (1986)، ثم تمثل ذلك في أن فرنسا " قضت على معظم مراكز الثقافة العربية واللغة العربية التي تتمثل في المدارس، والجوامع، والزوايا التي كانت قائمة في البلاد قبل الاحتلال، وقد نتج عن هذا : تحويل البعض من هذه المراكز إلى معاهد للثقافة الفرنسية، وتسليم البعض الأخر من هذه المراكز إلى الهيئات التبشيرية المسيحية التي اتخذتها مركزاً لنشاطها في هدم عقيدة الجزائريين، وهدم ما تبقى من المراكز بدعوى إعادة تخطيط المدن الجزائرية وإعادة بنائها "([30]) .

مثلما نهبت فرنسا التراث الثقافي العربي الإسلامي الذي عثر عليه في المكتبات الجزائرية مثل المخطوطات والوثائق والكتب، وأكدت الباحثة عقيلة ضيف الله أن فرنسا حاربت بشدة الصحافة

الوطنية، وعملت على خنق صوتها لإبعاد الجزائريين عن لغتهم وثقافتهم العربية من أجل " فرنسة" التعليم في المراحل جميعها، واعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، ومحاولة تشويه تاريخ الجزائر في ظل العروبة والإسلام بقصد التشكيك في إنتماء الجزائر العربي والإسلامي .

إن عوائق اللغة العربية ناجمة بالأساس عن شيوع العاميات، وإفساد التعريب لتغليب الدخيل على اللغة العربية الحديثة .

3 - 8 - تزايدت العوائق اللغوية عند تضعيف المصطلح العربي اللغوي ومضاعفات إشكالية المصطلح، كلما جاوز اللغويون، بتأثير الاستهداف الأجنبي والفتن الداخلية، منظورات التعريب وقضاياه الراهنة واستشرافاته المستقبلية، لإهمال المنهجيات اللغوية وأبعادها الثقافية والقومية والنهوضية، والمشكلات وأضرارها كالترجمة والمرجعيات، والأدب المقارن، الاستشراق، واللسانيات، ضمن عمليات المثاقفة

والمثاقفة المعكوسة، إذ تتبادل اللغة والثقافة العربية مع اللغات والثقافات الأخرى، التأثير والتأثر، وليس إلغاء اللغة وتهميش الثقافة. والمأمول أن تفعل حلول المشكلات والإشكاليات في المنهجية والمصطلحية وتعريب المعلوماتية وتطوير البرمجيات إلى الحاسوبية والشابكات، وفي إغناء التعريب والبحث العلمي مع الخصائص اللغوية العربية وعناصر التمثيل الثقافي، والعناية الفائقة بتجارب التعريب العربية وترسيخها ضمن المنهجيات اللغوية العربية. وقد توافق اللغويون العرب، ومنهم خلود العموش، على الاهتمام بالوسائل التالية : الترجمة، وتعني نقل اللفظ الأجنبي بمعناه إلى ما يقابله في العربية، والتعريب، ويعني نقل الكلمة الأعجمية مع عرفها الأصلي، والنقل المجازي، وهو طريقة في التوسيع اللغوي مستمدة من اللغة نفسها، وتفيد من عناصرها اللفظية الماثلة، أو المهجورة، وينتقل اللفظ من معنى إلى آخر على نحو مجازي إذا توافرت

له لون من المشابهة، أو المجاورة، أو العلاقة، والنحت، ويعني بناء كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر، أو من جملة، والاشتقاق، الذي يعد من أهم وسائل العربية في توليد الألفاظ، وضبط المصطلح العلمي العربي في سياقه التاريخي لتنامي المصطلحية الحديثة، وتقصي إشكالياته المنهجية، إذ تقوم المنهجية على القواعد التالية :

- " إن الاشتقاق قياسي في اللغة قياساً مطلقاً في أسماء المعاني، التي هي عرضة لطرود التغير على معانيها، ومقيداً بمسيس الحاجة في الجوامد.

- إن وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري إما على الاشتقاق، وإما على طريقة التعريب، ولا مانع من الجمع بينهما، ويرجع إلى النحت عند الحاجة.

- لا يذهب إلى الاشتقاق في وضع كلمة حديثة إلا إذا لم يعثر في اللغة على ما يؤدي معناها .

- يشترط في الكلمات التي تختار من كتاب اللغة، ليعبر عنها عما حدث، وتجدد أن تكون مأنوسة غير نافرة، وإلا وجب

تركها والذهاب إلى طريقة الاشتقاق والتعريب "([31]) .

إن العناية بالمنهجيات اللغوية من شأنها أن تحسم العوائق و المخاطر على اللغة العربية .

3 - 9 - تسهم فاعلية التنوين والدلالة في حلول المنهجيات اللغوية الحديثة، كلما تعمقت الدراسة في ضوء اللسانيات العربية المعاصرة، وفق تحليل اللغوي خالد اسماعيل حسان، فيما يخص تعريف التنوين، وصلته بالأصوات، والبنية، والتركيب، بلوغاً للنتائج التالية : التنوين مرحلة متطورة عن التمييم، وحذف التنوين مرحلة لاحقة، مظاهره وعلله، وعلاقة التنوين بالربط والإحالة، وطرح بعض الأفكار في مقياس الحكم على الاسم بالتنكير والتعريف، والتنوين علامة على الانفصال، وعلة حذف التنوين في ما لا ينصرف وغيره من القضايا. واستخلص اللغوي خالد اسماعيل حسان نتائج هامة، ومنها :

- التنوين في اللغة العربية مرحلة

متطورة عن التمييم في الأكادية والحبشية .

- يُحذف التنوين بسبب كثرة استعمالهم له في كلامهم، ولأنه علامة لما يستثقلون أو لالتقاء الساكنين .

- حذف التنوين فيما لا ينصرف والمنادى واسم لا النافية للجنس ... يعّد مرحلة من مراحل تغير اللغة وتطورها وميلها نحو السهولة والتسيير في النطق طلباً للخفة .

- حذف التنوين في المشتقات تخفيف صوتي فقط، مع الاحتفاظ بالدور الدلالي .

- الوقف على التنوين في حالة النصب يكون بمطل الحركة القصيرة، وليس ما ذهب إليه سيبويه من إلحاق الألف، أو كراهة الخلط بين التنوين والنون الأصلية .. إلخ ([32]) .

من المفيد أن يعتنى بالتنوين والدلالة في التمكين اللغوي للأصوات والبنية والتركيب من خلال رصد السياقية و التراكيب ما بين التعريف والتنكير إزاء الخصوصيات النحوية والتشكيلية الصوتية والصرفية والدلالية .

3 - 10 - العناية المطلقة بتعليم اللغة العربية لإيقاف العوائق اللغوية والثقافية والسياسية. وفي مقدمتها التعامل مع العامية، ومزاحمة اللغات الأجنبية، ومخالفة الموروثات اللغوية العربية الأصيلة في الصوت والصرف والنحو والمعجم والدلالة على وجه الخصوص .

وهناك التقصير في تعليم اللغة العربية عند إغفال الأبعاد العربية والإسلامية، لأن العرب والإسلام روح واحدة، ونشأ الدين الإسلامي عند العرب، وانتشر في العالم كلّه. ويتيسر التعليم اللغوي بالإيمان المطلق بجوهر القرآن الكريم والحديث الشريف والأمثال والمحتويات النصية كالأمثال والأقوال والخطابات الخاصة الراسخة. وهناك الاعتقاد أن اللغة العربية " تكون مشحونة بالتصوير القرآني، والنسق البياني، والتحليل البرهاني .. لنقف جميعاً باللغة العربية في وجه من يعمل على التحدي، والتشويه، والتنحي، ولكي نبدو في المرآة وجهاً واحداً، وتصوراً واحداً، ولا مناص من هذا، لأنه إما هذا .. وإما الطوفان "([33]) .

نبه اللغويون العرب مثل عبد المجيد سالمي إلى الاهتمام بالمنطلقات اللغوية الأساسية في بناء طرائق تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها أيضاً. وتتألف الناحية النظرية من الأبحاث الدائرة في اللسانيات التفاضلية ودراسات حصر المفردات وقياس الثروة اللغوية لدى المتعلمين، والرصيد الوظيفي في التلاقي والتعامل بين المعلمين والمتعلمين، والرصيد العربي المشترك بين الدول العربية في التربية والتعليم العالي والثقافية والإعلام بتنظيم جامعة الدول العربية، وتوطيد الأسلوبيات اللغوية المتفهمة لانتشار العوائق اللغوية في الوطن العربي، والتخلص منها بتوسيع الحلول الراشدة، ومنها الدرس العميق لظواهر السلوك اللغوي، وميادين اللسانيات الحديثة، والتداولية اللغوية، والدلالية، وعدم الانقطاع مع " البعد الثقافي والحضاري، وإثراء الجانب الفردي والجماعي في عملية التعلم وتوجيه المتعلم إلى

الاستقلال في منهجية تعلمه وكيفياتها العلمية، وتمكينه من فهم الآخرين في تصورهم للعالم، لأن اللغة أصلاً نوع من التشكيل الدلالي للكون بمحتوياته الظاهرة والباطنة، وهذا الأمر من شأنه أن ينشط دوافع المتعلم ويشجعه على مواصلة الاكتساب والتحصيل "([34]).

صار واضحاً كذلك أن المنهجية اللغوية أساسية في تعلم اللغة إلى جانب الأبعاد التربوية والتقنية والتعليمية .

C

يفيد كثيراً توحيد مناهج اللغة العربية في مواجهة العوائق، وأفلحت الحلول في إقصاء المخاطر على القضايا الثقافية واللغوية العربية المعبّرة عن الوجود الوطني والقومي، عند ضبط المصطلحية والمعجمية، والعناية بالتحليل اللغوي الاجتماعي، وضرورة الفهم اللغوي القرائي واستراتيجياته

المعرفية، والاهتمام بأسلوب التمييز اللغوي العربي، ما بين المناهج الموروثة والمناهج المعاصرة، وأهمية إتقان اللغة العربية في التعليم، والاهتمام باللسانيات في تعليم اللغة العربية وتعلمها، ومجاوزة تكاثف العوائق اللغوية في قضايا المعرب والدخيل من جهة، والتعريب في مواجهة العولمة من جهة أخرى، ومواجهة تضعيف المصطلح العربي اللغوي، ومضاعفات إشكالية المصطلح، والإسهام في فاعلية التنوين والدلالة في حلول المنهجيات اللغوية الحديثة، والعناية المطلقة بتعليم اللغة العربية لإيقاف العوائق اللغوية والثقافية والسياسية الأخرى .

إن توحيد مناهج اللغة العربية والتعمق في حلولها شديد الاتصال بالقضايا الوطنية والاجتماعية والثقافية واللغوية .

W

الكتب :

- آل خليفة، فاطمة إبراهيم : التصحيف والتحريف، دراسة في التغير الدلالي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الكويت، الحولية 26، 2005 .

- بدوي، عبده محمد : أهمية تعلم اللغة العربية، حوليات كلية الآداب، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت، 1996 .

- بلعلى، آمنة : أسئلة المنهجية العلمية في اللغة والأدب، دار الأمل للطباعة والنشر، والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2005 .

- بو درع، عبد الرحمان : من قضايا النظرية اللغوية العربية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الكويت، الحولية 28، 2007 .

- جيدير، ماثيو : منهجية البحث، (ترجمة ملكة أبيض)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2004 .

- حجازي، محمود فهمي : مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998 .

- حسان، خالد اسماعيل : التنوين والدلالة، دراسة في ضوء اللسانيات العربية المعاصرة، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت، 2007 .

- خسارة، ممدوح محمد : قضايا لغوية معاصرة، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، دمشق، 2003 .

- الدبسي، رضوان : اللغة العربية في دولة الإمارات العربية المتحدة ومناهج تعليمها، الجزء الأول، جمعية حماية اللغة العربية، الشارقة، 2003 .

- الزركان، محمد علي : الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998 .

- زفنكي، صافية : التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، وزارة الثقافة، دمشق، 2007 .

- ساسي، عمار : اللسان العربي وقضايا العصر، رؤية علمية في الفهم، المنهج، الخصائص، التعليم، التحليل، دار

المعارف للإنتاج والتوزيع، بوفاريك، ولاية البليدة، الجزائر، 2001 .

- الشرهان، علي عبد العزيز : تحولات اللغة الدارجة، تأثير التغير الاجتماعي على العربية في الإمارات، منشورات اتحاد الكتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، 1990 .

- عبد الدايم، محمد عبد العزيز : نظرية الصرف العربي، دراسة في المفهوم والمنهج، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الكويت، 2001 .

- عدة مؤلفين : اللسانيات وتعليم اللغة العربية وتعلمها، (إعداد : عبد العزيز العماري)، منشورات عكاظ، الرباط، 2002 .

- عدة مؤلفين : ندوة التعريب في التعليم العالي ، وزارة التعليم العالي، دمشق، 2003 .

- علبي، أحمد : المنهجية في البحث الأدبي، دار الفارابي، بيروت، 1999 .

- عمايرة، حليمة أحمد : الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، وزارة الثقافة، الأردن، دار وائل للنشر، عمّان، 2006 .

- عمايرة، حليمة أحمد : أسلوب التمييز في العربية، دراسة تحليلية إحصائية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 28، جامعة الكويت، الكويت، 2007.

- المجلس الأعلى للغة العربية : إتقان العربية في التعليم، منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، 2000 .

- عواشرية، السعيد : الفهم اللغوي القرائي واستراتيجياته المعرفية، المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات المجلس، الجزائر، 2005 .

- عياشي، منذر : اللسانيات والدلالة (الكلمة)، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1996 .

- محسن، عيسى خليل : الاتجاه الفلسفي في المفهوم التربوي، دعم وزارة الثقافة، الأردن، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان 2006 .

- مرعي، فؤاد : في اللغة والتفكير، كتاب المدى 6، دار المدى، دمشق، 2002

- موسى، عطا محمد : مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في

القرن العشرين، دار الإسراء، عمّان، الأردن، 2002 .

- النحاس، مصطفى : من قضايا اللغة، مطبوعات جامعة الكويت، مطبعة الفيصل، الكويت، 1995 .

- هيئة التعليم : نماذج من معايير المناهج، المجلس الأعلى للتعليم، قطر، 2004 .

- الوعر، مازن : نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس، دمشق، 1987 .

- الوعر، مازن : دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس، دمشق، 1989 .

الدوريات :

- أبو صيني، صالح : اللغة العربية في عصر الحوسبة والمعلوماتية، مقاربة من الهيكل العام لأنظمة العربية. في مجلة " حوليات جمعية كليات الآداب "، الأردن، المجلد 1، العدد 1، 2004.

- سالمي، عبد المجيد : المنطلقات اللغوية الأساسية في بناء طرائق

تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، في مجلة " الأداب واللغات "، جامعة الجزائر، الجزائر، العدد 1، جوان 2006 .

- ضيف الله، عقيلة : سياسة محاربة اللغة والثقافة العربية في الجزائر 1830 - 1962، في " حوليات جامعة الجزائر "، العدد 13 - 2000 .

الهوامش والإحالات :

(1) محسن، عيسى خليل : الاتجاه الفلسفي في المفهوم التربوي، دعم وزارة الثقافة، الأردن، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان 2006، ص 74
(2) جيدير، ماثيو : منهجية البحث، (ترجمة ملكة أبيض)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2004، ص 38 .
(3) حجازي، محمود فهمي : مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 28 .
(4) موسى، عطا محمد : مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، دار الإسراء، عمّان، الأردن، 2002، ص 354 .
(5) ساسي، عمار : اللسان العربي وقضايا العصر، رؤية علمية في الفهم، المنهج، الخصائص، التعليم، التحليل، دار المعارف للإنتاج والتوزيع، بوفاريك، ولاية البليدة، الجزائر، 2001، ص 36 .
(6) الوعر، مازن : نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس، دمشق، 1987، ص 156 .
(7) علبي، أحمد : المنهجية في البحث الأدبي، دار الفارابي، بيروت، 1999، ص 29 .
(8) زفنكي، صافية : التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، وزارة الثقافة، دمشق، 2007، ص 290 .
(9) عياشي، منذر : اللسانيات والدلالة (الكلمة)، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1996، ص 76 0
(10) الوعر، مازن : دراسات لسانية تطبيقية، دار

طلاس، دمشق، 1989، ص 17 .
(11) هيئة التعليم : نماذج من معايير المناهج، المجلس الأعلى للتعليم، قطر، 2004، ص 23 .
(12) بلعلى، آمنة : أسئلة المنهجية العلمية في اللغة والأدب، دار الأمل للطباعة والنشر، والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2005، ص 59 .
(13) الدبسي، رضوان : اللغة العربية في دولة الإمارات العربية المتحدة ومناهج تعليمها، الجزء الأول، جمعية حماية اللغة العربية، الشارقة، 2003، ص 166 - 179 .
(14) النحاس، مصطفى : من قضايا اللغة، مطبوعات جامعة الكويت، مطبعة الفيصل، الكويت، 1995، ص 9 .
(15) النحاس، مصطفى : من قضايا اللغة، مصدر سابق، ص 309 .
(16) أبو صيني، صالح : اللغة العربية في عصر الحوسبة والمعلوماتية، مقاربة من الهيكل العام لأنظمة العربية. في مجلة " حوليات جمعية كليات الآداب "، الأردن، المجلد 1، العدد 1، 2004، ص 117 .
(17) الزركان، محمد علي : الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص 471 .
(18) آل خليفة، فاطمة إبراهيم : التصحيف والتحريف، دراسة في التغير الدلالي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الكويت، الحولية 26، 2005، ص 11 .
(19) الشرهان، علي عبد العزيز : تحولات اللغة الدارجة، تأثير التغير الاجتماعي على العربية في الإمارات، منشورات اتحاد الكتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، 1990، ص 10.
(20) المصدر السابق، ص 94.
(21) بودرع، عبد الرحمان : من قضايا النظرية الغوية العربية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الكويت، الحولية 28، 2007، ص 101.
(22) عبد الدايم، محمد عبد العزيز : نظرية الصرف العربي، دراسة في المفهوم والمنهج، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الكويت، 2001، ص 62 .

(23) عواشرية، السعيد : الفهم اللغوي القرائي واستراتيجياته المعرفية، المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات المجلس، الجزائر، 2005، ص 43 .
(24) عمايرة، حليمة أحمد : الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، وزارة الثقافة، الأردن، دار وائل للنشر، عمّان، 2006، ص 329 .
(25) عمايرة، حليمة أحمد : اسلوب التميز في العربية، دراسة تحليلية إحصائية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 28، جامعة الكويت، الكويت، 2007، ص 104 .
(26) المجلس الأعلى للغة العربية : إتقان العربية في التعليم، منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، 2000، ص 122 - 123 .
(27) عدة مؤلفين : اللسانيات وتعليم اللغة العربية وتعلمها ،(إعداد : عبد العزيز العماري)، منشورات عكاظ، الرباط، 2002 ،ص 53 .
(28) مرعي، فؤاد : في اللغة والتفكير، كتاب المدى 6، دار المدى، دمشق، 2002، ص 80 .
(29) خسارة، ممدوح محمد : قضايا لغوية معاصرة، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، دمشق، 2003، ص 44 - 47 .
(30) ضيف الله، عقيلة : سياسة محاربة اللغة والثقافة العربية في الجزائر 1830 - 1962، في " حوليات جامعة الجزائر "، العدد 13 - 2000، ص 119 .
(31) العموش، خلود : المصطلح العلمي العربي : إشكالية المنهج، في كتاب " ندوة التعريب في التعليم العالي "، وزارة التعليم العالي، دمشق، 2003، ص 69 - 70 .
(32) حسان، خالد اسماعيل : التنوين والدلالة، دراسة في ضوء اللسانيات العربية المعاصرة، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت، 2007، ص 11 و 67 .
(33) بدوي، عبده محمد : أهمية تعلم اللغة العربية، حوليات كلية الآداب، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت، 1996، ص 59 .
(34) سالمي، عبد المجيد : المنطلقات اللغوية

الأساسية في بناء طرائق تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، في مجلة " الأداب واللغات "، جامعة الجزائر، الجزائر، العدد 1، جوان 2006، ص 169 .

هل توجد لغة عبرية قديمة في الواقع اللغوي الشرقي القديم؟

محمد المختار العرباوي
تونس

أشاعت الدراسات الغربية وما سايرها من الدراسات الأخرى فكرة وجود "لغة عبرية قديمة" وروّجت لها على نطاق واسع، ونجحت في تثبيتها في المجال المعرفي، بجعل الآخرين يصدّقون ادّعاءها ويسلّمون بأن هذه اللغة جزء من الواقع اللغوي الشرقي القديم، شأنها في هذا شأن الأكّدية، والكنعانية، والبربريّة، والمصرية، القديمة وغيرها.

وكانت المدرسة التوراتية وراء كل هذا، إذ هي المبتكر الأساسي لهذه الفكرة لأغراض بيّتت لها وسعت لتحقيقها. وكانت نقطة الانطلاق في عملها هو أنّها تسلّطت على اسم "خبرو" أو "خبيرو" وقامت

بتصحيف في حروفه ليصبح "عبيرو"، الأمر الذي يسهّل عليها ربطه بـ"عابر" وبالعبرانيين.

واسم "خبيرو" من الأسماء القديمة جدا والتي وردت في الوثائق المسمارية ببلاد الرافدين، والشام، وفي وثائق "تل العمارنة" بمصر، وهو اسم لجماعات بدوية غير مستقرّة، تجوب المناطق الشمالية للجزيرة العربية وما جاورها من مناطق الهلال الخصيب، تمارس الغارات والأعمال الحربية مع هذا الطرف أو ذاك. وقعت الإشارة إليهم " في عديد من الوثائق المسمارية، منذ أواخر الألف الثالث "ق.م" وحتّى القرن الثاني عشر "ق.م" في وثائق (سلالة أور3) وفي ماري، وفي سوزا، وآلالخ، وفوزي وبوغازكويْ، وتل العمارنة"[1].

وبهذا يتّضح أنّ جماعات "الخبيرو" من الجماعات العربية القديمة، وأنّ تحويلها إلى "العبيرو" وربطها بـ"عابر" وبـ"العبرانيين" قد حقّق للمدرسة التوراتية هدفها الأول، المتمثل في تأصيل المجموعة اليهودية المعاصرة

المسمّاة بالإسرائيلية، باعتبارها مجموعة قديمة لها جذورها التاريخية التي تعود إلى ما قبل الميلاد بأمد طويل، وهو ما يجعلها - في نظر هذه المدرسة - صاحبة حقوق تاريخية في المنطقة، مع العلم أن بني إسرائيل أولاد يعقوب وأحفاده قد اندمجوا في غيرهم، وانقرضوا من قبل أن يظهر "موسى" بزمن طويل.

تناول الدكتور محمد محفّل أستاذ التاريخ واللّغات القديمة هذا الموضوع في دراسة له، واستعرض هذه المفردات :"عِبِر/ عابر - عِبِري/عِبِيري، عَبَرَ" وقال في شأنها: "لا علاقة لهذه المفردات التوراتية، لا من قريب ولا من بعيد باسم "خِبِرو / خَبِيْرُو" الذي نجده في الوثائق المسمارية المحلية القديمة (في الهلال الخصيب وتلّ العمارنة...)"(2).

وبما أنّ المدرسة التوراتية قد نجحت في تثبيت وجود مزعوم للعبرانيين، فقد سهّل عليها تمشّيا مع ما خطّطت له، الانتقال إلى الحديث عن اللّغة التي يتكلّمونها. ومن الطبيعي، في هذه الحالة أن تدعى "العبريّة" لكي تكون حاملة

لاسمهم، على غرار اللغات واللهجات الأخرى، إيغالا في التضليل وتزييف الحقائق.

وبهذا تحقّق الهدف الثاني لهذه المدرسة، وهو جعل الآخرين يصدّقون بوجود "لغة عبرية" قديمة. وقد سايرها الكثيرون، وتبنّوا توجّهها، سواء كان ذلك انحيازا لها أم عن جهل بحقيقة هذا الموضوع وملابساته التاريخية واللّغوية. ومن الباحثين الكبار(*) الذين سايروا هذه المدرسة، الأستاذ "ولفنسون إسرائيل"، عالم اللغات القديمة المعروف فقد تحدّث عمّا سمّاه "الأمّة العبرية" وهي في نظره "تتألّف من بني إسرائيل وجملة شعوب أخرى تصلها بها صلة القرابة الدموية..." [3] وقال عن لغتها :"وقد كانت هذه الشعوب تلهج بلغة واحدة شبيهة بالكنعانية" [4] وأضاف في موطن آخر :"أنّ العبريين من بني إسرائيل وغيرهم قد جاءوا بلغتهم من موطنهم الأصلي ولم يقتبسوها من الكنعانيين بعد اتّصالهم بهم. فليس يصحّ إذن أن يقال عن اللغة العبرية إنها فرع من الكنعانية أو أنّها لهجة كنعانية" [5].

وعلى غرار ما سبق، فقد فنّد الدكتور محمد محفّل هذا الزعم كما في قوله : "كما أنّنا لا نجد أيّ أثر للعبرانيين في وثائقنا القديمة، فكذلك الأمر بالنسبة للغة "عبرية" التي لا نقع على أي ذكر لها في وثائقنا القديمة ولا حتّى في أسفار التوراة"(6) .

هذا التفنيد الحاسم لمزاعم المدرسة الصهيونية يفضي إلى طرح السؤال التالي : ما هي اللغة التي دوّن بها التوارة ؟ والإجابة عليه ليست صعبة. فقد أثبتت الأبحاث الأكاديمية ودراسات علم اللغة المقارن، أن التوراة دوّنت بلهجة "كنعانية-آرامية"، أي بلهجة مزيج منهما. ولم تتضمن أسفار التوراة ما يشير من قريب أو بعيد أنّها دوّنت بلغة تسمّى "العبرية"، كما هو الحال بالنسبة للقرآن، الذي جاء فيه "أنّه بلسان عربي مبين" [الشعراء، الآية 195]، وهذا "ولفنسون" نفسه يقرّ بهذه الحقيقة فيقول: "وليس يوجد في صحف العهد القديم

ما يدلّ على أنّهم كانوا يسمّون لغة بني إسرائيل بالعبرية"(7).

وإذا كانت التوراة قد خلت من أيّ ذكر لما سمّي "لغة عبرية، فإنّها بالنسبة للكنعانية، على العكس من ذلك. فقد ورد ذكرها في سفر "إشْعَيَاء" بالإصحاح التاسع عشر، الآية 8 "... يكون في أرض مصر خمس مدن تتكلّم بلغة كنعان"(**) (الكتاب المقدس، إصدار جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى - بيروت 1971). والتوراة التي أقرّت باللغة الكنعانية، فإنّها ذكرت أيضا أن بني إسرائيل تكلّموا بـ"اليهودي" أو بـ"اللسان اليهودي"، كما جاء في سفر نحميا "الملوك الثاني" بالإصحاح 18 الآية 26، وفي سفر "إشْعَياء بالإصحاح 36 الآية 11 حيث اتّفق السفران في نص الآيتين وهو "... كلّم عبيدك بالآرامي لأنّنا نفهمه ولا تكلّمنا باليهودي في مسامع الشعب الذين على السور". وجاء في سفر "نَحَمْيا" بالإصحاح 13 الآية 24 "ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدوديّ ولم يكونوا يحسنون التكلّم باللسان اليهودي"

(الكتاب المقدس المرجع نفسه)، وكلمة يهودي هنا لا تعني لغة اسمها "اليهودية"، وإنّما تعني الانتساب إلى أحد أسباط بني إسرائيل القدامى، الذي يقال إنّه من نسل "يهوذا بن يعقوب".

وإذا كانت التوراة قد دوّنت بلهجة "كنعانية-آرامية"، فكيف يعقل أن نتصوّر أن أهلها كانوا يتكلّمون بغير هذه اللّهجة، ألا يدلّ هذا على التناقض والارتباك وانعدام الدقّة، وينفي في الوقت نفسه نفيا قاطعا وجود أيّ لغة أو لهجة تسمّى "العبرية" ضمن لغات ولهجات الشرق القديم، وما أشاعته المدرسة التوراتية- الصهيونية عن وجودها ليس إلاّ افتراء على التاريخ، وتزوير له.

وبسقوط الادّعاء بوجود لغة عبريّة قديمة، سقط أيضا ما كان اليهود قد قرّروه باطلا، من أنّ العبريّة هي الأصل اللغوي العتيق الذي تفرّعت عنه سائر اللغات، أي أنّها اللغة الأم الاولى.

ومن المحرّفين الأساسيّين المختصّين في تزوير الحقائق المستشرق الفرنسي "بوستيل غليوم" (1510 -1581م)، الذي

كتب في العبرية وبعض الأبجديات الشرقية الأخرى، وادّعى أنّ العبرية أقدم لغة، وأنّ العبرانيّين أقدم شعب في المنطقة.

ويذكر الدكتور محمد محفّل في هذا السياق، أن لفظ "عبرية" ظهر لأوّل مرّة "في صدر المسيحية (في انجيل يوحنّا، الإصحاح التاسع عشر 20)، ويوضّح قائلا: "في الحقبة الأولى للمسيحية، من اعتنق الدين الجديد ظلّ يتكلّم لهجة آرامية، اشتهرت لاحقا باسم السريانية. أمّا من ثابر على يهوديته فأطلقوا على لسانه اسم "العبرية"[(8)].

أمّا علماؤنا القدامى من لغويين وغيرهم، فقد ساهموا لعدم درايتهم بإشاعة هذه التسمية، فعدم معرفتهم بالواقع اللغوي القديم، وبتطوّراته وتبدّلاته جعلهم يسايرون اليهود فيما يزعمون عن وجود لغة تسمى "العبرية".

و من كلّ ما تقدّم، يتّضح للجميع من خلال المعلومات اللغوية والتاريخيّة عدم وجود لغة عبرية قديمة في الواقع اللغوي الشرقي القديم. أمّا اللغة التي تستعملها إسرائيل حاليّا و تكتبها بالخط

الآرامي المربّع الذي يعود إلى القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد، فهي لغة مصطنعة إذ هي في الحقيقة خليط من اللهجة التي كتب بها التوراة قديما، ومن لغات **"اليِدِش"** التي هي بدورها خليط من البولونية والألمانية، والروسية. يضاف إلى هذا ما وقع السطو عليه من كلمات أكّدية، وكنعانية، وآرامية، وغيرها، جرى دمجها في هذا الخليط لإيهام من لا يعرف حقيقة هذه اللغة المصطنعة، بأنّها لغة أصيلة قديمة.

و الدكتور محمد بهجت قبيصي الذي تناول جوانب أساسية من تزوير المدرسة التوراتية و تلفيقاتها عبر مراحل تاريخية معينة، قال عن هذه اللغة :"إنّ العبرية الحديثة هي لغة غير لغة التوراة، و إذا ما أراد متكلم العبرية الحديثة أن يقرأ التوراة، فلا يمكنه ذلك، إلاّ بعد إتّباع دورة دراسية خاصّة "[(9)].

الهوامش :

* ومن الذين سايروا أيضا مع شيء من التردد المستشرق الألماني : تيودور نولوكه في كتابه "اللغات الساميّة" - فصل: العبريّة.

** وفي نسخ أخرى "بشفة كنعان" والمعنى واحد.

(1) د. محفّل : دراسة مخطوطة بعنوان (القدس : بين علمي التاريخ / الآثار والتوراة، نموذج : اللبس العبراني/ الخبيرو في القدس وغموض مفهوم لغة المدينة المقدسة)

(2) المصدر نفسه

(3) تاريخ اللغات السامية - دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دون تاريخ ص 73

(4) المصدر نفسه ص 73

(5) المصدر نفسه ص 75

(6) المصدر السابق

(7) المصدر السابق ص 75

(8) اللغات العربية القديمة : الوحدة الحضارية للوطن العربي من خلال المكتشفات الأثرية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - دمشق 2000 ص 293، وكذلك الدراسة السابقة.

« التفاؤل في شعر إيليا أبو ماضي ومحمد حسين شهريار »

الدكتور محمد خاقاني الأصفهاني (1)

أ. محمد جعفر اصغرى(2)

الملخص:

إنّ الاهتمام الخاصّ الذى لقيه الأدب المقارن من قبل الأدباء والنقّاد فى السّنوات الأخيرة حقيقة مسلم بها؛ لأنّ ماهيّة مثل هذا الأدب قد تسوق الباحث نحو الولوج فى ميادينه وسبر أغواره. مع ذلك، ماحظى به من اهتمامات لا يزال ضئيلا وبحاجة ماسّة إلى دقّة أوفر واهتمام أكثر. إنطلاقا من المذكور آنفا، تحاول هذه الدراسة أن تسهم- ولو قليلا- فى الأدب المقارن مع دراسة التفاؤل فى شعر إيليا أبى ماضي ومحمد حسين شهريار. تصبّ المقالة جلّ همّها فى هذه الدراسة اعتمادا على ما تعتقد به المدرسة الأمريكيّة من عدم وجود التأثير والتأثّر

فى الدّراسة المقارنة. فطبقا لما ذُكر تتناول المقالة المظاهر التفاؤليّة كالتسليم أمام القضاء والقدر، المعاد، التمتّع بالطبيعة البهيجة التى خلقها الله سبحانه وتعالى، ترويج المحبّة، حبّ الحياة، الصبر، النزعة الإنسانيّة، مع الإتيان بالقواسم المشتركة ووجوه التباين فى أىّ مظهر تفاؤلى.

والنتيجة الحاصلة عَن هذه المقالة تشير إلى أنّ شهريار أكثر تفاؤلا مِن أبى ماضى؛ لأنّ أبا ماضى داهَمَهُ الشك فِى مَصير الإنسان.

الكلمات الدليليّة: الأدب المقارن، أبو ماضى، شهريار، التفاؤل.

J

بينما كنّا مَشغولين بمُطالعة الكتب الأدبيّة ولا سيّما ما يمتّ بصلة إلى الأدب المهجرى فى مكتبة كليّة اللغات الأجنبيّة، فإذا بعبارة قد لفتت أنظارنا واسترعت انتباهنا وبعثت أشواقنا وهى: ***إيليا أبو ماضى شاعر الحُبّ والتفاؤل.***

فأرسلنا رائد النظر فيها، وممّا قرأنا في هذا المُوضوع كتاباً بعنوان: ***إيليا أبو ماضى شاعر السّؤال والجمال لخليل برهومى*** ؛ فوجدنا أنّ فئة تذمّه لكونه مُتشائما، وأخرى تُشيد به لكونه مُتفائلا.فركبنا قارب الهمّة نبحث عن الكشف عن البُهمة، وبعد مُطالعات عديدة وقراءات كثيرة عزمنا على أن نقوم بدراسة مُقارنة بين أبى ماضى، وشاعر آخر فى الأدب الفارسى، فاستشرنا فى ذلك الأساتذة فى قسم اللغة الفارسيّة لاختيار شاعر فارسى. فاقترحوا علينا خمسة شعراء، نأتى بأسمائهم على حسب تناسبهم والهدف الذى نتبعه فى هذه المقالة: « ***محمد حسين شهريار، سهراب سپهرى، هوشنگ ابتهاج،فريدون مُشيرى، سيمين بهبهانى*** » مُوضّحينً ميزات شعرهم،مُشجّعين إيّانا على توجيه الإهتمام إلى شهريار لما جمع فى شعره من نزعات تتناسب ونزعات أبى ماضى. بعد ذلك بدأنا بمُطالعة ديوانَي الشاعرين فشدّتنا رغبة جامحة إلى إعداد هذه الدّراسة لكونها غير مَطروقة حتّى الآن.

فإنّ أبا ماضى وشهريار شاعران من فُحول الشعراء وبَلَغا فى الشعر منزلة رفيعة ، لم يَبلغها كثيرٌ من الشعراء، ومِن ثَمَّ كانت دراستُهُما وَالتعرّف على دقائق مَواهبهما مِمّا تشتاق إليها نَفسُ الباحث المُشتغل فِى الأدب.لقد وَقَعَ الاختيارُ بادئ الأمر عَلى دراسة التفاؤل فى الأدبين الفارسى والعربى إلا أنّ الدّارسَ الخَبير فِى الأدبين الفارسى والعربى يَعرفُ تَمام المَعرفة أنّ هذا الموضوعَ واسعٌ ، يُمكن أن يُدرس عنه فى رسالة الدكتوراه، وهذا لا يَعنى أنّ الدراسةَ عن التفاؤل فى شعر الشاعرين سهلةٌ بَسيطةٌ ، بل إنّ بلوغَ هذا الهدف يتطلب جُهوداً مُضنيّةً، تُميط اللثام عن الحقائق وتُزيل ما فى الطريق من العوائق. والباحثُ لا يُمكن له أن يبلغ أدنى مدىً له إلا بالتشمير عن ساعد الجدّ وبالغوص لسبر الأعماق، كغوّاص يَحتمل البقاءَ تَحتَ الماء، مُتصيّداً اللؤلؤ لا الزبد الطافئ على ذُيول الأمواج المَنداحة على الشاطئ.

بينما كُنا نفكّر ببُعد المَقصد ووُعورَةِ المَسلك إذ راودتنا فكرة وهى:لماذا أبو ماضى و شهريار؟ فشعرنا بأنّ هناك فجوة وأنّ الطين زاد بلةً فسعينا إلى رَدم الفجوة بالتأمّل والدّقة.وقد لَبثنا ثلاثة شهور نجمعُ مِنَ المَصادر ما يُساعدنا على فهم الموضوع.ولعلّ أهمَّ ما استرعى انتباهنا من تلك المُلاحظات والمُطالعات يُمكن شرحه فيما يلى:

هناك مَدارس مُقارنيّة مُختلفة أهمّها وأشهرها المدرسة الفرنسيّة التى ترى أنّ الهدف الرّئيس مِنَ الدّراسة المُقارنة هو الكشف عَن مَيادين التأثير والتأثّر. أمّا المَدرسة الأمريكيّة (النقديّة) فهى تُوجّهُ نقداً جذريّاً إلى دراساتِ التأثير والتأثّر وإلى ما يُعرف بالمدرسة الفرنسيّة مُعتقدة بدراسات التوازى والتقابُل. فهى لا تحصر الأدبَ المقارنَ فى إطار ضيّق بَل تفتحُ أمام هذا الأدب آفاقاً واسعة. والمَدرسةُ الأخرى هى المدرسةُ السُّلافيّة أو الماركسيّة التى تؤكّد على أنّ الأدبَ يُمثّل بناءً فوقيّاً للمُجتمع، يُواكبه ويَتطوّر بتطوّره، ولذا

ليس بصحيح أن يُدرس الأدبُ بِمعزلٍ عن دراسة المُجتمع، والتطوّرات الفنّية والفكريّة التى يَشهدها الأدبُ فلا ينبغى أن يُدرس بِمعزل عَن دراسة التطوّرات الاجتماعيّة.

وَمِن خلال ما تجمّع لديّ مِنَ المُلاحظات الآنفة الذكر، تبيّن لي أنّه يُمكن دراسةُ البحث بانتهاج المَنهج الذى تنتهجه المَدرسة الأمريكيّة. فإنّه مِنَ العَسير إن لم يَكُن مِنَ المُستحيل القطع بأنّ هناك تأثيراً وتأثّراً بين الشاعرين (أبى ماضى وشهريار) ولكن تُوجد قواسمُ مُشتركةٌ بينهما فى نزعتهما التفاؤليّة مع أدنى اختلاف. ومِنَ القواسم المُشتركة التى تَجدُرُ الاشارة إليها يُمكن تلخيصها فيما يلي :

1- التمتّع بالطبيعة البهيجة التى خلقها الله سبحانه وتعالى.

2- النزعة الانسانيّة التى تبعث على مساعدة الإنسان بنى نوعه.

3- التسليم بالقضاء والقدر.

4- المحبّة.

فعند حلّ هذه العقدة أحسسنا بالبَهجة والفرحة فصمّمنا على الركوب على جناح

السفربحثا عمّا يُعيننا فى الرسالة ، ذلك لأنّ الدّخول فى صميم البَحث من دون التعرّض لما تمّ تسجيله من قِبَلِ السابقين واللاحقين يُمكن أن يُمثّل ثلمة كبيرة فى هيكليّة البحث. فالتقينا بطالب فى جامعة طهران يَبحث عن الرؤية الكونيّة عند أبى ماضى، فبرزت لنا الآفاقُ فاجتزنا المَساحات للحصول على أبحاث أخرى تَمُتُّ بصلة إلى بحثنا فلم نجد كتاباً أو رسالة درست هذا الموضوع.

وبعد بذل جُهود غير قليلة توصّلنا إلى رسم مَلامح البحث وتشكيل خطوطه العريضة.

لقد اعتمدنا فى هذه المقارنة على ديواني الشاعرين أكثر من أيّ مرجع آخر. فقَسّمنا مَظاهرالتفاؤل إلى: الاعتقاد بالله سبحانه وتعالى، الاعتقاد بالقضاء والقدر، الاعتقاد بالمعاد، حبّ الحياة، النزعة الانسانيّة، المحبّة ، الإيمان بالنجاح، الصبر، التمتّع بالطبيعة، جاعلين لحمتها الصدق وسَداها الانصاف مُحللين ما قاله الآخرون في التفاؤل في شعرهما مُعزّزين رأينا بشواهد من شعرهما.

ونشكرُ كلَّ مَن يُنبّهُنا عَلى ما فِي رِسالتنا مِن نقائص وَهَفوات وذلك تسديدٌ لخطوات قادمة.

ونسألُ َالله سبحانَهُ أن يوفقَ كلّ العاملين لخدمة لغة الدين المُبين، وأن يجعل أعمالَنا خالصةً لِوَجهه الكريم.

نبذة عن حياة أبي ماضي :

ولد إيليا ضاهر طانيوس أبو ماضى في قرية «المحيدثة» ببكفيا بقضاء المتن الشمالي بلبنان، دخل « مدرسة المحيدثة » دون أن يَعرف أنّه سَيَصير في المستُقبل القريب شاعراً كبيراً ،تتدفّق على لسانه أجملُ الأشعار.

لم يدرس فى قريته الصغيرة إلا الدّروس الإبتدائيّة ، يقال أنّه كان يقطع مسافة بعيدة -حين كان فى السابعة من عمره- من المدرسة التى كانت تحت إدارة الشيخ إبراهيم المنذر لشدّة الرغبة فى العلم. وعندما وَجَدَ المُعلمُ رغبتَه أَذِنَ له بدخول الصفّ بدون مقابل. بعد تعلّم أصول الكتابة والقراءة باللغة العربيّة صَمّمَ

عَلى السّفر، فقرّر الرّحيل متطلّعاً إلى مصر.

استقامت لغة أبي ماضي الشعريّة، وأصبح قادراً على التعبيرعن انفعالاته وأحاسيسه ، وصبّها في بوتقة شعريّة جميلة». (برهومى، 1993 : 17).

أُودِعَ إيليا أبو ماضي فى السّجن لمُدّة أسبوعٍ. إذ إنّه حرّض الناسَ على الإستعمار جاعلاً من شعره أشعّة سينيّة لا تبقى ولا تذر.

بعد الخروج عن السجن أخذ يفكر فى العودة إلى الوطن . بعد العودة إلى الوطن سافر إلى أمريكا حيث اشترك مع جبران فى تأسيس الرابطة القلميّة، مبدعا أدبا لا يزال يتألّق فى سماء الأدب العربي. لقد كتب فى الصحف حيث أنشأ مجلة بعنوان « السمير» .

وفى اليوم الثالث والعشرين من شهر تشرين الثانى نوفمبر من عام 1957م. أفضى إلى ربّه، تاركاً وراءه خَمسة دواوين

من الشعر العربي الأنيق ، وثلاثة أبناء هم ريشارد وإدوارد وروبرت أبو ماضي.

نبذة عن حياة شهرريار :

« ولد سيد محمّد حسين بهجت التبريزى من أبٍ محام وأديب سنة 1285هـ.ش.وذلک فى مدينة«تبريز». بدأ الشاعر دراساته الأولى مكبّاً على قراءة « گلستان»، معبّاً ما استطاع عبّه من كوؤس علم أبيه العالم ، مستأنساً بديوان « حافظ الشيرازي ». (ياحقى، 1384: 176)

«بعد أن أَتَمّ دروسَهُ الأولى واصل دراسته فى المدارس الثانويّة «متّحدة » و«فيوضات»، وانتهى منها.» (شكيبا،1373: 330) . سافر إلى طهران سنة 1300هـ.ش واشتغل بالتحصيل فى « دار الفنون».تخرّج من هذه المدرسة وبعد ذلک صمّم على مواصلة دراسته،لهذا دخل مدرسة الطب سنة 1303هـ.ش.

«بعد مُرورخمس سنوات من تحصيله فى فرع الطب أو من الأفضل أن نقول قبل نيله درجة الدكتوراه إنصرف عن التحصيل مُستعدّاً للسّفر إلى خراسان. لقد نُفِيَ إلى

« نيشابور »[1].وبعد مدّة وجيزة اشتغل فى دائرة الأحوال الشخصيّة» (سربازى، 1381: 15)

كانت أمّه تحبّ الشعر ؛ لهذا اقترحت على ابنه إنشادَ شِعراشتهر فيما بَعد بـ « حيدر بابايه سلام ».

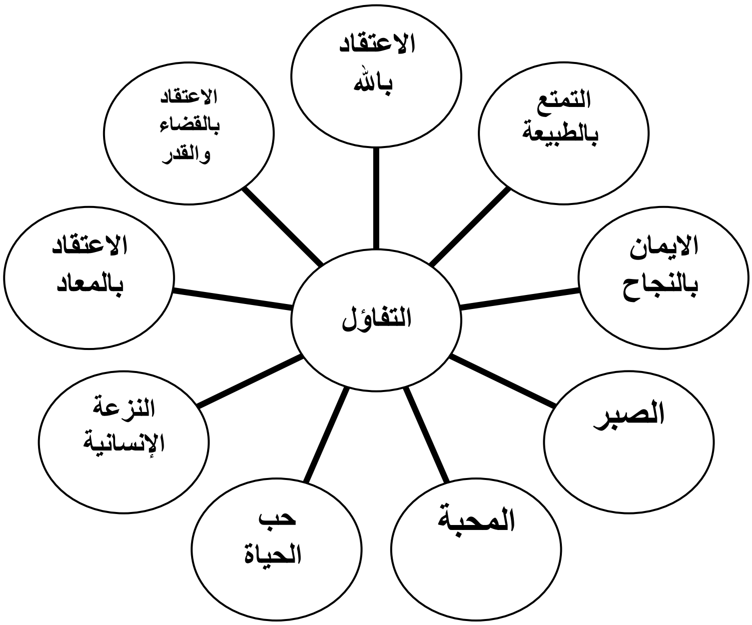
« لقد طُبع هذا الشعر(حيدر بابايه سلام) سنة 1332هـ.ش ونال حظّاً من الذيوع والشهرة، حيث فاقت شهرته ثغور الوطن. فتُرجم إلى اللغات العديدة منها التركيّة والفرنسيّة. فقلدها البعض وأنشدوا على صياغه ونسقه الآخر، غير مُبلغين مَبلغه .»(محمّدي ،1373: 65).

انتصرت الثورة الإسلاميّة فى ايران سنة 1357هـ.ش. وشهريار فى الثانى والسبعين من عمره. مع أنّه كان طاعناً فى السن لكنّه دافع عن الثورة بقلمه ولسانه دفاعاً مُستميتاً داعياً إلى التّمسك بالقيم الأخلاقيّة حاضّاً الشباب للإلتزام بِمُعطيات الثورة مُركّزاً جُهودَهُ المُضنيّة على تشجيع الناس على الوقوف بوجه الأعداء. أجل! ديوان الشاعر مَلئٌ

بالأشعار الثوريّة ممّا يَشهد بصفاء قلبه وثروة عقله.

إلتحق الشاعرُ بالرّفيق الأعلى في اليوم السابع والعشرين من شهر شهريور عام 1367هـ. ش بمُستشفى «مهر» بطهران، تاركاً وراءه ديواناً بعنوان «ديوان شهريار» وثلاثة أولادٍ هم «شهرزاد»،«مريم» و«هادى». وطبقاً لوصيّته نُقل جُثمانه إلى «تبريز» ووُرى في مقبرة الشعراء لسرخاب بها.

تمهيدا للدّخول في المقارنة بين الشاعرين. ذكرنا بعضَ المُشتركات بينهما .وقبل ذكر القواسم المشتركة ونقاط الخلاف، نأتي بمظاهر التفاؤل لديهما، حتّى يَسهل علينا فهم الموضوع.



هذا الشكل يبيّن لنا مظاهر التفاؤل في شعر الشاعرين

مقارنة النزعة التفاؤليّة بين الشاعرين:

للتفاؤل درجات . إنّ أعلى مراتبه هو الإعتقاد بالله سبحانه وتعالى الذى بيده كلّ شئ.فنبدأ بالإعتقاد بالله، مُلقينَّ أضواءً كاشفة على المُوضوع حتّى يَسهل على القارئ فهمُ المعنى :

الاعتقاد بالله سبحانه وتعالى

لقد وضعنا الاعتقاد بالله بين مظاهر التفاؤل، مُعتقدين أنّ سائرَ مَظاهر التفاؤل تستقى من مورد الاعتقاد بالله .

تُرى ! هل يمكن التفاؤل بدون الإعتقاد بالله؟ وفى الجواب نقول:كلّا ! لأنّ الإنسان الذى ينحى منحى تفاؤليا فى حياته يعلم أنّ هناك خالقا خلق هذا العالم وبيده كلّ الأموروفيو كل أمره إلى الله. إنّ التفاؤل يدخل فى دائرة الاعتقاد بالله، وكلّ الأديان تعتقد بهذا.

إذا رُحنا نغوص فى أعماق قصائد أبى ماضى خرجنا مِن دواوينه جميعاً من دون جواب، إذ إنّه مرّة يُعلن إيمانه بالله إعلاناً واضحاً :

آمَنتُ باللهِ وآياتِه   أليس أنّ اللهَ باريها

(ديوان أبي ماضي ،شمس الدين، 1426: 478)

ومرّة أخرى يقول:

كيف كان الله؟........إنّي قد وجدت الله سرّا

أسمع الناس يقولون به خيراً وشرّا

فأفدني......

قلت: يا إبنى أنا مثل الناس طرّا

لِيَ فِى الصحّة آراءٌ وفي العلّة أخرى

كلّما زحزحتُ ستراً خلتني أسد لُ سِترا

لستُ أدري مِنك بالأمر ولا غيري أدرى!

(ديوان أبي ماضى(الخمائل)،1974: 191)

الملفت للنظر فى القصيدة، هو أنّ الشاعر يرى الله سرّاً . «وإذا تابعنا القصيدة فإنّنا نراه فى كلّ واد يهيم ، فتارة يجعل الله « فكراً» وتارة يجعله « حسّاً » و طوراً يجعله « شعوراً » و فى آخر المطاف يجعله « ديوان شاعر».(شمس الدين ، 1426: 27).

هذا بالنسبة لأبي ماضي، أمّا شهريار فهو في كثير من أشعاره يُشير إلى اعتقاده بالله إشارة كاملة . لو تصفّحنا ديوان الشاعر من أوّله إلى آخره لفهمنا أنّه يَزخر بمَفاهيم ومَعان تنبعث عن اعتقاد شهريار بالله سبحانه وتعالى .

فهو لا يُنحى باللائمة على الخالق والوجود وإنّما يَرى الله كريماً سخيّاً.

ای دل اگر در جهان نشان کَرَم نیست

غُصّه مَخور جان مَن خُدای کَریم است

(شهریار، 1385، ج1: 108)

يا قلبي! إذا لم تجد علامة برّ في العالم ، لا تغتمّ لأنّ الله سبحانه وتعالي كريم.

القاسم المشترک:

إنّ شعر كل شاعر مرآة لانعكاس أفكاره ونوازعه. طبقاً لما رأينا فى مرآة شعر أبي ماضي أنّه يُؤمن بالله مُتسائلاً: أليس أنّ الله باري هذه النّعم. شهريار كأبي ماضي يَرى الله في كلّ العالم :

از همه سوی جَهان جلوه او می بینم

جلوه اوست جَهان کَز همه سو می بینم

(نفس المصدر: 320)

الترجمة : أرى الله متجلّياً في كلّ أنحاء العالم في أرضه وفي سمائه.

وجه التباين:

إذا قلنا أنّ شهريار أكثر إيماناً من أبي ماضي لا نكون مُغالين في ذلك . لأنّ أبا ماضي يرى الله سرّاً ، وهل يكون الله سرّاً ؟ في حين أنّ شهريار نهل من منهل الدين ولم يَر الله سرّاً لا يَعرفه أحدٌ.

الاعتقاد بالقضاء والقدر:

بدليل أهمّية المُوضوع يستحسن بنا أن نهتمّ به كلّ الإهتمام حتّى لا يفوّت علينا الغرض الذي نرمي إليه.

ما القضاء والقدر؟

قلما نَجد بين الناس إنساناً لا يذكر القضاء والقدر فيما يستقبل أو يستدبر من شؤون الحياة. فإذا أخطأ أو أصاب ، وإذا أحسن أو أساء ، وإذا نجح أو أخفق ، وإذا أصابَهُ خيرٌ أو مَسّه ضُرٌّ

ذكر القضاء والقدر ونسب إليهما كثيراً مِمّا وَقع له.

« فنحن أكثر ما نذكر القضاء والقدر فى أدبار الأمور التى تفلت من أيدينا عن عجز والذى يأخذ فى الأسباب الصّحيحة ، ويَسعى لها سعيها ، ثمّ يَقع المكروه الذى لم يكن ينتظره. عندئذ حَسَنٌ أن يعزى الإنسان نفسه بهذا العزاء الجميل ، فذلک مَعناه الإيمان بالله والرّضاء، ثمّ يَلد له هذا العَجز مَواليد شؤم.... من الضّياع ، والذلة ». (الخطيب، لا تا: 147)

لقد أشارت الكتب الفلسفيّة إلى الفرق بين القضاء والقدر.

القضاء[2]:

« القضاء هو الحكم والقطع والفصل، وسُمّى القاضي بذلک؛ لأنّه يُفصّل بَين المتحاكمين». (المطهري، ترجمة التسخيري، 1362: 51)

لم يذكر لفظ « القضاء » فى القرآن الكريم ، وإنّما ذُكرت مُشتقّاته فى آيات

كثيرة ،فذكر في صورة فعل كقوله : **(فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ)** (سورة فصّلت، الآية : 12) . وقوله : **(وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ) (** سورة غافر، الآية : 20) **.** كما ورد من لفظ اسم المفعول في الآية الكريمة **: (وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا)** (سورة مريم، الآية **:**21) **.** واسم الفاعل في قوله سبحانه : **(فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ) (** سورة طه، الآية **:** 72) **.**

« والذي ينظر في هذه الآيات يَجد تقارباً واضحاً بين مُشتقّات « القضاء»، وأنّها تدور جميعها حول معنى واحد ، هو الفصل والحسم في الأمر، وأنّ قضاءَ الأمر مَعناه انجازه وحسمه » (الخطيب ، لاتا **:** 148) **. القدر**[3]

لقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم ، مَصدراً وفعلاً. جاءت في الآية الكريمة **: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (** سورة القمر ، الآية **:**1) ، وقال**: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)** (سورة القمر،

الآية :49) ومعنى القدر: التقدير، وضع الشيء في موضعه المُناسب له.

ما الفرق بين القضاء والقدر؟

« نرى أنّ القضاء أخصّ من القدر، بمعنى أنّ دائرة القدر أشمل وأعمّ، فالتقدير تدبيرٌ، والقضاء حُكمٌ ... القدر تصميمٌ، والقضاء تنفيذٌ ». (الخطيب، لا تا: 149).

تعرّفنا على القضاء والقدر مُبيّنين معناه، وبعدهذا التبيين لنرى القضاء والقدر في شعر الشاعرين.

« والحوادث الكونيّة من زاويّة كونها تحت علم الله ومشيئته الحتميّة تندرج تحت القضاء الإلهى، ومن زاويّة كونها مُحدّدة بمقدار مُعيّن تندرج فى التقدير الإلهي». (المطهري، ترجمة التسخيري، 1362: 51)

القضاء والقدر فى شعر الشاعرين:

« يُبدى أبو ماضى شيئا من الإستسلام للقضاء والقدر، ويرضى بما قُسم له،

وكأنّه مُنساق إلى هذا الرّضى ». (فاخوری ، 1422 : 594) .

جارَ القَضاءُ عَلَىّ فِی أحكامِهِ
ما حيلةُ الإنسان إن جارَ القَضا؟

(ديوان أبی ماضی، شمس الدين، 1426: 60)

وفی جانب آخر من شعره يقول :

وقولوا كذا قَد أرادَ الإله
و إن قدَّرُ الله شيئاً يَكون

ألا تؤمنون بِقول الكِتاب فَويلٌ
لَكم إنّكم كافِرون

(ديوان أبی ماضی، شمس الدين ،1426: 454)

اقتبس الشاعر من هاتين الآيتين التاليتين: **(إنمَا أمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)** (سورة يس، الآية : 82) . **(إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)** .(سورة آل عمران، الآية : 47)

شهريار يسلم نفسه للقضاء والقدر قائلاً: يجب على الإنسان أن لا يفزع أمام المَصائب.

تسليم با قضا وقدر باش شهريار
وز غم جزع مَكن كه جَزا مى دهد به دل

(شهريار، 1385،ج1: 285)

الترجمة : يا شهريار! سلّم نفسك للقضاء والقدر ولا تفزع أمام الغمّ.إذ من وراء كل حزن وألم جزاء وشفاء.

القاسم المشترك:

كلا الشاعرين مُعتقدان بالقضاء والقدر، مُسَلمين أنفسهما أمامه. يتأثّر أبو ماضى فى هذا الجانب بالقرآن الكريم (البيت السابق لأبى ماضى)، وهذا يُبرهن على ما فى هذا الكتاب من مَفاهيم عَميقة ، تسوق الإنسان نحو التسليم أمام القضاء والقدر.

وجه التباين:

إذا قلنا أنّ شهريار يتفوّق على أبى ماضى، فإنّنا قد لا نكون مُغالين فى ذلك . وربّما يتعجّب القارئ من هذا المُعتقد ، لأنّنا قلنا أنّ الشاعر تأثّر بالقرآن الكريم . أجل! تأثّر الشاعر كلّ التأثّر بالقرآن الكريم، لكنّه كما رأينا يعتبر القضاء جوراً، ثمّ يُتابع قائلاً: ليس للإنسان حيلة أمام القضاء والقدر إلا التسليم . فوجه التباين هو أنّ شهريار يُسلم نفسه للقضاء والقدر كاملاً غير مُنح بالملائمة على الحياة، مُعتقداً أنّ العيشَ فى الهمّ والغم سوف يُؤدّي إلى الإطمئنان القلبي.

المعاد :

المَعادُ أصلٌ ثابتٌ مِن أصول الإعتقاد فى كلّ الأديان السّماويّة، وهو الأصلُ الذى اقترن بالتوحيد والنبوّة ، إذ صار الإيمانُ بالله وبرُسُلِهِ وكُتُبِهِ داعيّاً إلى ضرورة الإيمان بِهِ ، فهو لازمُ التصديق بدعوات الأنبياء المَشحونة بالنّصوص القاطعة فى إثباته .

وقد واجه الكثير من البشر على إمتداد التاريخ هذه العقيدة بأسئلة بدائيّة ساذجة،ومازالت ، رغم بدائيّتها وسذاجتها ، مَصدراً لِشكوك الكثير مِمّن تردّد فى قبول هذا المبدأ أو أنكاره، وهذه الإشكاليّة تدور حول عودة الجسد البشري بعد تفسّخه فى الأرض ، أو توزّعه ذرّات متُفرّقة هنا وهناك. ومُنذُ أن نزل القرآن عالج هذا الموضوع، بطرح البَراهين الحسية التى تفتح الأذهان أمام أبسط أشكال القياس الذى تستسيغه العقولُ الفطريّة ، وتدرك أهميته العقولُ الفلسفيّة ، وذلك فى مثل قوله:

(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) (سورة يس، الآية: 78) **(قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)** (نفس السورة، الآية: 79) .

إتّفقت الشرائعُ السماويّة جمعاء على تأصيل هذا المبدأ العقائدى ، وتحمّل الأنبياء والرّسل ، فى مُختلف مَراحل التاريخ ، المَتاعب الجمّة والتحديات

الكثيرة ، على طريق ترسيخه في نفوس أقوامهم .

إنّ التفكّر في خلق السماوات والأرض ، وخلق مُفردات هذا الكون الفسيح ونظامه الكامل المُنسجم ، يَقودنا إلى الإيمان بالقدرة العظيمة ، لبديع السّماوات ، على إحداث النشأة الثانيّة ، كما أحدث النشأة الأولى من العدم ، لأنّ مَن قدر على الإبتداء فهو على الإعادة أقدر.: **(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** . (سورة الأحقاف ، الآية : 33) .

عندما نتصفّح ديوان أبي ماضي نجده داعيّاً إلى عدم المُبالاة والاعتناء بالوضع الذي يعيش فيه الفرد .

هاتِ اسقني الخَمرَ جَهراً وَلا تُبالِ بِما يَكون

إن كانَ خَيرا أو كانَ شَرّا إنّا إلى الله راجعون[4]

(ديوان
أبي ماضي،شمس الدين، 1426: 454)

وكلّ إنسان سوف يموت وله نشور بعد قرون :

لا تَجزَعي فَالمَوتُ لَيسَ يَضيرُنا
فَلَنا إيـــــــــــابٌ بَعدَهُ وَنُشورُ

)
نفس المصدر: 205)

لكنّه يُنكر الخلود في قوله:

إنّما القولُ بأنّا للخلـــــــــــود
فِكرة أوجدها حُبّ البـــــــقا

(نفس المصدر: 507)

لكنّ المُتأمّل في ديوان شهريار يَجده مُعتقداً بالمَعاد إعتقاداً راسخاً. فالذي خلق هذا العالم يتبع هدفاً مُعيّناً وللعالم مَبدأ ومَعاد ولم يُخلق العالم عبثاً :

بَد ونيک جهان بی داوری نیست
چنین مُعظم اساسی سَرسَری نیست

جهانبان را ازین خلقت مُرادیست
جهان را نیز مَبدأ ومَعادیســـــت

مُراد حق که راهی بی نشان است
سعادت گر شنیدستی همـــــــان است
اگر دعوی انسانی کنـــــــد کس
همین راه سعادت جویـــــــــــد وبَس

(شهریار، 1385،ج2: 787)

الترجمة: ما أتيت به من حسن وسيّئ فى العاجلة تجز به فى الآخرة،لأنّ مثل هذه المجموعة الكاملة لم تخلق عبثاً. من خلق العالم له هدف، وللعالم مبدأ ومعاد، إنّ سعادة الإنسان تتوقّف على قطعه مسير الحق. من ادّعى الإنسانيّة فيكفيه طريقُ السّعادة.

القاسم المشترک:

تبيّن لنا ممّا سبق أنّ الشاعرين کلاهما مُؤمنان بالبعث والنشور وأنّ الإنسانَ سوف يرجع إلى ربّه.

وجه التباين:

لقد إعترى الشک والقلق أبا ماضي فى هذه النزعة . مع أنّه مُعتقدٌ برجوع

الإنسان إلى الله لكنّه يُنكر الخلود. وهل يُمكن للإنسان الذى يَعتقد بالبَعث والنشور أن يُنكر خلود الإنسان؟ لعلنا لا نغلو إذا قلنا أنّ شهريار أحرز قصب السبق على أبى ماضي، لأنّ أفكار شهريار مُنعكسة كُلّها فى مرآة شعره، ولم نَجد فى هذه المِرآة ما يَسوقنا نحو الاعتقاد بقلقه وشكّه.

الصبر:

إنّ التحلي بالصبر يَمنح الإنسان الصّمود أمام مَصائب الحياة وأحداثها المُفجعة، كما لا يُسلمه للحوادث ولا يَجعله فريسة للاضطراب والقلق والضياع. وكلما إمتلك الإنسان هذا السلاح تمكن مِن السّيطرة على المُزعجات، وبالتالى يُساعده على أن يَحول دون شعوره بالإضطراب والقلق الذى تتّسع أمواجُهُ يوماً بعدَ يوم.

لقد نحا أبو ماضى هذا المَنحى التفاؤلى:

أ (فهميٌّ) إنّ الصّبرَ أليقُ بِالفَتى
وَلا سيّما مَن كانَ مثلك سيّدا[5]

فَكُن قُدوةً لِلصّابرين فَإنّما بِمِثلِكَ فِى دَفعِ المُلِمّاتِ يُقتَدى
لَعَمرُكَ ما الأحزان تنفَعُ رَبّها فَيَجمُلُ بِالمَحزون أن يَتَجَلّدا

(ديوان أبي ماضي،شمس الدين، 1426: 166)

أمّا فى جانب آخر من أشعاره فهو يتجلى لنا مُعلماً يعلمنا دروساً تشنّف أسماعنا. اسمعه:

كُن بَلسماً إن صارَ دَهرُكَ أرقَما وَحلاوةً إن صارَ غيرُك عَلقَما

(نفس المصدر: 387)

يعبّر الشاعر عمّا يُصاب الإنسان به مِن مصائب بـ « أرقم »، داعيّاً إيّاه إلى وضع البلسم على جروحه. لقد أتى الشاعر بكلمة « أرقم » ليُشير إلى أشدّ المَصائب حتّى لا يَكون جزعاً أمامها.

فيحسن بالإنسان أن لا يعتنى بكآبة السّماء وأن لا يتّجهم ؛ لأنّ الابتسامَ قد يُزيل الكآبة:

قال: « السّماءُ كَئيبةٌ » وتَجَهَّما
قُلتُ: ابتَسِم يَكفى التجهُّمُ فِى السّما !

قال: الصّبا وَلّى !فَقلت لَهُ: ابتَسِم
لن يُرجع الأسفُ الصّبا المُتصرّما

(ديوان أبى ماضى،شمس الدين، 1426: 386)

و لو ترک الإنسان الهم جانباً لحذا حذوه الآخرون واقتدوا به فى ترک الأحزان:

فَلَعلَّ غَيرَک إن رَآکَ مُرَنّماً
طَرَحَ الكآبةَ جانباً وَتَرَنّما

(ديوان أبى ماضى ،شمس الدين1426: 386)

إنّ شهريار يَدعو إلى الضحک فيما يُصادف الإنسان من أمور غامضة مُبهمة يَستعصي عليه حلها. لأنّه فى نظره يُضيء الضحک الظلام ويَبعث فى النفس المُثابرة. لم يألُ الشاعر جُهداً فى الإتيان بالأمثلة العقليّة التى تُسبّب فى عدم حزن الإنسان. إسمعه:

عقل را اسلحه در جنگ مَصائب صبر است

او چه مکری که مُعافی دهد از هر مکروه
چون فلزی که مُطلا کنی از آب طلا
بِشِکَر خنده هم اندود توانی اندوه
چه بسا لب به تبسّم بگشاید چون فجر
با وجودیکه غم انباشته دارد چون کوه

(شهریار، 1385،ج2: 1201)

الترجمة: إنّ سلاح العقل فی مُکافحة المصائب هو الصبر.فالصبر حيلة تغنينا عن أیّ شئ آخر.

يمكن لنا أن نطلي الحزن بسكّر الضحك والإبتسام كالمعدن الذی نطليه بالذهب.قد يبتسم الإنسان كالفجر مع أنّ آلامه كثيرة كالجبال.

القاسم المشترک:

فيما سبق ظهر لنا أنّ الشاعرين دعوا إلى الصبر، مُؤكّدين على الضحك والابتسام.يكاد أن يكون الابتسام أمام مصاعب الحياة هو القاسم المُشترك بين الشاعرين في هذه النزعة.لأنّه كما رأينا وجّه الشاعران نداءهما إلى الأجيال الصاعدة أن لا يستسلموا إلى الهموم والأحزان.

وجه التباين:

لقد أكّد شهريار على التعقّل في المَصائب. هذه النزعة قلّما نجدها عند غيره من الشعراء، في حين أنّ أبا ماضي لم يدع إلى التعقّل، وإنّما وجّه اهتمامه إلى توجيه الانسان نحو التجلد. بغضّ النظر عن دعوة شهريار الانسان إلى التعقّل في المَصائب، لا يُمكن لنا أن نصدر حُكماً قاطعاً بأنّ الشاعرين يتفوّق أحدهما على الآخر.

التمتّع بالطبيعة

الحياة قصيرة فالانسان المُتفائل يُعلل نفسه بالأماني ويريحها بطبيعة الله التي لا تكذب. لأنّها توزّع نعيمها على

جميع البشر. إنّ طبيعة الله مَليئة بعناصُر المُتعة والبَهجة، فعلى الانسان أن يَغتنمها كلّما توفّرت الظروف. يقول أبو ماضى :

أنا شاعرٌ أبداً تائقٌ
إلى الحُسن فِى النّاسِ وَالكائنات

أُحِبّ الزّهورَ وأهوى الطيور
وأعشِقُ ثرثرةَ السّاقيات

أمامَكم العيشَ حُرٌّ رَغيد
ألا فَاغنموا العيشَ قَبلَ الفَوات

(ديوان أبي ماضي،شمس الدين،
(126 :1426

أتى شهريار بهذه النزعة فى شعره قائلا: يا أيّها الانسان! كلّ ما تحت التراب زادٌ لک فاستفد منه. إنّ الطبيعة أعطتک كلّ هذه الكنوز مَجّاناً فلا تُشح بوجهک عن الطبيعة التى ملأها سُبحانه وتعالى بالبهجة

راه مَعيشت به جهان تنگ نيست
حاجت غارتگرى وجَنگ نيست

آنچه به خاك است وبه آب وهواست
روي هم انباشته برگ ونواست

اینهمه گنج است وهمه شایگـــــان
داده طبیعت همه را رایـــــــگان

(شهریار، 1385، ج2: 704)

الترجمة: ليست طريق سدّ الحاجات ضيّقة وليست المعيشة شظيفة، فما التبرير للنّهب والحرب؟

ما دفن تحت التراب وانتشر فى الهواء يعتبر زادا لک.فيا أيّها الإنسان! اعتبر نعمات الله الكثيرة في الطبيعة كنزا ثميناً؛ لأنّ الطبيعة أعطتک مجاناً.فاستفد منها ماتستطيع إليه سبيلا.

القاسم المشترک :

إنّ حبّ الطبيعة واضحٌ عند الشاعرين، إضافة إلى ما فى أدبهما مِن دعوة إلى الاستفادة منها. والفُرصة سانحة لِمَن يُريد التمتّع بها .

وجه التباين :

عند الاستشهاد بأبيات الشاعرين فيما يتعلق بالتمتع بالطبيعة رأينا أنّ

شهريار قليلا ما يَتحدّث عن المَظاهر الطبيعيّة، وإنّما يَبذل أقصى جُهوده لدعوة الإنسان إلى التمتّع بنعم الله الغامرة فى الوُجود، فى مَفهوم عَميق. يُعبّر الشاعرعمّا نراه ههنا وهناك بـ « گنج» أى [الكنز] ثمّ يُشجّع الإنسان على شقّ الأرض للحصول على هذه الكنوز الثمينة. فهو لا يتحدّث عن الظواهر الطبيعيّة مثل «الساقيات»،«الروابى»،«الجداول » بل يَأتى بأدلة مَنطقيّة وبَراهين عَقليّة . فى حين أنّ أبا ماضى لم يدخل فى دائرة العقل، وإنّما أثرى الانسان بالطبيعة البهيجة بألفاظ بسيطة .

الايمان بالنجاح:

إنّ الكتب الفلسفيّة تؤكد على أنّ الايمان بالنجاح والفوز فى المُستقبل علامة من علامات التفاؤل. فالإنسان المُتفائل يبذل قصارى جهوده للوصول إلى ما يُريده من أهداف .لأنّ ضَميره قد أملى عليه: « من جدّ وجد » يَسعى ويَسعى حتّى يَجد ضالّته؟ وربّما يسألنا القارئ

الكريم ما هى ضالّته ؟ فنُجيبه الضالة هى الهدف المَنشود لكل شخص يَبحث عنه.

هذا ما أشار إليه أبو ماضى:

أرسَلتُ قولي تَمثيلا وَتَشبيهـــــا
لعلَّ فِى القولِ تذكيراً وتنبيـــــها

لا شيء يُدركُ فِى الدّنيا بِلا تَعَبٍ
مَنِ اشتَهى الخَمرَ فَليزرَع دَواليها

(ديوان أبى ماضى، شمس الدين، 1426: 477)

أمّا شهريار فقد كان مُعتقداً بأنّ تحمّل المَشاكل والمَصاعب يُحيى فى الانسان قوة السعى والإرادة يُشجّعه على مُواصلة العمل. فالإنسان عندما يتحمّل المَصاعب يُبَشّر بشئ ثمين يكون جزاء لمُثابرته على العمل:

رنج ببر تا ببرى گنج مزد
رنج ندزدى كه برد گنج دزد

(شهريار، 1385،ج2: 704)

الترجمة: كابد المصاعب، تبلغ المواهب. ولا يمكنك سرقة التعب،فاللص هو الذى يسرق الكنز.

القاسم المشترك:

نَستنتج مِمّا ذكرناه آنفاً أنّ هناك وجوه تقارب فى الأفكار بين أبى ماضي وشهريار:

1- العالم مدرسة السعى والعمل .

2 - عدم الإصابة بالخيبة واليأس

3- الإيمان بالفوز فى المستقبل.

وجه التباين:

لا يمكن لنا أن نقطع بأنّ هناك خلافا بينهما فى هذا الجانب.لأنّنا مهما تجوّلنا فى حديقة شعرهما لم نعثر على نقطة تباين.

المحبّة

عند دراستنا لهذا المُوضوع تخطر ببالـنا هذه الأسئلة؟ ما الصلة بين المحبّة والتفاؤل؟ هل المحبّة تُؤدّى إلى التفاؤل ؟ ما معنى المحبّة؟ للإجابة عن

هذه الأسئلة؛ لا بُدّ من القول إنّ الانسان الذى يُحبّ الآخرين ويُعاملهم بالبشر والمحبّة ، فى الحقيقة هو مُتفائل بالنّسبة للإنسان والاجتماع. أمّا بالنسبة لمعنى المحبّة فهى التصرّف الذى يظهر الشوق للآخرين ويكنّ الحنان فى القلب لهم.

نرى أبا ماضى فى هذا المَنحى أصدق الناس عاطفة وأخلصهم شُعوراً بالمسؤوليّة الاجتماعيّة ، حيثُ يقول:

أنتُم بَنو وَطنى وأنتم إخوَتي
وأنا امرؤٌ دِينُ المَحَبّةِ دِيني

(ديوان أبي ماضي،شمس الدين، 1426: 433)

****

لَولا المَحَبّةُ صارَ الكونُ أجمعه
طوُبَى الأفاعى وَفِردوسُ السَّراحينِ

(نفس المصدر : 431)

لم يتغافل شهريار عن هذا المهمّ مُخاطباً نفسه:

شهريارا اگر آيين محبّت باشد
چه بِهِشتى وچه دنياى بهشت آيينى

(شهريار، 1385،ج1: 427)

الترجمة : يا شهريار! لو انتشر دين المحبّة فى العالم لصار العالم جنّة، ويا له من عالم يسوده رسم الجنّة.

القاسم المشترك :

تتخلص القواسم المشتركة من ناحيّة المحبّة فى أمرين:

1- اتخذ كلا الشاعرين من المحبة دينا يعاملان الناس به بالبشر.

2- يرى الشاعران قوام العالم فى المحبّة.

وجه التباين :

إنّ أوّل شئ يلقانا فى هذا الجانب هو أنّ أبا ماضى يعتبر المحبّة علماً:

من ذا يُكافئ زهرة فوّاحة
أو مَن يُشيب البُلبل المُترنّما

عدّ الكرامَ المُحسنين وَقِسهُمُ
بِهِما تَجِد هذ ين مِنهم أكرما

يـا صاحِ خُذ عِلمَ الـمَحبّة عَنهما
إنّـي وَجَدتُ الـحُبّ عِلماً قـيّما

(ديـوان أبـي مـاضي،شمس الـديـن، 1426: 378)

فـالـ شاعر ا لـذى يـعتـ بـر الـمحـ بة علـمـاً طبـيـعـيٌ أن يـكون شديـد الـغوص فـيـه ، مـُدقّقـاً فـيـه. أكـّد أبـومـا ضى عـلـى و صولـه إلـى نـفـسه، و إلـى مـعـرفـة الله بـو ا سطة الـحُب، و هذ ا الـ شئ الـجمـ يل الـبـا عث لـ لـذة فـى ا لـنفس لا نـجده عـنـد شهريـا ر. و هذ ا يـر جع إلـى كـون أ بـى مـا ضى شـا عراً مـهجريـّاً. و الـحـُبّ كو كبُ يـ تـأ لّق أكـثر مـن الـنـجوم الأ خرى فـى سمـاء الأدب الـمـهجري.

يـبـــدو أنّ شـــا عرنـا أبـــا مـا ضـــي يـتـفـوّق عـلـى شـهريـا ر لأنـّه أ تـى بـأ صفـى الـشعر الانـسانـي ا لـذى د عا إلـى الـمحبـّة و الـبـهـجة و الـسرو ر.

الـنـزعة الإنـسانـيّة :

لـ قـد قـتـلا الـ شا عرا ن الـنـز عة الـمـا د يـة الـتـى لا تـبـعث عـلـى مُـسا عدة الـبـشر، مُـشَـمّـرَيـن عن سوا عد الـجد لـمُـسا عدة الـنـا س، فَـهُـمـا اذ ا نـزلـت بـأ حد هما مُـصيـبـة، يُـشا طرانـه فـى

هـذه الـمُصـيبة بـاحثين عـن سـبيل لحـلّ الـمُشكلة.

مَا الـذى دفع أبا ماضي إلى أن يُدافع عن صديقه بناجذه وبمخلبه وأن يستر منكب صديقه العرى بمنكبه؟ يَبدو أنّ تفاؤله ساقه نحو هذا المُعتقد، أتى الشاعر بكلمتى « ناجذ » «مخلب» ليُشير إلى أنّه يَبذل جُهوداً مُضنيّة لمُساعدة أخيه :

إنّى إذا نَزَلَ البَلاءُ بِصاحِبـي دافَعتُ عَنهُ بِناجِذِي وَبِمِخلَبـي

وشَدَدتُ ساعدَهُ الضعيفَ بِساعِدِي وَستَرتُ منكبه العَرى بِمنكِبي

وأرى مَساوئَهُ كأنّـى لا أرى وأرى مَحاسنَهُ وإن لَم تُكتب

(ديوان أبى ماضى، شمس الدين، 1426: 71)

إنّ النزعة الإنسانيّة من أكثر النزعات التفاؤليّة انتشاراً فى شعر، شهريار. فقد تحدّث شهريار عن هذا المُهم فى شعره، لأنّه عزيزٌ عليه كون أخيه، مُعَنّي فى

الآلام والأوصاب، وهو يشير في ثنايا ذلك إلى البَحث عن دَواءٍ لِعَلاج أمراض البشر.

شرط أُخوّت نه سِتمكاری است
حَق بَرادر همه غمخواری است

شرط بُوَد با همه يِكرو شدن
دَرد بشر ديدن ودارو شدن

رَسم خودی با همگان داشتن خود
همگان را خودی انگاشتن

(شهريار، 1385،ج2: 704)

الترجمة: إنّ الأخوّة تقتضي منّا أن لا نظلم إخواننا، مُشاطرين إيّاهم في الأحزان.

غير مُرائين،باحثين عن دواء عند مُشاهدة آلامهم. مُعتبرين إيّاهم أقرباء.

القاسم المشترك:

تدور فكرة الشاعرين الإنسانيّة على المحاور التاليّة:

1- يجب على الانسان الشعور بالمسؤوليّة أمام الوضع الذى يعيش فيه أخوه.

2- العفو عن الخاطئ.

3- اعتبارُ الآخرين إخوة وأصدقاء.

وجه التباين:

لو نظرنا نظرة عابرة إلى هذه النزعة فى شعر الشاعرين للمرّة الاولى ، لن نحصل على شيء يدلنا على الاعتقاد بأنّ هناك تباينا بينهما. لكن لو أمعنّا النظر فى مرآة شعرهما لفهمنا أنّ هناك نقطة تباين بينهما. إنّ شهريار وجّه نداءه إلى الأجيال الصاعدة بشكل عام .قوله:« درد بشر ديدن ودارو شدن» أى [مشاهدة آلام النّاس والبحث عن الدّواء] يدلّ على ادّعائنا هذا.يظهر لنا شهريار فى هذه النظرة شاعراً عالميّاً يُحبّ أن تجتاح هذه المثل الانسانيّة أنحاء العالم. وأنّه يجب أن لا نتغافل عن الشعور الانسانى الذى يُظهره أبو ماضي، لانّه من القلائل الذين كان لهم شرف المُحاولة فى تطويع الشعر العربى للأغراض الانسانيّة الكبيرة.

حُبّ الحياة

لم تكن الموضوعات التى درسناها بعيدة عن الأخرى، وانّما كانت كبيتٍ مُشيّد بالحجارة والاسمنت، ربّما تدمّر كلّ البيت لو أخذنا بآجرّة منه.لهذا صمّمنا على دراسة كلّ الجوانب التى كانت ذات أهمّية بالغة، حتّى ننهل من معين شعر الشاعرين الذى لا ينضب. ربّما وقع الموضوع الذى ندرسه فى دائرة المُوضوعات الاخرى، لكنّنا نهتمّ به، حتّى لا يغيب عنّا جانب من شعرهما .

وأبو ماضي المُتفائل يَسمو إلى أعلى درجات المَجد والسؤدد، فلا يقنع بالأردأ، وإنّما يتوقّع الوصول إلى ذروة الكرامة والمَجد. فهو لا يُحبّ الحياة راحةً وإنّما يُحبّها كدّاً وتعباً.

أحبّ سِواى العيشَ لَهواً وراحَةً
فأحبَبتُها كدّاً وأنكرتُها لهواً

وَ ما دامَ فِى الدّنيا سُمُوٌّ وَرِفعَةٌ
فَما أنا مَن يَرضى وَيَقنَعُ بِالأردإ

(ديوان أبي ماضي، شمس الدين، 1426: 172)

فيظهر لنا أبو ماضي في مرآة شعره انساناً يُحبّ الحياة، ويَسعى فى طريقها غير راض وقانع بالأردإ.

أمّا شهريار فهو يغوص فى بحر الحياة، مُتصيّدا لآلی جمیلة:

گر خود تُرا بِسير تكامل شكيب نيست
ازآن توست نَقص نه از آن زندگی

غوّاص عِشق باش كَزين بَحر بيكران آرى
بِچنگ لؤلؤ ومرجانِ زندگی

امروز قَدر زندگی خود شناختم
ای جان شهريار بقُربان زندگی

(شهريار، 1385،ج1: 588)

الترجمة: لو لم تكن صابراً على مصيرک، لا تنح باللائمة على الحياة.غُص فى بحر الحب، تتصيّد اللآلى الجميلة. اليوم عرفت قدر حياتي، فمن ثمّ أفدّى بنفسى للحياة.

القاسم المشترک:

ظهرلنا أنّ الشاعرَين يُحبّان الحياة، ممّا عزّز فى نفسيهما السعى وراء العمل،

باذلَين أقصى الجهود لبُلوغ الهدف . تتلخّص القواسم المُشتركة بين الشاعرين فى حبّهما للحياة فيما يلى:

1- يجب على الانسان أن لا يكون مَكتوف الأيدى أمام ما يمرّ به من أحداث.

2 - بالكدّ وتحمّل التعب يُمكن الوصول إلى الهدف المنشود.

3- يحسن بالانسان أن يعزّز فى نفسه الميل إلى الرفعة والسموّ.

وجه التباين :

أمّا نقطة الخلاف فتظهر فى اعتبار شهريار الحياة لآلىء، حاضّاً الانسان أن يَغوص فى بحر الـ « عشق» [الحُب] ثمّ يفدّى بنفسه للحياة . تُرى! بماذا يذكّرنا اللؤلؤ؟ فطبيعي أن يذكّرنا بشئ ثمين يَسعى الناس للحصول عليه. فتشبيه الحياة باللؤلؤ يَدلّ دلالة واضحة على ما عند شهريار من قوّة فى النفس تحدوه نحو الحياة.

الخاتمة :

بعد هذه الجولة في رياض أدب أبي ماضي وشهريار الغنّاء ، وتتبّعنا نقاط الإلتقاء ووجوه التباينُ ننهي هذه الدّراسة بعرض ما وصلناه إليه من نتائج:

كما رأينا خلال الرّسالة، أنّه للتفاؤل درجات. إنّ أعلى مراتبه هو الإعتقاد بالله سبحانه وتعالى. ولعلنا لا نغلو إذا قلنا أنّ شهريار أكثر إيماناً من أبي ماضي. لأنّ أبا ماضي ضاع بين الشك واليقين، جاعلاً الله سبحانه وتعالى سرّاً .

أمّا القضاء والقدر، فهو المَظهر الآخر الذي أتينا به في الرسالة ، مُعتقدين أنّ أبا ماضي تأثّر في هذا الجانب بالقرآن الكريم .ولكنّه مع تأثّره بالقرآن الكريم يَرى أنّه مُنساق إلى الإستسلام للقضاء والقدر، ومرّة أخرى يَعتبر القضاء جوراً. أمّا شهريار فهو لم يُنح باللائمة على الحياة، مُسلماً نفسه للقضاء والقدر تسليماً كاملاً.

أمّا بالنسبة إلى المعاد فهذا هو شهريار الذى يتفوّق على أبى ماضى لأنّه لا يُنكر الخلود،فى حين أنّ أبا ماضى مع إعتقاده بأنّنا راجعون إلى الله ومع تأكيده على أنّه لنا إياب ونشور، يُنكر الخلود.

أكّد الشاعران على التحلى بالصبر الذى يَمنح الإنسان الصّمود أمام مَصائب الحياة وأحداثها المُفجعة. فوصف الشاعران الإبتسامة دواء لإزالة الكآبة والمُصيبة. لقد دعا «شهريار» إلى التعقّل فى المَصائب، وهذا الشئ لا نجده فى أدب أبى ماضي.

المَظهر التفاؤلى الآخر فى شعر الشاعرين هو التمتّع بالطبيعة البَهيجة التى لا تكذب.قليلا ما تحدّث شهريار عن المَظاهر الطبيعيّة بهذا الشكل الذى أتى به أبو ماضي فى شعره وإنّما دعا إلى التمتّع بنعم الله الغامرة فى الوجود، بأدلة مَنطقيّة وبراهين عقليّة.

جنينا زهرة جميلة أخرى من رياض أدب الشاعرين وهو الإيمان بالنّجاح ، فرأينا

أنّهما يؤكّدان على أنّ العالم مَدرسة السعى والعمل، ويجب على الإنسان أن لا يُصاب بالخيبة واليأس. ومهما تجوّلنا فى أدبهما لم نعثر على وجوه متباينة فى هذا الجانب. ثمّ أخذنا نمشى فى رياض أدبهما مُستنشقين أريج أزهاره فإذا بزهرة المحبّة قد استرعت انتباهنا. ففهمنا أنّ الشاعرين يُجمعان على أنّ المحبّة دين . أمّا أبو ماضى فهو يعتبرها ديناً وعلماً. ثمّ انتهينا إلى أنّ شاعرنا أباماضي يتفوّق على شهريار فى هذا الجانب.

أمّا النزعة الإنسانيّة فهى من أكثر النزعات التفاؤليّة إنتشاراً فى شعر الشاعرين. أتى الشاعران بأصفى الشعر الإنساني الذى يدعو إلى مُساعدة البشر، إلا أنّ شهريار تحدّث عن هذا الموضوع فى شعره بشكل عام داعيّاً إلى البحث عن أمراض البشر الجسميّة والرّوحيّة. والمُوضوع الأخيرالذى حصلنا عليه هو حُبّ الحياة. ظهرلنا أبو ماضى فى مرآة شعره فى هذا الجانب إنساناً يُحبّ الحياة ويَسعى فى طريقها غير راض

بالأردإ. أمّا شهريار فلم يكن يُحبّ الحياة فحسب ، بل فدّى بنفسه لها مُعتزّا بقيامه بهذا العمل.

أفلا يحقّ لنا بعد هذه الدّراسة أن نقطع برأى أنّ شهريار أكثر تفاؤلا من أبى ماضى بسبب القلق والشك الذى اعترى الشاعر المهجرى. هذا ما توصّلنا إليه مِن نتائج فى المقارنة بين الشاعرين. أمّا المَجال فلا يزال واسعا لِمَن يريد أن يلجه،لأنّ دراسة تلقّى مفهوم المحبّة فى أدب أبى ماضى مُوضوع لم يتطرّق إليه أحد، وبحاجة ماسّة إلى أداء حقّه من الدّراسة.

وفى الختام نتمنّى أن تكون هذه الدّراسة المُتواضعة خُطوة ولو قصيرة فى مَسيرة الدّراسات المُقارنة بين الأدبين العربي والفارسي، ولبنة ولو صغيرة فى صرح مَكتبة الأدب المُقارن.

المصادر العربيّة

- أبوماضي، إيليا (1974م) ***الخمائل***، ط10، بيروت: دار العلم للملايين.

- برهومی، خليل(1993م) ***إيليا أبوماضی شاعر السؤال والجمال***، ط1، بيروت: دار الكتب العلميّة.

- الخطيب، عبد الكريم(ب.ت) ***القضاء والقدر بين الفلسفة والدين***، بيروت: دار الفكر العربی.

- خورشا، صادق(1381هـ.ش) ***مجانی الشعر العربی الحديث ومدارسه***، ط1، تهران: سمت.

- شمس الدين، إبراهيم(2005م) ***ديوان إيليا أبو ماضی***، ط1، بيروت:مؤسسة النور للمطبوعات.

- الفاخوري، حنّا(1422هـ.ق) ***الجامع فی تاريخ الأدب العربي(الحديث)***،قم: منشورات ذوی القربی.

- مصطفی والآخرون، إبراهيم(1989م) ***المعجم الوسيط***، بيروت: دار الدعوة.

المصادر الفارسيّة

- سربازي، مظفر(1381هـ.ش) ***زندگی شهريار***،تهران: شركت توسعه كتابخانه های ايران.

- شكيبا، پروين (1370هـ.ش) **شعر فارسی از آغاز تا امروز**، چ1، تهران: انتشارات هيرمند.

- شهريار، محمد حسين (1385 هـ.ش) **ديوان شهريار**، تهران: انتشارات نگاه.

- محمدي، حسنعلي (1373هـ.ش) **شعر معاصر إيران از بهار تا شهريار**، تهران: ارغنون.

- المطهري،مرتضى (1404 هـ.ق) **الإنسان والقدر(ترجمة محمد علی التسخيري)**، تهران: سازمان تبليغات اسلامي.

- ياحقی، محمد جعفر (1375هـ.ش) **جويبار لحظه ها**، چ1، تهران: جامي.

The Optimism in the Poetry of Ilia Aboomazi and Mohammad Hussein Shahriar

Dr. Mohammad khaqani isfahani

Associated professor of Arabic Language and literature-University of Isfahan

Mohammad Jafar Asghari

Ph.D. student of Arabic Language and Literature- University of Isfahan

Abstract

With no doubt the writers, literary men, and critics have paid considerable attention to comparative literature, since the nature of

this type of literature conduct the researcher for research in this field. Whereas, the preformed efforts in this field seems very little and they need more care and effort. For this reason, this writing attempts to have a little share in comparative literature with studying “optimism in the poetry of Ilia Aboomazi and Mohammad Hussein Shahriar”. The present paper focusing on the American school of comparative literature that does not regard the existence of cause and effect as the only condition for comparison, aims to introduce the meaning of optimism, referring to its various aspects by some Persian and Arabic contemporary poets and to study the deep and valuable concepts of yielding against destiny, resurrection, using nice nature of god , affection promotion , love to life, patience, inclination to human being, and common and different points in their poetry, introducing the meaning of optimism and referring to it's various aspects by some Persian and Arabic contemporary poets.

Finally, the present research concludes that Shahriyar is more optimistic than Aboomazi. Because it considers Aboomazi to be dubious about life, in some cases.

Keywords: Comparative literature, Optimism, Aboomazi, Shahriar, Optimism.

الهوامش :

1- أستاذ مشارک فی قسم اللغة العربيّة وآدابها بجامعة أصفهان.

2- طالب فی مرحلة الدکتوراه، قسم اللغة العربيّة وآدابها بجامعة أصفهان.

3- مدينة تقع فی محافظة خراسان الرضويّة فی إيران .وهی مشهورة بالعلم والثقافة.کان « تيمور تاش »من عمّال «رضا خان» يحبّ ثريّا .لذلک عندما فهم أنّ شهريار يعشقها أمر بنفي شهريار من «طهران».

4- قضى—قَضيا، وقَضاء،وقضيّة: حكم وفصل .ويقال: قضى بين الخصمين، وقضى عليه، وقضى له، وقضى بكذا.فهو قاض وقضى الله: أمر.(مصطفى والآخرون،1989: 742).

5- قَدَرَ :قدر الأمر: دبّره وفكّر في تسويّته.والشئ بالشئ: قاسه به وجعله على مقداره وقدرالله الأمر على فلان : جعله له، وحكم به عليه.(مصطفى والآخرون، 1989: 718).

6- يبدو أنّ الشاعرتأثّر بهذه الآية: **(**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ **.(**سورة البقرة، الآية:156)

7- هذه القصيدة بعث بها إلى صديقه فهمي يعزيه بوفاة أمّه وابنته وأخته في أسبوع

-١

-1

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
رئاسة الجمهورية
المجلس الأعلى للغة العربية

إعلان عن جائزة اللغة العربية

يعلن المجلس الأعلى للغة العربية عن تنظيم "جائزة اللغة العربية لسنة 2010 التي تهدف إلى تشجيع الباحثين والمبدعين وتثمين ، منجزاتهم العلمية والمعرفية، ذات المردود النوعي الهادف إلى إثراء اللغة العربية، والإسهام في نشرها وترقيتها، سواء كانت هذه الأعمال مؤلفة باللغة العربية، أم مترجمة إليها،

1 ـ شروط الترشح للجائزة:

- أن يقدم العمل باللغة العربية

- أن يتوفر العمل على قواعد المنهجية العلمية

- أن يكون البحث موثقا وأصيلا، ولم يسبق نشره، وفي مجال الترجمة ترفق نسخة للنص بلغته الأصلية

- أن لا يكون قد نال به صاحبه جائزة أو شهادة علمية

- أن يندرج البحث في أحد المجالات المذكورة أدناه.

- قرارات لجنة التحكيم غير قابلة للطعن

- لا ترد الأعمال إلى أصحابها سواء فازت أم لم تفز

2 ـ حدد مبلغ الجائزة بـ 1.000.000 دج، يوزع بمقدار 250.000 دج لكل مجال من المجالات الأربعة التالية:

- جائزة اللغة العربية في علوم اللغة العربية.

- جائزة اللغة العربية في الترجمة إلى العربية في العلوم والآداب

- جائزة اللغة العربية في العلوم الاقتصادية

- جائزة اللغة العربية في التاريخ الوطني الموجه لمنظومة التربية والتكوين

حدد مبلغ الجائزة للفائز الأول بـ: 160.000 دج، ومبلغ الفائز الثاني بـ

90.000 دج في كل مجال من المجالات الأربعة المذكورة أعلاه.

يمكن أن يتكفل المجلس بنشر الأعمال الفائزة، وتصبح ملكا له، إلا أنه يمكن للفائز بالجائزة استعادة حقوقه حسب دفتر الشروط، وبعد انقضاء مدة ثلاث سنوات - على الأقل- من نشر العمل.

تعرض الأعمال المرشحة على لجنة تحكيم مكونة من ذوي الاختصاص، الذين لا يسمح لهم بالمشاركة في الجائزة،

3 ـ طلب الترشح:

يتكون طلب الترشح للمسابقة من الوثائق الآتية :

- طلب خطي

- نسخة من وثيقة الهوية (بطاقة التعريف الوطنية أو رخصة السياقة)

- السيرة العلمية للمشارك

- نسختين من البحث المقدم لنيل الجائزة :

- النسخة الأولى مسجلة على قرص والنسخة الثانية توجه عن طريق البريد

المسجل، ويكون تاريخ الختم البريدي شاهدا على ذلك.

4 – يفتح باب الترشح للجائزة ابتداء من نشر هذا الإعلان في وسائل الإعلام إلى غاية 31 ديسمبر 2009

5 – يوجه ملف الترشح إلى العنوان الأتي :

السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرانكلين روزفلت ، الجزائر

أو

ص.ب : 575 شارع ديدوش مراد الجزائر العاصمة

" جائزة اللغة العربية "

ملاحظة: للعلم فقد مدد المجلس آجال استلام المشاركة إلى 2010/03/31

طبع هذا الكتاب بـ:
دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع
05، شارع محمد مسعودي القبة القديمة ـ الجزائر

الهاتف: 021.68.86.49 الفاكس:021.68.86.48

البريد الإلكتروني : khaldou99_ed@yahoo.fr

في هذا العدد

المجلس الأعلى للغة العربية
شارع فرنكلين روزفلت، ، الجزائر
الهاتف : 25/ 213 021.23.07.24 الفاكس: 213 021.23.07.07
ص.ب : 575 الجزائر - ديدوش مراد
www.csla.dz